

كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

العـــدد ٤٨

لسنتى ٨٧ ، ١٩٨٨



القــاهــرة ١٩٨٨



كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

العدد ٤٨
لسنة ١٩٨٧/١٩٨٨

مطبعة جامعة القاهرة
١٩٨٨

هيئة التحرير

المحتويات

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

رؤية مستقبلية للقاموس الفلسفي العربي
تقديم وتطوير محاولة ماسينيون

د . أحمد عبد الحليم عطيه

تمهيـــد :

هذا مشروع رؤية جديد ، وخطوة أخرى وقراءة مستقبلية تقدم وجهة نظر عربية لمشروع حضارى هام هو « تأسيس قاموس عربي للاصطلاحات الفلسفية الشرقية والغربية » قدمه المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون فى بداية حياته العلمية وهو مشروع يغلب عليه الطابع الأكاديمى والبحث الدقيق الذى يعتمد على المصادر والمراجع الأساسية ، ومن هنا فهذا الجهد يستحق منا أن نعرض له ونناقش أفكاره من أجل الاكمال والتطوير .

والمحاولة التى تعد أساس عملنا الحالى هى المحاضرات التى ألقاها لويس ماسينيون Louis Massignon فى الجامعة المصرية الحرة « الأهلية » عام ١٩١٢ — ١٩١٣ ، وهى تتكون من أربعين محاضرة بعنوان « تاريخ المذاهب الفلسفية » أو « تاريخ المصطلحات الفلسفية » كانت موضوع للدراسة فى مادة « تاريخ الفلسفة » وتهدف كما يقول صاحبها إلى تقديم طريقة جديدة فى تاريخ الفلسفة العربية ، فالمقصود من هذه المحاضرات إنما هو إيجاد طريقة فى تاريخ المذاهب الفلسفية ، كما يقول ماسينيون فى الفقرة الثانية من المحاضرة الأولى : « تأسيس قاموس عربي للاصطلاحات الفلسفية الشرقية والغربية وبيان فوائدها لإصلاح اللغة الفلسفية الحالية »(١) .. « فتاريخ المصطلح الفلسفي مثل مرآة تنعكس فيها النظريات القديمة ... الفائدة فى اقتباس ما ينعكس إلينا فى هذه المرآة من أشعة الحياة العظمى ، تاريخ الماضى طريق المستقبل » ، ولا بد لنا من اصلاح مصطلح محاضراتنا فى الجمعيات ومقالاتنا فى الجرائد بمقتضى ما شاهدنا فى الأزمنة السابقة (٢) .

وليس الهدف من هذه الرؤية مجرد عرض وتقديم ونشر محاضرات ماسينيون ، ولكن الهدف منها قراءة ماسينيون قراءة معاصرة ومناقشة مشروعه وتقديم رؤية مستقبلية لعمله تهدف إلى إحياء وإكمال وتطوير مشروع هام يتجاوز جهد فرد ، كما يتجاوز نطاق الأكاديمية الخالصة ، أملا فى إيجاد لغة فلسفية معاصرة – تختلف عن اللغة التى سادت الفترة الماضية – وماسينيون نفسه يشير إلى « اصطلاح اللغة الفلسفية الحالية » حيث يبحث فى « الفائدة الحالية التى عادت على اللغة والأدب وبالجملة التمدن » (٣). وفى محاضرات خمس قادمة يتحدث عن إحياء الاصطلاحات الفلسفية والاستفادة منها وعن إحياء التمدن العربى بواسطة أحكام الاصطلاح الفلسفى العربى » (٤) . ويتحدث فى الفقرة الثالثة من المحاضرة الأولى عن أهمية المصطلح الفلسفى لإحياء التمدن والأدب » .

ويظهر هذا الهدف جلياً ليس فى المادة العلمية المكثفة بل والزائدة أحياناً التى قدمها على مدى الثلاثين محاضرة الأولى ، ولا فى أسلوب وطريقة تناوله فقط بل فى النتائج ، أو الخلاصة التى نجدها فى المحاضرات العشر الأخيرة حيث يتحدث على التوالى عن : سلوك العربية فى العالم ، فضلها لصناعة النحو والكلام المحاضرة الحادية والثلاثون (٥) وفى صفات العربية وخاصياتها الحاضرة (المحاضرات من الثانية والثلاثون حتى الخامسة والثلاثون(٦) . والمحاضرة السادسة والثلاثون فى فلسفة المصطلح الدارج (نظرية ترقى الدارج) ثم المحاضرات الثلاثة التالية فى شروط أحياء التفكير الفلسفى العربى : الأولى منها فى العالم والفلسفة والنقل ، والثانية مراكز المدينة العربية فى العالم ، والثالثة دعوة العربية بين الأمم . والمحاضرة الأخيرة (الوصية) حيث يقدم مايطلق عليه « طريق الحق » .

ونحن فى عملنا الحالى لا نخرج عن الحدود التى رسها ماسينيون نفسه ، فقد وضع الأساس ومهد الطريق حيث يقول : « أن هذا العمل مقدمه عظيمة لعمل كبير ومفيد نشتغل فيه معاً – يقصد تلاميذه بالجامعة الأهلية –

حتى يكمل ، فهو يلقى الضوء وينير الطريق : « سأكون دليلكم حتى أصل إلى أول باب من أبواب الحقيقة فأترككم تلجونه ، مستشهداً بدانتى فى أنه يحمل المصباح ويتقدم أمامهم مهتدين بنور مصباحه ثم يدخلون وهو لا يدخل » (٧) — ونحن نسير معه غير مغمضى العينين نهتدى بنور مصباحه إلى طريق الحــق : « أرادتنا مائلة إلى حــال التأليف والصلح الحقيقى . . أملنا أن نصير معاً من الاختلاف إلى الاتحاد الصحيح فليس الاتحاد مسامحة بعضنا ببعضنا فى أباحة الباطل والشر والخلف بل الاتحاد بيننا من تصفية الإرادة وطلب الحقائق » (٨) .

وتسعى هذه الدراسة إلى أقامة حوار مع ماسينيون فى عديد من القضايا التى أثارها فى محـاضراته ســواء فيما يتعلق بالعــلاقة بين تاريخ الفلسفة والمصطلحات الفلسفية ، أو مايتعلق بمحاولته وما تحقق منها متخذين من عمل ماسينيون نفسه أساساً لتحليل مضمون محاضراته وتحديد مكانة هذه المحاولة بين المحاولات تسعى لتأسيس قاموس ، وكذلك تحليل تصوره لتاريخ الفلسفة واستخدامه لمصادره المختلفة ومناقشة العديد من القضايا التى تبرز أهمية أنجازات ماسينيون من جهة وبيان مايمكن أن يندرج فى نطاق السلبيات متخذين فى ذلك هدف ماسينيون هدفاً لنا لكن من خلال رؤية ناقدة للعمل تتجاوز المحاضرات إلى نظرة مستقبلية للقاموس الفلسفى العربى .

أولا — هذه المحاولة فى العربية :

يوضــح ماسنييون فى المحــاضرة الأولى « الطريق » أى الوســيلة أو الخطــة المتبعة فى العمــل وهى : ذكر المقولات العقلية والأسماء الكلية والمقالات العامة وتخصيص معانيها على مرور الدهور « فى أطار اللغة العربية التى أهــتم بها مبكراً ربما منذ لقائه بهنرى ماسبيرو عام ١٨٩٦ حيث تولد لديهما ميلا مشترك للدراسات الشرقية ، التى أستطاع

ماسينيون التعمق فيها بدراسته فى المدرسة الوطنيه للغات الشرقية بباريس. وحصل على دبلومها فى فبراير ١٩٠٦ ، وأدى لقائه بجولدزيهر فى مؤتمر المستشرقين الرابع عشر فى الجزائر لقائه ١٩٠٥ بإن أوصى جولدزيهر به للتدريس بالجامعة المصرية وتوطدت علاقته بالبلدان العربية فاختير عضوا فى معظم مجامعها العلمية : المجمع اللغوى بمصر منذ ١٩٣٣(٩) والمجمع العلمى فى دمشق والمجمع العلمى العراقى(١٠) ويظهر الجانب الهام لماسينيون فى الاهتمام الكبير باللغة العربية والإشادة بها وتخصيص العديد من الدراسات والأبحاث بالمجمع اللغوى لمناقشة قضاياها المختلفة .

فهو يتحدث عن : المعاجم الأوربية ومدى ماتستفيدها لمعاجم العربية منها. ويبدو أن فكرة المعاجم سيطرت عليه فهناك أشياء ضرورية لوضع أطلس لمصطلحات الحرف العلمية . « ويبين المصطلحات العربية فى القرى وأكرام الضيف » . وهو فى تعامله مع اللغة العربية يتعامل معها كمستشرق ويكتب « خواطر مستشرق فى التضمين » يبحث فى « التعاون الثقافى بين اللغة العربية ولغات الغرب » ويقدم « خطرات » فى الاحتفاظ بعبقرية النحو العربى » فهو فى تعامله معها ليس نحوياً فقط يدرس » « الأصول الثلاثية فى اللغة العربية » أو يتعامل معها كعالم تاريخ وآثار يهتم بالبحث فى « قيمة الخط العربى لتأسيس فى النقش المجرد » ، ويقدم « أفتراضات فى مستقبل الخط بالحروف وانعكاساتها على استيفاء الخط العربى » بل هو مفكر وفيلسوف يدرس « فلسفة التضمين » و « ميتافيزيقا اللغة » تلك مساهماته فى اللغة العربية التى حرص على أن يلقى بها محاضراته فى الجامعة والتى أراد بها تقديم تاريخ للاصطلاحات الفلسفية (١١) .

ويبدء ماسينيون مشروعه بالربط بين الفلسفة واللغة معتمداً على قول الفيلسوف الفرنسى كونديلك Condillac (١٢) : « الفلسفة ليست إلا استعمال اللغة بغاية الاتقان فى الموضوعات »(١٣) ويتخذ من المعجم الفلسفى للجمعية الفلسفية الفرنسية مثالا يحتذ به مع أحساسه بخصوصية تميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات الفرنسية الإنجليزية فنحن « نرى فى اللغة العربية دائماً

تخصيصات لغوية » (١٤) كثيراً من اللغات الا أنها فى اللغة العربية خاصة أدق ما تكون واللغة العربية غنية بمفرداتها مدهشة فى اصطلاحاتها (١٥) والأساس اللغوى للاصطلاحات إذا كان موجوداً فى القاموس يبدأ بالمعنى اللغوى « فاللغة خزانة الحكمة » (١٦) ولها تميزها ولهذه الحكم ذوق دقيق غريب كما قال الصفدى فى « ديوان المتنبى » (١٧) وينبغى أن نشير إلى أن ماسينيون تراجع عن دعوته ومناصرته لكتابه اللغة العربية بحروف لاتينية (١٨) وأعلن ذلك على الملاء لما رأى مضارها العديدة التى منها انفصال الأجيال الجديدة عن تراثها القديم .

•

أن أهمية اللغة تظهر فى كل محاضرة من المحاضرات . ورغم أنه يتناول المصطلحات بداية بذكر معناها اللغوى الاشتقاقى ثم مصطلحاتها الفرنسية والإنجليزية واحيانا الالمانية (١٩) ويمضى منها إلى اليونانية واللاتينية (٢٠) إلا أن تركيزه فى الغالب ينصب على اللغة العربية واللغات السامية . نجد ذلك فيما يتعلق بالالهيات خاصة ، فهو لا يغفل السريانية والعبرية والآرامية وغيرها (٢١) ويمكن أن نشير إلى المحاضرة الحادية والثلاثون « سلوك وفضل اللغة العربية فى العالم » حيث يبين ماسينيون فضل اللغة العربية وهو يناقش آراء رينان ، وإذا كان يعرض هذه الآراء بأمانة إلا أنه لايقبل كثيراً من الأحكام التى يصدرها رينان على اللغة السامية التى تعد العربية وريثها الوحيدة ، وإذا كان رينان يرى أن هناك تضاد طبيعى بين أحكام اللغة العربية ووضع مصطلح فلسفى بها فإن ماسينيون يناقش ذلك : « فرينان فى كتاب (العام للغات السامية) يقول بآراء غريبة كالقول ان اللغات الآرية ، واللغة العربية هى اللغة الساميةالوحيدة الحية الآن ومن ثم فإن حكم رينان موجه إليها هى ، ويرفض ماسينيون أحكام رينان فيما يرى رينان أن هناك أرتباط بين المعنى والالفاظ ناتج عن أن ثلاثى الحروف ثابته تتركب عليها الفاظ كثيرة ويزعم أن هذا نقص ولكن هذا فيما يرى ماسينيون « فضل » — ويوافقه على ذلك د. أبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية (٢٢) لأنه ظاهر ولو للعوام من الساميين ، بخلاف ماحصل فى اللغات الآرية ، ودوام الرابطة بين اللفظ والأشتقاق فضل .

وفى المحاضرة التاسعة والثلاثين « شهادة اللغة العربية بين الأمم وفضلها الخاص فى تاريخ المدينة العامة » يقول : « مقصدنا بيان مافى تاريخ الفلسفة العربية من الشواهد الدالة على مزايا هذه اللغة العربية إلى سجاياها وسليقتها وخليقتها إلى الطبع الذى أنطبع بأمر رجالها على التمدن العام » (٢٣) وهو يبين تأثير اللغة العربية على العبرية فى الفلسفة والكلام (٢٤) وتأثيرها على أسلوب النثر والشعر فى أسبانيا وايطاليا وجنوب فرنسا . (٢٥)

وانطلاقاً من هذا الاهتمام باللغة العربية يقدم ماسينيون مشروعه ، وهو يأخذ مباشرة فى بيان المقولات العامة والأسماء الكلية الراجعة إلى الأحكام الثابتة ، ولا يكتفى بما هو متفق عليه من أصول بل يتتبع الفروع التى أختلف فيها ، ووجهات النظر المتعددة فى المسألة الواحدة وكأنى به يقوم بما قام به جان فال فى كتابه « طريق الفيلسوف » وهو عرض لتاريخ الفلسفة من خلال تطور المقولات الكلية . وهذه المحاولة فى التقصى عن المقولات الكلية : أصولها وفروعها أفضل طريقة لتدريب الطلاب على قاعات البحث والمراجع القديمة ، أى أنها نوع من المحاضرات العملية التى من الضرورى أن يتدرب عليها طالب الدراسات الإنسانية النظرية ، فيعرف المصادر ، ويتعمق المصطلحات ويتناقش فيها مع غيره من الطلاب ، والمهمة هنا لا تقع على عاتق (الاستاذ) ماسينيون وحده بل هو يحدد الطريق فقط ، وما هذا العمل إلا مقدمة عظيمة لعمل كبير ومفيد نشتغل فيه معاً حتى يكمل (٢٦) فإذا أردنا أن نعمل للاصطلاحات قاموساً فإن ذلك سهل وعلينا من البداية استعمال القواميس الخاصة بمفردات اللغة .

والطريق إلى ذلك هو طريق المحاضرات التى ذكرناها وهو النظر بالترتيب والنظام فى المقالات العامة وفى المعانى المختلفة . وهذا الترتيب على حروف المعجم مثلما فعل مدرسوا الفلسفة فى باريس ، الذين أسسوا جمعية فلسفية يقوم أحدهم فيلقى بحثاً فى اصطلاح ما مستشهداً عليه بأقوال القدماء والمحدثين ، ويشير إلى طلابه بنسخة معه من مجلد المعجم الفلسفى Vocbilaire philosophique Societe Francaise de philosophie — وذلك فى عام ١٩٠٢ (٢٧) .

وهو يحدد الخطوات العملية لعمله على النحو التالى :

(أ) ذكر المعنى الأصلى اللغوى ، ولا يكتفى ما سينيون بالأصل الاشتقاقى العربى بل يعرض للفظ المستخدم فى اللغات المختلفة فرنسية ، إنجليزية ، ألمانية ، بل حتى آرامية ، سريانية . فحين يتحدث فى المحاضرة السابعة والعشرين عن الالهيات يذكر معنى الإله فى اللغات السامية (إله) وبالعبرانى ، وبالسريانى Elah ، وبالأشورية Elu ، وبالكلدانى Elah هذا فى اللغات السامية وكلها معناها واجب الواجب .

ويذكر الله باللغات الآرية كما يلى : بالسنسكرتية ديفا Deva وباللاتينية Dives و Dues ، وباليونانية ثيوس Theos ، وبالألمانية Gott ، وبالإنجليزية God ، وبالإيطالية Iddis ، وبالفرنسية Dieu . ويذكر ماسينيون أن عند النحويين العرب مذاهب كثيرة فى اشتقاق إسم الإله ، ويعطى معانيه المتعددة (٢٨) . وحين يتحدث عن الحياة (المحاضرة الخامسة عشرة) يأتى بالكلمات الأفرنجية لكلمة الحياة وهى Zoe اليونانية ، واللاتينية Vite ، والفرنسية Vie ، والإنجليزية Life ، والألمانية Leben (٢٩) ويبدو ماسينيون هنا عالم فيلولوجى يعرض بالتحليل للفظة وتطورها ، ومعانيها المختلفة ، بل يرجع كثير من الألفاظ فى اللغات المختلفة إلى أصل واحد .

(ب) يدعم ماسينيون كل مصطلح بالأصل اليونانى . يتحدث عن المقولات العشر فيذكر أمام الجوهر Ousia وأمام الكم To pasoo وأمام الكيف To poico والإضافة To-PROS والاين To pou والمتى To pote وهكذا . وحين يتحدث عن الكليات الخمس يذكر الجنس Genus باللاتينى و Genos باليونانى مع ذكر المصطلح الإنجليزى والفرنسى . ويذكر النوع Eidos والفصل Diaphora والخاصة Idion والعرض (٣٠) Symbelokos وهو هنا يعتمد على أرسطو — جاء ذكره ٦٦ مرة — فهو صاحب اللغة الفلسفية المحكمة ، ومن يخالفه يخرج عن التقليد الفلسفى ، فخطا ابن نعمة الحمصى فى ترجمة لكتب أفلوطين المنسوبة إلى أرسطو أنه لم يكن لديه شيء

من الاصطلاحات الفلسفية المحكمة (٣١) . والحقيقة أن علي الباحث في الفلسفة الرجوع إلى الأصل اليوناني الذي أبتعد عنه المحدثون .

(جـ) الاصطلاح اللاتيني المنقول من الترجمات العربية القديمة فمن قبيل الأمر المعاد ذكر أهمية الفلسفة العربية كاساس لكل فلسفة العصور الوسطى والحديثة وأن كان من الممكن دراسة نشاة المصطلح الفلسفي العربي النشأة والتطور والتغيرات التي طرأت على المصطلح العربي هي دراسة حضارية في المقام الأول تبحث في نشأة وتطور الحضارة العربية الإسلامية وهي لازمة لتأسيس أي عمل فلسفي جاد ، تتبع ذلك دراسة فلسفات العصور الوسطى دراسة مقارنة مع الفلسفة العربية فلا تكتفي فقط بالمقدمات اليونانية بل بالنتائج ، ومن الجذور تعرف الثمار « والثمار هي ماحصلته الفلسفة الغربية عن العربية » ويعي ماسينيون ذلك تماماً حين يتحدث عن سيجر دي برابنت "Siger de Brabent" (٣٢) وهو رئيس تلاميذ ابن رشد في الغرب اللاتيني ويتحدث عن تاثير الكلام والمتكلمين العرب من يهود ومسلمين على علم الكلام عند النصارى شرح القديس توماس الأكويني على ابن رشد (٣٣) وعلى الترجمات اللاتينية للمصطلحات الفلسفية الإسلامية أخذ الفلاسفة المحدثون : بيكون وديكارت وليبتز واسبينوزا « فقد أستخدموا الاصطلاحات اللاتينية المأخوذة عن العربية . بل أن المترجمون لهذه الاصطلاحات قد قلدوا مؤسسها تقليداً أعمى » (٣٤) .

(د) ويقرن ماسينيون الأصل اللغوي واليوناني بالإضافة للترجمة اللاتينية بالمصطلح العربي المستحدث ، فهو يتناول (الحدود) المصطلحات العربية بعد أن تم استقرارها في عهد الفارابي ويذكر مع كل مصطلح لأرسطو المصطلحات العربية عند إخوان الصفا والغزالي وابن رشد .

كل هذه الخطوات تضعنا في إطار تاريخ الفلسفة أو تاريخ الفلسفة العربية إلا أن ماسينيون لا يكتفي بذلك بل يحاول أن يعرب مصطلحات الفلسفة الحديثة ليلائم بينها وبين مصطلحات الفلسفة العربية القديمة لهذا فهو يبحث في المعنى

المعاصر للفظ مثل مصطلح النشوء والا تقاء المترجم عن Evaluation وينظر في هذه الترجمة ليرى مدى ملاءمتها .

وأخيراً يقارن بين هذه المترادفات المختلفة ، لذا نجده قد بين كيف أن اصطلاحات هيجل في المنطق تختلف عن اصطلاحات أرسطو . وأنه يوجد في الهند مناطقة قبل تأسيس المنطق الصورى الأرسطي ذى المقدمتين والنتيجة (٣٥) و هكذا . و لما كانت محاولة ماسينيون تستعين بالتاريخ فيلزم الإشارة إلى ما سبقها من محاولات في هذا السبيل .

وتتدرج المحاولات السابقة إلى محاولات أقرب إلى النموذج والصورة التى يحتذيها ماسينيون ونعنى بذلك المعجم الفلسفى الذى أعده لالند ، أو محاولات سابقة تعد مصادر يرجع إليها وتكون المادة الأساسية لعمله مثل : رسائل أخوان الصفا ، وتعريفات الجرجانى وكتب اصطلاحات الصوفية المختلفة . وهناك محاولات سابقة أنجزت عن طريق غيره من المستشرقين مثل هورتن وآسين بلاسيوس .

فقد وضع لالند (١٨٦٧–١٩٦٣) المثال والنموذج للعمل الذى يطمح ماسينيون فى القيام به . ولالند من الأساتذة الفرنسيين الأجلاء قام بالتدريس فى الجامعة المصرية . وتخرج عليه العديد من أساتذة الفلسفة المصريين الذين درس لهم مع زملائه : بربيه ، ربى ، اسريتيه ، وأرجيبه وبوابيه كما يذكر د . محمد مصطفى حلمى فى تقديمه لترجمة محمود الخضيرى لمقال ديكارت عن المنهج وكذا يوسف كرم فى تاريخ الفلسفة الحديثة (٣٦) والفكرة الأساسية التى انطلق منها لالند فى (المعجم النقدى الفنى للفلسفة) والتى — اعتمد عليها — ماسينيون فى مشروعه هى أن الحقيقة ليست نتاجاً لمفكر واحد بل تتكون وتتحدد بالتعاون والاتفاق بين العقول المختلفة كما يظهر فى الفقرة الثالثة من المحاضرة الأربعين « طريق الحق » .

ويرجع إلى تعاون لالند مع اكسافيير ليون Xavier Ieon قيام الجمعية الفلسفية الفرنسية بالعمل المعجمى يقول ماسينيون : « من التأليفات العامة

التى نستفيد منها (فى المحاضرات) ما ظهر فى الجمعية الفلسفية الفرنسية فى ١٩٠٢ تحت عنوان Vocbulaire Techniqlbuaue Critique Philosophie وقد كان لالند من أهم القائمين بالعمل (٣٧) ويضيف : « وقصدى أن أسلك فى كل باب من أبواب القاموس هذا الطريق » (٣٨) . كانت إذن أعمال الجمعية الفرنسية وجهود لالند . نموذجاً أمام ماسينيون لمعجم نقدى فلسفى أراد تأسيسه فى اللغة العربية ، لكن من خلال مصادر أخرى أعطته المادة العلمية لصياغة خطته فما هى هذه المصادر ؟

هناك العديد من الجهود التى بذلت فى هذا السبيل بعضها ذكره ماسينيون وبعضها الآخر لم يذكره ، ويستخدم ماسينيون هذه الجهود كأدوات فى بحثه ، يستمد منها مادته العلمية التى يفرط فى بيانها أحيانا بحيث تطغى على هدفه . وماسينيون على وعى بقيمة تلك الجهود « ليس عمل الاصطلاحات التى نريدها ببدعة إنما قد سبقنا إليها كثير فى الشرق وفى الغرب قد صنف القدماء والمحدثون فى الكتب فى مبحثنا شيئاً ليس بالقليل » (٣٩) يذكر منها ماسينيون :

(رسائل أخوان الصفا : التى يعتمد عليها اعتماداً أساسياً يذكرها فى كل محاضراته تقريباً وهو دائماً يقرنها بأرسطو بحيث يذكر المصطلح الأرسطى ويليه أخوان الصفا الرسائل هامة إذن استخدمت فى العصور الوسطى وتهمنا فى مبحثنا (٤٠) وكلها حدود كثيرة كدائرة معارف (٤١) ويذكر أيضاً مفاتيح العلوم للخوارزمى (٤٢) وما بعد الطبيعة لابن رشد خاصة ، فى مبحث الجوهر وبيان أصله اللغوى الفارسى واليونانى . Ousia

والجزء الأول من إحياء علوم الدين للغزالى (باب من ألفاظ العلوم) (٤٣) ويشير ماسينيون إلى ما سيستخدمه من صفحاته فى الأحياء (من ٢٤ حتى ٢٩) . ويستخدم أيضاً العديد من كتب الغزالى مثل : التهافت ، المقصد الأسنى معيار العلم .

ويلاحظ أن ماسينيون يركز على كتب التصوف كمصدر للمادة العلمية للمعجم أكثر ما غيرها « فهى من الكتب التى لا بد لنا من الرجوع إليها (٤٤) والصوفية

هم الذين أسسوا تقريباً علم الاصطلاحات ومن كتبهم التي يشير إليها : التعرف على مذاهب أهل التصوف للكلاباذى (٤٥) والرسالة القشيرية (٤٦) وكشف المحجوب للهجويرى (٤٧) والشطحيات لروزبهان البقلى (٤٨) واصطلاحات الصوفية لابن عربي (٤٩) والتعريفات للجرجاني والنجاة لابن سينا ويستشعر القارئ أن هناك بعض المصادر التي لم يذكرها ماسينيون مثل : رسالة الحدود لابن سينا (٥٠) . وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى (٥٢) وكتاب أبي البقاء الحسيني الكفوى (الكليات) .

ولا يكتفى ماسينيون ببيان الكتابات العربية التي تمده بالمصادر بل بذكر جهود الغربيين من المستشرقين فى هذا السبيل ، فهم وإن كانوا لم يؤسسوا قاموساً للاصطلاحات الفلسفية العربية حتى وقتنا الحاضر إلا أنه يشير إلى إثنين منهما ذكر أنهما يقومان بذلك هما : اسين بلاثيوس المستشرق الاسبانى الذى عنى بالبحث العلمى فى تاريخ الإسلام الروحى فى أسبانيا ، وقدم دراسات هامة عن ابن عربي والغزالى وابن حزم وابن مسرة . ولا ندرى إن كان أنجز ما أشار إليه ماسينيون أم لا ؟ فلم يات فى سيرته التى قدم بها د . بدرى ترجمه لكاب عن ابن عربي أى ذكر لمثل هذا العمل (٥٣) . والثانى هو المستشرق الألمانى هورتن Horten (١٨٧٤ — ١٩٤٥) ، الأستاذ بجامعة بينا والذى كتب عن « النظريات الفلسفية للفقهاء المتأملين فى الإسلام اعتماداً على مصادر أصلية ١٩١٢ » ، وفلسفة الإسلام فى علاقاتها بالنظريات الفلسفية بالجزء الغربي من الشرق ١٩٢٤ ، والجزء الخاص بفلسفة الإسلام — الطبعة الحادية عشر من كتاب أوبرفيج ١٩٢٧ .

ولا زالت المحاولات اللاحقة لعمل ماسينيون — والساعية نحو تأسيس معجم مصطلحات فلسفى — غير مرصودة ، وإن كان هناك اهتمام أكاديمى منذ الخمسينات بعمل مثل هذه المعاجم . ويمكن الإشارة إلى المحاولات المبكرة مثل مصطلحات علوم الفلسفة الحديثة لأمين بك واصف أما المحاولات الأحدث والتى أشرف عليها مجمع اللغة العربية فتظهر نواتها فى كراسة أصدرها

المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر عن (المصطلحات الفلسفية (أعدها بدرى وزكى نجيب والفندى وعفيفى ، وظهرت هذه النواة بعد ذلك فى المعجم الذى أصدره المجمع بإشراف د . الطويل وهو معجم خاص بالمصطلحات والمذاهب يبغى توحيد المصطلح دون التوسع فى التفصيلات أو الشرح أو التحليلات — مثله فى ذلك مثل المعجم الذى أصدره كل من يوسف كرم ومراد وهبه ، والذى ظهر بعد ذلك أكبر حجماً بإسم مراد وهبه منفرداً فى ضعف حجمه الأول (٥٤).

وهناك ترجمات لمعاجم وموضوعات فلسفية إنجليزية وروسية ، الأولى أشرف عليها د . زكى نجيب محمود(٥٥) ، والثانية ترجمة للقاموس الفلسفى الروسى قام بنشرها سمير كرم .

يضاف إلى ذلك بعض المعاجم الخاصة بموضوع أو فيلسوف بمفرده وهى أشبه بملاحق للكتب يخصصها أصحابها للموضوعات التى يعالجونها ، مثل ذلك قاموس المصطلحات الهيجلية الذى أعده إمام عبد الفتاح فى العدد الخاص عن هيجل من الفكر المعاصر القاهرية وأيضاً فى المنهج الجدلى عند هيجل(٥٦).

ثم هناك محاولتين أخريتين يمكن الإشارة إليهما لاشتراكهما معاً فى عدة خصائص ، الأولى محاولة جميل صليبا التى صدرت أولا فى مجلة المجمع العلمى فى دمشق ثم اكتملت فى مجلدين تجاوزت صفحاتهم ١٤٨٥ صفحة (٥٧) ، والثانية نجدها لدى الحبابى فى « المعيـ » وهو قاموس فلسفى حديث ظهرت بدوره فى أعمـال مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٥٨) ، وكلاهما يمتـاز صـاحبه بالباع الطويل فى العربية بالإضـافة إلى ثقافته الفرنسية التى تظهر فى ثنايا العملين . وهناك أخيراً الموسوعة الفلسفية التى يضطلع بها د . بدوى والموسوعة الفلسفية العربية التى يصدرها معهد الإنماء العربى ببيروت وهى عمل ضخم فى ثلاثة مجلدات ظهر المجلد الأول منها(٥٩). بعد ذلك ينبغى علينا أن نتوقف أمام البنية الداخلية لعمل ماسينيون محاولين قراءة خطته الأولى من خلال العمل الذى قدمه مبينين مدى اتفاقه مع المقياس الذى قدمه ماسينيون نفسه.

١ – بين المعجم والتاريخ :

إن مشروع ماسينيون الذى عرضه فى محاضراته هو محاولة فى دور التحقيق وعمل أولى وتحضير لعمل أكبر ، ربما تكون أجزاء منه قد ظهرت فى كتابات ماسينيون اللاحقة بصورة أو بأخرى(٦٠)، إلا أنه بالنسبة لنا أملا فى حاجة إلى التحقيق ، فمحاولة « تأسيس قاموس عربى للاصطلاحات الفلسفية الشرقية والغربية » هدف وغاية وحلم ، وإن كان لم يتحقق بعد فهناك محاولات عديدة فردية وجماعية نحو صياغة مثل هذا القاموس . وبالطبع فإن القاموس العربى للاصطلاحات الفلسفية ليس هو فقط القاموس المكتوب باللغة العربية مثل « المعجم الفلسفى » الذى أصدره مجمع اللغة العربية بفضل مذكور وإشراف د . توفيق الطويل . ولا هو القاموس المترجم الذى يضاف إليه أسماء الاعلام العرب : ابن سينا ، ابن رشد ، ابن خلدون . . . الخ » ، « الموسوعة الفلسفية المختصرة » بإشراف د . زكى نجيب محمود(٦١). ولا هو المعجم الذى ينقل المصطلحات الفلسفية الغربية مع بعض آراء الفلاسفة العرب محتذياً القواميس الغربية أو متخذاً بعض المعاجم (معجم لالند) مثالا وقدوة كما نجد لدى صليبا ومراد وهبه . بل إن هذا الهدف والحلم والغاية لا زال معجم فى طور التكوين ينطلق من اللغة العربية متخذاً وجهة نظر حضارية فى كل تاريخ الفلسفة لا يكتفى بنقل المادة العربية وترجمتها والتعليق عليها ، بل هو نحت فى اللغة والفكر لاشتقاق مصطلحات جديدة كما نجد ذلك بصورة أولية لدى الحبابى .

فالقاموس العربى هو الذى يتخذ موقفاً موحداً من كل تاريخ الفلسفة ويملك رؤياه الخاصة والمحددة لكل المصطلحات الفلسفية بل وله مصطلحاته المختلفة ، يبدأ من الأصول القديمة العربية التى حفظت لنا التراث الفلسفى اليونانى ، ويبدأ من الأصول الغربية التى ترتبط بتاريخ الفكر الغربى . أى أن لهذا القاموس هويته العربية الحضارية التى تميزه . وهذا القاموس لم يقدمه لنا ماسينيون وإن كان يسعى إلى تقديمه وتحديد أطره فى هذه

المحاضرات ، والسؤال إلى أى مدى وصل ماسينيون فى سعيه نحو هذا الهدف ؟ هذا ما سيتضح من بيان حدود هذه المحاولة وصلتها بالتاريخ .

لم يقدم ماسينيون معجما أو قاموساً بل حدد طريق تأسيس مثل هذ القاموس فى محاضراته . وقدكان له فضل السبق فى إرساء قواعد اللغة الفلسفية لتكون أساسا بعد ذلك لمعرفة طلابه بالمذاهب الفلسفية(٦٢). وحتى تتضح الصورة أكثر نتساءل ما هى هذه المحاضرات ؟ وفى أى مادة كانت ؟ وما الهدف منها ؟ ومن المعلومات التى لدينا نعرف أن هذه المحاضرات إلقيت بالجامعة الأهلية فى العام الد اسى ١٩١٢ — ١٩١٣ وبالتحديد من ٢٥ نوفمبر ١٩١٢ حتى ٢٤ أبريل ١٩١٣ م . وهى عبارة عن أربعون محاضرة فى الفلسفة ضمن ثمانية مقررات يدرسها طلاب الجامعة الأهلية حينذاك من بينها دائماً مقرران فى الفلسفة احداهما محاضرات ماسينيون موضوعنا الحالى ، والثانى هو ما كان يقوم بتدريسه طنطاوى جوهرى عن الفلسفة العربية وعلم الأخلاق .

وقد سبق ماسينيون فى التدريس بالجامعة المصرية وتلاه عددا من الأساتذة المستشرقين والعرب أمثال : سنتيلانا (١٨٤٥ — ١٩٣١) ، ونللينو(٦٤) والكونت دى جلارزا (٦٥) وكذا سلطان بك محمد (٦٦) وطنطاوى جوهرى ، ثم فى فترة لاحقة أعضاء البعثة المصرية بعد عودتهم مثل على أحمد العنانى (٦٧) ، ومنصور فهمى (٦٨) . ونتوقف عند ما سبق ماسينيون من المستشرقين أعنى نلنيو وسنيتلانا ونشير إلى أن حصيلة محاضراتهما بالجامعة كانت نماذج من الأعمال الهامة هى : تاريخ المذاهب الفلسفية وهى دروس فى التعاليم الفلسفية ألقاها سنتيلانا حول العلاقة بين الفلسفة اليونانية والمذاهب الإسلامية بهدف التحقق مما اكتسبته كل فرقة من اليونان وكيف أفرغته فى قوالب الإسلام(٦٩). مستخدما منهج التأثير والتأثر الأثير لدى المستشرقين مصدراً بعض الأحكام حول الفلسفة الإسلام تحتاج إلى نقاش ومراجعة .

بينما قدم نللينو وكان له تأثير كبير — هو تأثير الجامعة على أدباء ومفكرى مصر فى هذه الحقبة المزدهرة — قدم « تاريخ الفلك عند العرب » ولكل من

هذين العملين أهميهما هنا . يشير إليهما ماسينيون ويقتبس منهما فى محاضراته التى اتخذت معهما ذلك المنحى التاريخى ، فهى تدور حول تاريخ المذاهب (المصطلحات) الفلسفية فى الإسلام ، وعنوانها تاريخ الاصطلاحات الفلسفية بالجامعة المصرية . وهو أستاذ تاريخ الفلسفة « الذى يقوم بتدريس مادة الفلسفة الحديثة » ـــ المقصود الفلسفة العامة ـــ كما يقول د . طه حسين الذى ألقيت عليه وعلى دفعته هذه المحاضرات « فقد انتدبته الجامعة المصرية أستاذاً لتاريخ الفلسفة » فألقى بالعربية فى تاريخ المصطلحات الفلسفية أربعين محاضرة »(٧٠)أى أنه أستاذ تاريخ الفلسفة وتاريخ الفلسفة الحديثة ومحاضراته فى تاريخ المذاهب الفلسفية .

هذا هو الإطار والشكل العام للمحاضرات التى كان محتواها يتأرجح بين التاريخ والمعجم ، أما عن التاريخ فالمقصود : تاريخ الفلسفة العربية ، فهو يبين « الطريق الذى اخترناه لتبيان تاريخ الفلسفة العربية(٧١)ويقول : « المقصود من هذه المحاضرات إنما هو إيجاد طريقة فى تاريخ المذاهب الفلسفية» « وقد اخترنا أن نرجع فى تاريخ الفلسفة » . . . أى أنه يؤرخ للفلسفة (العربية) من جهة وللمصطلحات الفلسفية من جهة ثانية (تأسيس قاموس فلسفى عربى » يقول : « وقصدى أن أسلك فى كل باب من أبواب القاموس هذا الطريق . . . » ، «فالمحاضرات تتأرجح بين التاريخ والمعجم كما يتضح من عبارات ماسينيون نفسه الذى يبين أن الطريق إلى تأسيس هذا المعجم هو المحاضرات التى ذكرناها » . ويمكن القول ونحن على قدر كبير من الصواب أن ماسينيون يحاول من خلال الفلسفة وتاريخها أن يعطى مادة تصلح أن يقوم نفر من طلابه بتنظيمها وترتيبها على حروف المعجم فيما بعد لصياغة قاموس فلسفى أشبه بالمعجم الذى وضعته الجمعية الفلسفية الفرنسية .

٢ ـــ المادة والمنهج :

ذكرنا تأرجح ماسينيون بين التاريخ والمعجم ، وتردده بين تاريخ الفلسفة العربية وقاموس المصطلحات الفلسفية ، أى أننا فى الجزء السابق

كنا بصدد الحديث عن الخطة التي كان يسعى ماسينيون لتحقيقها . وفي هذا الجزء سوف نتناول العمل الذي قام به ماسينيون بالفعل أي نتجاوز الخطة الطموحة إلى التحقيق الفعلي وان كنا نود أن نشير إلى أن النص الذي بين أيدينا للمحاضرات لا يمثل ما قدمه ماسينيون تمثيلا فعلياً ، فقد أكمل ماسينيون الجزء الأخير للمحاضرات التي بدأها أحد تلاميذه بالجامعة المصرية ، ومن هنا فإن بعض القصور قد يكون مرده إلى الطالب — كاتب المحاضرات — وليس إلى الأستاذ ومما يؤكد هذا الموقف من جانبنا أننا لم نعثر من المحاضرات إلا على صورتين لنسخة واحدة كتبها الطالب توفيق حامد المرعشلي(٧٢) إحداهما بمكتبة المعهد العلمي الفرنسي للدراسات الشرقية بالقاهرة والثانية بمكتبة الدكتور عثمان يحيي والذي وجدنا بها كثير من الإضافات التي جعلتنا نعتمدهما معاً في هذا العرض التوثيقي .

لن نتناول العمل بالتعليق على المحاضرات واحدة تلو أخرى ، ولن نلجأ إلى تقسيم المحاضرات إلى مجموعات بعضها خاص بمصطلحات المنطق والرياضيات أو الطبيعيات والحياة والنفس ، أو الاجتماعيات والالهيات ، وتصنيفها وبيان حدود العمل وانجازاته على الوجه التالي :

تتوزع الحصيلة العلمية بين نوعين من المواد هما : المصطلحات والاعلام وكلا النوعين لا يقتصر فقط على اللغة العربية بل يمتد إلى الفرنسية ، ويمكن الرجوع إلى الفهارس العديدة في نهاية المحاضرات التي وضعها ماسينيون حيث نجد الآتي : بالنسبة لأسماء المؤلفين (الأعلام) نجد فهرسين : الأوروبي صفحة ١١٣ ، ١١٤ والعربي صفحة ١١٥ ، ١١٦ ونلاحظ على هذا الفهرس الخاص بالأعلام ما يلي : الربط بين أرسطو وإخوان الصفا ، الغزلي بسكال ، برجسون والرازي .

والفهرست الثاني للمصطلحات الفرنسية والعربية يقدم الأول تحت عنوان

Table des technique en francais latin et gerc vocabulaire des terms .techniques de la philosophie en arabe.

فى صفحات ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ثم الاصطلاحات العربيه صفحات ١٢٠ ، ١٢٣ . وكما هو واضح فإن العنوان الفرنسى لفهرس المصطلحات يشى بصلة ما بين مشروع ماسينيون وعنوان قاموس لالند .

ويمكن تقديم الملاحظات الآتية على محاول ماسينيون :

يتصف هذا العمل بانه ليس قاموس غربيا مضافا إليه هوامش عربية ، أى أنه فى الأساس محاولة نحت المصطلح الفلسفى العربى أو العثور عليه من خلال مادة تاريخ الفلسفة العربية . وهو قاموس غير منفصل عن الجهـــود الشرقية والغربية ، بل هو محاولة تأسيس قاموس عربى للاصطلاحات الفلسفية الشرقية والغربية . فكما يذكر اليونان لايغفل عن الهند فى صفحات عديدة(٧٣) ومع ابن قزمان من الأندلس يذكر عمر الخيام من فارس ، ومع هيرودوت يذكر مؤرخ الصين sse ma taien ٢٠٠ ق . م . ومن هنا ضرورة قراءة متأنية للأعلام لا تقتصر على الفهرس بل تبنى أساساً على النص ذاته والسياقات المختلفة للأعلام داخله .

ويأتى فى المقدمة أرسطو الذى يحتل المكانة الأولى . ويذكره ستاً وستين مرة فى ثلاثين صفحة(٧٤) ، ذكر بعضها ماسينيون فى الفهرس وأغفل ذكر صفحات أخرى أشار فيها إلى أرسطو بالفعل(٧٥) . وصورة أرسطو عند ماسينيون هى صورة صاحب الاصطلاحات الفلسفية المحكمة التى لم يعلمها الحمصى فى ترجمته لكتاب أفلوطين ومن هنا نسبه لأرسطو(٧٦)وهو مرتبط بمصطلحات العددوالرياضيات والطبيعيات وما بعد الطبيعة(٧٧) . وهو يقابل هيجل الذى ذكره ماسينيون سبع مرات(٧٨)منها أربعة يقابل فيها بينهما ، وحين يتحدث عن المصطلحات المنطقية يقرؤها عند أرسطو ويضيف استنتاجها فى مذهب هيجل يقول : وحدود المنطق بقيت على حالها ومؤسسها أرسطو ، وهيجل هو أول من بدلها وغير فى أصول أرسطو (٧٩) أنها جزئيات من خواطر هيجل إلا أنها تعتمد على مبادىء أرسطو . ومن هنا نجد أن لغة

ماسينيون كما يظهر من الاحصاء السابق أرسطية وليست هيجلية ، يونانية وليست معاصرة فهو يتبنى الأرسطية مفهوما واصطلاحا ولا يتساوى أرسطو عنده بهيجل رغم ازدهار الهيجلية فى تلك الفترة ، فالكثير من المفكرين يرفضا ن هذه التسمية فقد : « أتى هيجل باستنتاج جديد يعتقد بصحته ، وأن أكثر علماء أوربا يعتقدون بهذا المذهب ولا يودون أن يسموا بالهيجلين »(٨٠).

ويبدو أن ماسينيون قد فهم هيجل خطأ ، ذلك لأنه فهمه عبر أرسطو : فالمنهج الجدلى بخطواته الثلاثة « العدم ، الوجود ، الصيرورة (أسس على النظام المنطقى المعروف (الصورى (المقدمة الكبرى فالصغرى فالنتيجة »(٨١) بل إن تجديد هيجل وانتقاده لمنطق أرسطو قائم على مبادىء أرسطو »(٨٢) وهو – أى هيجل – عنده من السفسطائية « مثل جرجياس الذى عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد وهيجل الذى عاش فى القرن التاسع عشر بعد الميلاد »(٨٣)وهو يتحدث عنه فى المحاضرة السادسة والعشرين عند الحديث عن (مذهب الاجبار الروحانى فى التاريخ (وما التاريخ عندهم إلا إيجاد العقل الكلى بنفسه ، إلا أنه يجمع معه كل من ميكافيلى فى « قوة إرادة البرنس» واسبينوزا فى رسالة فى اللاهوت والسياسة(٨٤)وهو (هيجل) مع هيكل Haeckel من فلاسفة « وحدة الوجود » ويذكر معهما إسماً مغموراً تماماً فى تاريخ الفلسفة هو P. Carus مدرس فى شيكاغو – يرى وحدة الفاسفة لا وحدة الوجود »(٨٥).

ماسينيون إذن أرسطى يفضل المعلم الأول على هيجل صاحب المثالية المطلقة ، بل يفضله أيضا على فيلسوف فرنسا الكبير ديكارت(٨٦)الذى يشيد به دوما ويعطى له الأولوية . فهو يذكر عشرين مرة . ولديكارت بالطبع وضع أثير لدى ماسينيون يختلف عن غيره من الفلاسفة . فهو من الفلاسفة والرياضيين معا مثل نصير الدين الطوس(٨٧)وهو الذى اخترع الهندسة التحليلية(٨٨)وينسب ماسينيون نظرية الذرة لمؤسسها ديكارت(٨٩).

وديكارت هو الذى أضاف علة خامسة (العلة المنطقية) ولا يكتفى ماسينيون بالإشارة إليه فى مسائل الرياضية والهندسة بل يذكره أيضا فى مسائل الحياة : فهو من « الآليون » الذين « يعتقدون أن المادة لها حركة ذاتية وأن الحياة من حركة المادة »(٩١). ومن الغريب هنا أن يقرنه بمواطنه وخصمه جاسندى(٩٢). وهو مع أفلاطون من الواقعيين القائلين بأن الإسم له وجود خاص خارج عن الشيء(٩٣). ويذكره أيضاً دون أن ينسب له مذهباً أو يعرض رأيه فى قضية ، بل أنه يتناول أيضاً - كان حتى لو لم يكن من المهتمين بالموضوع الذى يعرض له كما جاء فى قوله : « أما فى الغرب فإنه غير موجود العقل المنفعل »(٩٤) وهو مثل النظام الذى يرى أن الإنسان هو الروح وهذا عين مذهب ديكارت . ومن الغريب أنه يعود فى المحاضرة السادسة والعشرون عن التاريخ ليجعل من ديكارت فيلسوف الإجبار المادى مع مونتيسكيو وكومت وتارد وكروتشه وماركس مؤسسى فلسفة مذهب الاشتراكيين(٩٥).

وديكارت الذى جعله ماسينيون من فلاسفة الإجبار المادى هـ و « واضع برهان الكمال »(٩٦) وهو القائل بالوضوح والتميز والبديهى كيقين للعقل(٩٧) وهو الذى رتب العلوم على شكل الشجرة (تصنيف ديكارت للعلوم (٩٨) وحين يتحدث عن الفلسفة والمصطلح الدارج يجعل من ديكارت (الفرنساوى) رئيس مذهب جديد فقد نقل مفكراته Medidation (التأملات) وهى أصلا باللاتينية إلى الفرنسية(٩٩). ويقارن ماسينيون تلاميذ ديكارت بتلاميذ الأشعرى فى توسعهم فى مذهب الذرة »(١٠٠).

.. وبينما يهتم ماسينيون بأن يؤكد أن ديكارت هو مخترع الهندسة التحليلية وبأنه مؤسس مذهب الذرة الذى نجده لدى دمقريطس وابيقور ولوكريس وهى مسألة فى حاجة إلى نظر ، فإننا لا نجد نفس الاهتمام لديه فى أن يعطى الأولوية والسبق لابن خلدون فى تأسيس علم العمران أو ادلاجتماع أو فلسفة التاريخ الذى يرجع له الفضل الأول فى طرح موضوعاتها وبيان مسائلها .

فرغم أنه يذكر ابن خلدون ثمان مرات ، وهو عنده يقدم نوعاً من التاريخ العملي (١٠١) ويشير إليه عند الحديث عن اللغة (١٠٢) فأهمية ابن خلدون لغوية (ص ٨٥، ٨٨) . وتصنيفه للعلوم أساس الفنون السبعة في أوروبا (١٠٣) ويضع ابن خلدون بين الاعتقاديون مع كل من « ابن تيمية وابن القيم الجوزية والايجي والتفتازاني وابن خلدون » (١٠٤) . ورغم أنه يشير للطلاب بالرجوع إلى المقدمة إلا أننا لا نجد أي إشارة إلى تأسيس ابن خلدون لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، ولا بيان لأسبقيته فيهما ، تلك المسألة التي تنبه إليها كثيراً من الغربيين . ولئن نلاحظ أن هذا الموقف من الفيلسوف العربي ابن خلدون الذي يتخذه ماسينيون (أستاذ علم الاجتماع الإسلامي بالكوليج دي فرانس — فيما بعد —) يختلف عن موقفه من ديكارت الفيلسوف الفرنسي الذي يجعله مؤسس للذرة وصاحب علة خامسة .

ولا يقتصر اهتمام ماسينيون فقط بديكارت من الفلاسفة الفرنسيين ، بل يقدم لنا ما يقرب من ثلاثين فيلسوفا فرنسياً هم : رينان ويذكره (١٤ مرة) . ويذكر برجسون « صاحب الكتب المشهورة في علم النفس وغيره من علوم الفلسفة (١٠٥) الذي جدد مذاهب الحيويين ببراهين جديدة في زماننا ويذكره ١٢ مرة ، فقد دقق في بلورية العين (١٠٦) وهو يقول مثل ابن عربي بالخلق كل وقت (١٠٧) ويذكر أيضاً كومت Comte ثمان مرات. وكذلك روسو الذي يذكره ستة مرات .

ويذكر روسو أربعة مرات ويتناوله في مجالات بعيدة تماماً عن الموضع الذي يوضع فية عادة فهو يتحدث عنه في حديثه عن الطبيعة والوجود ويذكره بعد أرسطو مباشرة « روسو الفرنساوي يستعمل الطبيعة بمعنى الحالة الأولى الصالحة من كل شيء مثل الإنسان الأول قبل التمدن والطفل قبل التعليم ، ولكن بعد المخالطة يخرج من الطبيعة ويندرج تحت الفساد (١٠٨) . وهذا الرأي أيا كانت مناقشتنا له إلا أنه أقرب إلى فلسفة التارخ والسياسة منه إلى مباحث الميتافيزيقيا والأنطولولوجيا وهو السياق الذي يستخدمه فيه

ماسينيون . فروسو يتحدث عن تصور ما للطبيعة الإنسانية لكنه لا يبحث فى الطبيعة ، فهو حديث عن العقد الإجتماعى الذى يفسره ماسينيون فى المحاضرة الرابعة والعشرين بأنه : « حياة الإجتماع نتيجة جهد العقول وأن الترقى الإجتماعى باجتهاد العلماء ، (وتلك هى) نظرية الرابطة الإجتماعية عند روسو »(١٠٩)وماسينيون يصحح هذا الفهم Contract social ويجعله سبباً للحركة الفوضوية عند كربوتكين وباكوتين (١١٠) .

ويذكر لا مارك ثلاث مرات ومثلها يذكر باستير وميخلسون وكونديلاك ولوبون ويذكر مرتين كل من دور كايم وبوانكاريه تارد ، ثم يذكر كلا من جاسندى ودوهيم ، وكلودبرنار وتين وفولتير وجويو وبوترووا مرة واحدة بالإضافة إلى ذكر العديد من العلماء الفرنسيين أيضاً حتى لولم يكن لهم ذلك الوزن العلمى ، فمع داروين ولامارك وسبنسر (أصحاب نظرية التطور من الإنجليز والفرنسيين يذكر فاير Faure والأخير من علماء الحشرات يعيش الآن كفلاح فى جنوب فرنسا وله تجارب مهمة وتدقيق فى غريزة الحيوان من فصيلة الزنابير (١١١) .

ويلاحظ أيضاً كثرة الاستشهاد بأعلام الصوفية وأصحاب الفلسفات الغامضة ، فبالإضافة إلى أستخدام المادة الصوفية والتركيز عليها نجد ذكر عدد كبير من المتصوفة والغنوصيين وأصحاب الفلسفات السرية أو الباطنية يذكر أخوان الصفا فى معظم صفحات النص (٣١ مرة) فهو يرجع إلى كتبهم (صفحات ٤ ، ٥ ، ١٨ ، ٢٣) ، ويربط بينهم وبين أرسطو صفحات ٤، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٣٧ ، ٩٤) ، فهم أساس الرياضيات والموسيقى (ص ٢٣ — ٢٤) ولهم تعريفهم للطبيعة فى الجزء الثالث من الرسائل ، وللهيولى والصورة (ص ٢٧ — ٢٨) والحركة (ص ٣٠) والنفس (ص ٢٣) والغريزة (ص ٤٦ — ٤٧) والعقل (ص ٥٠) ويورد ترتيبهم للعلوم (ص ٨٦) وتقبلهم لثنائية الطبيعة (ص ٩٤) ويقصد بها ثنائية تفسير الوجود عند أرسطو وهى المبادىء الهولى كالهيولى والصورة .

ويذكر الغزالى ٣٦ مرة فى معظم صفحات المحاضرات من الصفحة الأولى للأخيرة، يستشهد بمعظم كتبه بدأ من الأحياء وما فيه من الفاظ تدل على معانى العلوم وتفيدنا فى بيان المصطلحات حتى «كتاب المنقذ من الضلال» الذى يعده ماسينيون «تاريخ أحوال النفس ويذكره فى حديثه عن فلسفة التاريخ» (١١٢).

ولا يغفل عن ابن عربى — الذى يكتبه أحياناً ابن العربى — ويعتمد على مصطلحاته الصوفية (صفحات ٦ ، ٨ ، ٧٥) ويقارنه ببرجسون (٢٤ ، ٣٩ ، ٧٣) وهو عنده يقول باراء الفلاسفة (٣٤) أى أنه من متفلسفة الصوفية يجمع بين العقل والروح (ص ٥٢) ويتخذ منه ماسنيون مصدراً لمعرفة سهل بن عبد الله التسترى الذى ذكر فى الجزء الأول من الفتوحات المكيه (ص ٥٠) وهو — أى ابن عربى باحث محقق يرجع البحث المنسوب للغزالى فى « المغنون الصغير » إلى أبو على المسفر السبتى (ص ٥٣ ، ٩٣) يقول بوحدة الوجود والغناء المطلق (ص ٥٨ ، ٧٦ ١٠٥ (ومن نتائج مذهبه « أن المعدوم شىء لأن العدوم عين الموجود» (ص ٧٧ (ومن تلاميذه : الصدر الرومى وعفيف الدين التلمسانى (ص ٧٧) رد ابن تيميه عليه (ص ٧٦ ، ٧٧) وتحدث ماسنيون عن نظريته فى وحدة الأزمان دون أن يسميها (ص ٨٠ — ٩٦) ويحدد موقعه فى تاريخ الفلسفة العربية (ص ٣) .

ويتحدث ماسينيون عن القشيرى ورسالته (ص ٦ ، ٥٧٦ ، ٢) وعن كتاب روزبهان والكلاباذى والعروسى والهجويرى (١١٣). وابن برجان السلمى (ص ٦٢ ، ٩٣) وابى سعيد بن أبى الخير (ص ٥٧) والحسن البصري وابن مسرة والمحاسبي (ص٩٢) وعبد القادر الجيلانى (ص ٩٣ ، ٩٦). وابن سبعين الذى يذكره خمس مرات صفحات (٤٩ ، ٧٧ ، ٩٣) . وابن سالم والسالمية الذى كتب عنهما فى دائرة المعارف الإسلامية (١١٤) يذكرهما صفحات (٥٠ ، ٧٦ ، ٩٢) وابو طالب المكى الذى يؤكد على أهمية كتابه (١١٥) وابن عطاء الله (ص ٥٢) . ويذكر كل من النابلسى ثلاثة مرات

(ص٧٨ ، ٨٠ ، ٩٣ (وكذلك الجنيد (٨ ، ٥٧ ، ٧٦) والكرخي مرتين (١٨ ، ٧٨) وابن الفارض (٥٧ ، ٥٨) ثم الحريرى والحريرية والرفاعى (٧٨) والكاشانى (ص ٦) وابن حمزة البغدادى (ص ٥٦) .

ولا يغفل عن اهتمامه الأساسى بالحلاج الذى يذكره عشر مرات(١١٦) كما يذكر أيضاً الحلاجية . فقد فرق الحلاج بين الإرادة (المشيئة) والأمر بالمعروف ، الأمر غير مخلوق أم الإرادة مخلوقة (ص ٥٠) . والحلاج شهيد المحبة وقتيل الاستياق يعرض مذهب فى الحب بعد الحديث عن ستاندال فى كتابه De l'amour وعند أفلاطون فى المأدبه (النادى وبعد أن يتحدث عن كتب ابن داود الأصفهانى ويستشهد باشعار ابن الرومى وابن الفاوض ، وبعد أن يذكر المذاهب القديمة فى الحب ويعطيها أسماء غريبة مثل : مذهب طالع النجوم (تسديس أو تربيع (ليطليموس ، والطبائع لجالينوس والمغناطيس المذكور فى النادى (المأدبة) لأفلاطون يذكر الحب العذرى ويتوسع فى المحبة الصوفية متناولا مذهب الحلمانين وهم قوم عباد للجمال ينظرون للوجوه الجميلة ويسجدون لكل صورة حسنة (ص ٥٦ (نقف طويلا مع مذهب الحلاج . والمحبة عنده ذات الألهية ومحبة العبد للرب أفضل من الإيمان . ويذكر كثيراً من أشعار الحلاج فى الحب والحلول مثل قوله :

للناس حج ولى حج إلى سـكنى   تهدى الإضاحى واهدى محبتى ودمى

ويقـــوله :

لبيك لبيك ياسرى ونجـــواى   لبيك لبيك ياقصدى ومعنـــاى

أدعوك بل أنت تدعونى إليك فهل   تأديت أياك أم ناديت أياى

وهو يبين مذهبه فى أن (الأمر عين الجمع) (ص ٥٨) ويظهر ذلك من قولته المشهورة أنا الحق (ص ٧٨) وهو القائل لكل حق حقيقة ولكل خلق طريقة ولكل عهد وثيقة (ص ٨٠) ويحدد ماسينيون له مكانته فى تاريخ

الفلسفة العربية (ص ٩٢) ويقارن قياساته فى الطواسين فى التنزيه باب(١١) والحلول مع قياسات Raman bull المتوفى سنة ١٣١٥م (١١٧) .

٣ – بين الحقيقة الفلسفية الواحدة والفلسفات القومية المتعددة :

ومن بين التباينات العديدة بين ماقدمه أو أقترحه ماسينيون فى مشروعه وما قدمه بالفعل تأرجحه بين الميتافيزيقا والتجريب أو الواحدية والتعددية الذى ظهر فى التناقض بين القول بحقيقة فلسفية واحدة خالدة وبين القول بفلسفات قومية ودينية متعددة . لقد أحتذى ماسينيون فكرة لالند القائلة بأن الحقيقة نتاج العقول ، وليس وقفاً على جهد فرد واحد ، وبين ذلك ذلك فى خطته بأن مشروعه (القاموس) جماعى يصل إليه طلابه بالتعاون وأطلق على ذلك أسم طريق الحق كما يظهر من قوله : « أرادتنا ماثلة إلى حال التأليف والصلح الحقيقى والاتفاق الجوهرى بين الأمم والأشخاص ، أملنا أن نصير معاً من الاختلاف إلى لاتحاد الصحيح وطلب الحقائق مع نظام »(١١٨)يتضح ذلك من العبارة التى ختم بها محاضراته والتى تذكرنا بمذهب الحلاج وابن عربى فى وحدة الأديان وهى قوله : « جمعنا الله تعالى إلى الأبد فى تحقيقه وتصديقه واشتياقه سبحانه وتعالى » (١١٩) .

ورغم هذا الإيمان بالحقيقة الواحدة فالفلسفة كما تظهر فى النص الذى بين أيدينا تبدو مرتبطة بالأديان المختلفة أى دينية وكذلك البلدان المختلفة أى قومية أن لم تكن عنصرية . فديكارت فيلسوف « فرنساوى » (ص ٢٧) وهو ينسب للغرب (ص ١٨ ، ٥٣ (وكونديالك الفرنسى (ص ٢) ولا يقتصر ذلك على الفلاسفة الفرنسيين فقط فترجعه إلى نوع من الحماسه العاطفية بل يفعل ذلك مع غالبية من يذكرهم من أعلام .

يذكر بوختر الالمانى (ص ٣٨) وفندت Wundt الألمانى (ص ٨٧) وليبنتز الإلمانى (ص ٩٨) والعالم الألمانى المستشرق ديترتيشى (ص ٥) ، وهيجل أحد الفلاسفة الألمان (ص ٧) وهيجل الألمانى(ص٨٦) وفلوجل الألمانى (ص ٦) وتظهر الغمزات العنصرية حين يذكر Sprenger

الالمانى ، عاش فى الهند وخدم انجلترا (ص ٦) وهورتن الالمانى (ص ٦)
و Eisler الالمانى (ص ٧) والفيلسوف الألمانى شوبنهور
(ص ١١) وجورج كانتور ، وهو فيلسوف المانى (ص ٢٠ (وحقق
الألمانى سوبنهور (ص ١١) وجورج كانتور ، وهو فيلسوف المانى (ص٢٠)
وحقق الألمانى Weirstress (ص ٢٤) .

كما يذكر اشهر المؤرخين الصينين (١٢٠) ومحمد بن أحمد أفندى الأسكندرانى ١٢١ ، والعلامة الأسبانى Ribera (ص٨٩)واسين بلاتيوس وهو أسبانى (ص ٦) بالإضافة إلى اسبينوزا الهولاندى الذى يذكره صفحات (٢٧ ، ٩٨ (ودى فريس فريس الهولاندى (ص ٤٥ (وفى مجال العلوم يذكر نظرية Sorenzi الهولاندى لونهوك الهولاندى (ص٤٢) . ويذكر بيكون أنجليزى » (ص ٨٦ ، ٩٧ (الأنجليزى فورمن دالب والفيلسوف الأنجليزى والاس Wallace (ص ٣٥) P. Carus مدرس فى شيكاغو ، ودانتى « الطليانى » (ص ١) ابن قزمان القرطبى والكلاباذى من كلا باذ (ص ٦) بلدة فى خراسان ، وروزبهان البقلى وهو شيرازى (ص ٦) ابن مسرة القرطبى (ص ٩٢) وكذلك يتناول مذهب ديمقريطس وابيقرر ولوكريتش عند اليونان (ص ٣١) وفيثاغوريس أحد فلاسفة اليونان (ص ١١ (وهو لا يكتفى بذكر الأشخاص فقط ونسبتها إلى قوميتها بل يتناول كذلك البلدان والأعمال المرتبطة بقوميته الخاصة . مثل : السنغال الفرنساوى (ص ٨٩) ، و « دائرة المعارف الفرنسية » ص٨٦

ولا يكتفى بربط الأعلام والأعمال بالقومية فقط بل كذلك ينسبها إلى دينها : فأسبينوزا يهودى هولاندى (ص ٤٧) بوثيوس رجل مسيحى (ص ١١) وابن جبيرول من اسبانيا وهو يهودى (ص ٧٥) ويتحدث عن موسى بن ميمون فى اليهودية ١٢٢ وابيلارد فى النصرانية وابن سينا وابن رشد فى الاسلام (ص ٧٨) ويذكر الفرس الشيعة (ص ٨٨) ويحيى بن عدى فى النصرانية وابن الحسين يهوذا اهللوى فى اليهودية ، والأشاعرة فى الاسلام

(ص ٧٨ (والشيخان النحويان اليهوديان Jahuda Chayngy وأبو الوليد بن جناح (ص ٨٣) بل أنه يضع بين المتكلمين (علماء الكلام) سعيدياً الفيومى اليهودى (ص ٥٢) بين الحكماء قسطا بن لوقا نصرانى ، ويحي بن عدى نصرانى وعيسى بن زراعة نصرانى ، وأبو أيوب جبيرول يهودى وموسى بن ميمون يهودى وأبو الحسين يهودى وشبلى شميل نصرانى (ص ٣) .

وبعد هذا الوصف التحليلى لمضمون نص ماسنيون علينا أن نتوقف قليلا إذا كنا نريد تطوير محاولته من أجل بناء (تحديد بنيه (القاموس الفلسفى ، وذلك من أجل بيان بعض الملاحظات حول أيجابيات العمل وأهم انجازاته وكذلك مايندرج فى السلبيات ومايجب تجاوزه حتى يتضح فى أى أتجاه يكون التطور وإلى أى الجوانب ينبغى أن يقدم النقد :

ثالثاً — النقد والتطوير (السلبيات والإيجابيات) :

أن الوصف التحليلى لنص محاضرات ماسينيون لن يكتفى بعرض المشروع القاموسى ، بل من الممكن ، وهذا مايطمح إليه أن يعيد بناء المشروع ، هذا القسم — من الدراسة — هو نوع من اعادة البناء أى أعطاء تصور كامل لسلبيات وإيجابيات المشروع — وفى أظهار الأولى والتأكيد على الثانية يمكن دفع المحاولة للامام . ولسنا نريد طرح أمنيات ومطالب إلى المؤلف والمؤلف فكلاهما تحدد مكانه فى تاريخ الفكر أى أنهما أصبحا مشروعا مكتملا ومن هنا دورنا نحن ، ولا نريد بالطبع التهميش على العمل أو الاجتهاد فى شرح المتن أو كتابة حاشية على الشرح أو التعليق على الحاشية والشرح . بل تهدف إلى أعطاء قراءة جديدة لها رؤية مستقبلية للقاموس الفلسفى العربى من أجل تطوير محاولة ماسنيون . ويتم ذلك بانتقاء بعض المواقف وابراز ما إذا كانت إيجابية أم سلبية .

١ – الإيجابيات :

(أ) ١ – الاهتمام بقضايا معاصرة : ويظهر ذلك فى أحساس ماسينيون بالواقع والتاريخ ، أى أنه يملك كلا المحورين الأفقى والرأسى . فألم يتطور الفكر العربى الاسلامى من جهة ، وهو على وعى بعمق الواقع الإجتماعى والسياسى العربى المعاصرله من جهة ثانية . لذا نجده يتناول العديد من القضايا الهامة التى تحفل بها حياتنا الفكرية وإن كان يمر عليها مر أم خشية التوقف والتحليل وتقديم الحلول ، يظهر ذلك فى العديد من المسائل التى أثارها : فهو يذكر مراكز المدنية الاسلامية فى العالم ودورها – وهى أشبه بالمراكز الثقافية للدول الآن – ويبين مدى انتشارها فى آسيا وأفريقية وأوربا وأمريكا(١٢٣)وهو ثانياً يشير إلى المجلات والدوريات الثقافية والفكرية ففى هامش جانبى صفحة(٩٧)يحيل القارىء إلى المؤيد أغسطس ١٩١١، وحين يتحدث عن المستشرق الالمانى هورنن يشير إلى مقالة ترجمت له فى المؤيد منذ ثلاثة سنوات (ص ٦) ، كما يشير إلى مجلة العالم الاسلامى المجلد السابع (ص ٩٧) وحين يتحدث عن هيجل ومؤلفاته يرجع إلى مجلة Revue des deus monds وكما يشير إلى دائرة المعارف الانجليزية والفرنسية . وينطلق منها ليطرح قضية هامة ملحة إلاأنه يتخذ منها مواقف متناقضة . وهى قضية اللغة العربية نكتفى هنا بابراز مواقفه : الأول يتعلق بتفرقة رينان بين اللغات السامية والآرية ، أو بين العقلية السامية والآرية ، وقد بينا رأى ماسينيون فى أنه لا يوافق على بعض أحكام رينان . وان كان عرضه لذلك تم بشكل غامض غير محدد ، إلا أن وجهة نظره تظهر أوضح فى الفصل الذى كتبه فى كتاب « جب » « مصير الاسلام » حيث يقول : « أن ربط الحوادث المتتالية لتكون سلسلة يظهر فيها التطور وهو المنهج الذى ألفناه أكثر من سواه هو (المنهج) الذى يندر وجوده بين المسلمين . . فلا جرم كان منهج المسلمين فى التاريخ ينزع غالبا إلى

التجزئة لا إلى ربط الحوادث لتكون سلسلة متصلة الحلقات (١٢٤) .

والمثال الثانى الذى يبين قدرة ماسينيون على أبرز المشاكل الدقيقة فى الفكر العربى المعاصر له يتمثل فى موقفه من مشكلة « اللغة العربية » العامية والفصحى ، وهى المشكلة التى شغلت الفكرين والكتاب والأدباء العرب أمثال : عبد العزيز فهمى ، ولطفى السيد وجميل صدقى الزهاوى وسلامه موسى وغيرهم ويتوقف ماسنيون طويلا أمام هذه القضية بحكم دراسته ويحولها إلى قضية فلسفية يخصص لها المحاضرة السادسة والثلاثون بعنوان (الفلسفة والمصطلح الدارج) . ويعرض لوجهة نظر الشاعر والمفكر العراقى جميل صدقى الزهاوى الذى يرى أن المستقبل للدارج (العامية) وذلك نتيجة من قوانين نشوء اللغات وتطورها ، وأدلة دلك عنده أن الدارج أوفق للتحليل من الفصيح وأن الدارج هو مرآة الواقع الفكرى والوجدانى — وبعد أن يبين الاسانيد التاريخية لرأى الزهاوى وهورأى أعتنق هو نفسه لفترة يرجع ثانية فى فقرة هامة عن ضرورة اللغة العربية تحت عنوان أنجال الشعوبية وعمومية اللغة العربية يتوقف عند هذا الرأى وبتنمده برفق فالعربية الفصيحة عامل توحيد تصل عن طريقها الأمة إلى عموميتها » فإذا تغلب الدارج على الفصيح تفقد الأمة عموميتها (١٢٦) .

(ب) **الإشارة إلى المفكرين المعاصرين** : إن وجود ماسينيون بمصر ودراسته السابقة بالأزهر ، وانفتاحه على العرب مصريين وعراقيين وشوام ومغاربه عن طريق رحلاته وصداقاته كل ذلك جعله على صلة بالحياة الفكرية والثقافية فى مصر داخل وخارج الجامعة وجعله على بينة بنتاج الكتا ب والمفكرين ، يقرأ لهم ، ويستشهد باراِئهم ويشير إلى أفكارهم ، لايقتصر ذلك على المصريين فقط بل غيرهم من العرب والمستشرقين فبالاضافة إلى أشارته إلى كتابات سنتيلانا ونلينو يذكر جميل صدقى الزهاوى كما يذكر

توفيق صدقى (١٢٧) ، ويتوسع فى شرح نظريتهما ويعرض لشبلى شميل (صفحات ٤٣ ، ٤٤ ، ٩٤) ويشيد بعمله ويرى عمله (فى ترجمة دارون نجنر) نموذجا للرسائل التى يجب أن ينقل على غرارها إلى اللغة العربية (ص ١٠٠) كذلك يعرض لفارس الشدياق — (ص ١٠٢) ومحمود شكرى الالوسى حين يتحدث عن معنى التاريخ (ص ٦٦) ومحمد أقبال (ص ١٠٥ (ويشير إلى كتاب الشيخ محمد شريف فى علم النفس (ص ٤٦) .

كما يشير إلى كثيرا من الغربيين المعاصرين له مثل P. Carus مدرس الفلسفة فى شيكاغو . إلا أن ما يجب أن نتوقف عنده هو اشارته إلى عدد من الاعلام الذين قدموا اسهامات عديدة ومن الممكن اعادة كشف اعمالهم وبيان جهودهم مثل « توفيق صدقى » الذى يكتب عنه فى المحاضرات مضيفا إلى ما كتبه الناسخ بخط يده ما يلى فى « حديثه عن النشؤ » والارتقاء : « وصف مشكلات المبحث ومناقشة الاكثرين شبلى شميل وتوفيق صدقى فى زماننا هذا » مذهب توفيق صدقى فى الأعضاء الاثرية هو القائل بابقاء النوع مع تغير صفاتها (١٢٩) بالاضافة إلى ذلك يذكر جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا (ص ٩٣) والكواكبى (ص ١٠٣) .

(ج) الاجتهاد فى الترجمة ، وتقديم ترجمات خاصة به :

ففى موضوع « الحياة » ومصطلحاتها ، المحاضرات من ١٥ حتى ١٨ نجده يقدم ترجمة صوتية لمصطلحات المذاهب الحيوية ينهج فيها نهج القدماء فى نقلهم للفلسفة اليونانية والافغانى فى « الرد على الدهريين » فيتحدث عن : الميكانيسم ، الاليون والاورجانيهم أى العضويون والفيتاليم أى الحيويون ، واحيانا لا ينقل النعلق الأعجمى إلى حروف عربية ، بل يجتهد فى أن يصل إلى الفاظ عربية للمعانى الدقيقة النفسية والشعورية ففى المحاضرة التاسعة عشر فى « معنى النفس » الاحساس ، الفكر ، الارادة يعطى قائمة بترجمة حوالى ستة عشر مصطلحا فى معنى الاحساس فاللفظة Sensation يشتق منها جملة كلمات لكل منها معنى خاص بها نضع لها اصطلاحات عربية على قدر

الامكان مثل : حى ، حساس ، احساسية ، ثم يذكر من الاصطلاحات الخاصة بذلك فى علم النفس ما يأتى : انفعالات ، عواطف . (نزعات) اهواء أو ميول شعور ، لا شعور انتباه ، هذيان ، أنانية ، الفه ، انشراح ، ألم وغيرها (ص ٤٧ ، ٤٨) .

(د) الوعى بتاريخ الفلسفة - يونانية ووسيطة وحديثة ومعاصرة : والذى يتضح فى تحديد خطوات منهجه السابق واستشهاده بالفلاسفة القدامى والمحدثين حسب الاهمية التاريخية والوظيفية لكل منهم . ويظهر ذلك أيضاً فى نزعة التأثير والتأثر التى تطغى على نص المحاضرات . فهو يتعمق تأثير الفلسفة الإسلامية على اليهود والنصارى خاصة تأثير ابن رشد على الاكوينى وسيجر دى برانت من جهة ، وأثر المسلمين على التصوف اليهودى من جهة ثانية . ويظهر وعى ماسينيون بتاريخ الفلسفة فى عدة نقاط ، منها : بيان التفصيلات الدقيقة داخل المذاهب الفلسفية المختلفة مثل قوله : توسع مذهب الذرة المقتبس من دمقريطس بين أصحاب الأشعرى كمثل توسعه بين أصحاب ديكارت ، وكما تفرع ديكارت إلى مالبرانش واسبينوزا تفرع الأشعرى إلى الباقلانى وابن عربى » (١٣٠) .

كذلك يمتلك ماسينيون قدرة فائقة على الربط بين المذاهب المختلفة ، فنظارية برجسون فى الزمان هى رجوع إلى نظرية محمد بن زكريا الرازى ، والكشف (الحدس والالهام) عند الغزالى مثل الكشف عند بسكال (١٣٢) . ويبين انتقادات زينون للكثرة والحركة ويوضح كيف تجاوز النظام ذلك إلى القول بالطفرة (١٣٣) .

(ه) تنوع المصادر المستخدمة : يرجع ماسينيون إلى المراجع الأساسية التى يحتاجها بحثه سواء كانت غربية أو عربية ، ويشير إليها وينقل عنها ، ويذكرها . ومن هذه المصادر والمراجع : كتب أرسطو فى المنطق كلها ، وكتب أفلاطون : المأدبة ، الجمهورية والقوانين ورسائل إخوان الصفا ، ومقابسات أبو حيان التوحيدى وكتب الغزالى : الاحياء ، المنقذ من الضلال ، ومعيار العلم . وفتوحات ابن عربى المكية بالإضافة للكتب العلمية : لداروين

أصل الأنواع ، وللامارك وشبلى شميل وكتب الرياضيات عند فيثاغورس والبتانى والطوسى وثابت بى قرة واقليدس وغيرها .

وتوجد بالإضافة للكتب الفلسفية والمنطقية والعلمية مصادر أخرى يشير إليها ويعتمد عليها توسع من الفهم الضيق لمعنى الفلسفة ، فهو يشير إلى آيات القرآن وكذلك الأناجيل ويرجع إلى ترجمة نشيد الانشاد وديوان شعر المتنبى وابن الرومى وأشعار الحلاج ، وكتب ابن داود للأصفهانى وغيرها مما يجعل القارىء يشعر برحابة الفلسفة وعدم اقتصارها على المجردات والمقولات الفلسفية الخالصة . حيث يغلب على أسلوبه الثراء والخصوبة اللغوية التى تحل محل جفاف التجريدات .

(و) **الاجتهاد فى التخريجات والنتائج** : وتبرز النزعة الابداعية الخلاقة ليس فقط فى الوعى بتاريخ الفاسفة ودقائق مشكلاتها ولا فى تناول القضايا المعاصرة والجراءة فى معالجتها ، ولكن فى تلك اللمحات الخاطفة والحدوس السريعة التى تظهر بين الحين والحين مثل : « أن العرب لم يأخذوا النحو عن اليونان ، بل أنه إبداع عربى خالص ، ورغم أن تلك حقيقة تاريخية إلا أن ميل المستشرقين إلى إرجاع كل إبداع لإبداع سابق ، جعل إقرار ماسينيون لهذه الحقيقة لمحة خاطفة ذكية . ونفس الموقف يظهر بوضوح فى تفسيره لنشأة التصوف الإسلامى نشأة بيئية خالصة من عناصر إسلامية تعتمد على بعض نصوص القرآن وحياة النبى وأقواله وحياة الصحابة ، دون رد هذه النشأة إلى عوامل خارجية سواء هندية فارسية أو مسيحية ، يونانية فقد تحددت معالم التصوف كعلم للأخلاق والنفس قبل التأثر بالعلــوم الدخيلة (١٣٤) .

وفى بيانه اسهامات البيرونى فى فلسفة التاريخ حدس هام يجب أن يتابع وتفسير كتاب الغزالى « المنقذ من الضلال » على أنه كتاب فى التاريخ : تاريخ تطور النفس قدرة تخريجية خلاقة ، والإشارة إلى رأى توفيق صدقى

فى التطور يجعلنا نضع يدينا على أنه من أهم اعلام التيار العلمى فى الفكر العربى المعاصر مع شبلى شميل واسماعيل مظهر وجميل صدقى الزهاوى (١٣٥) وإسماعيل أدهم (١٣٦) وعصام الدين حفنى ناصف .

وبالإضافة إلى ذلك نجد الجرأة فى تناول « الاتجاهات الهامشية » فى تاريخ الفلسفة الإسلامية ، وتعميقها تلك النزعات التى تستهوى أمثال ماسيون وكراوس حيث نجده يشير هنا فى المحاضرات وكذا فى دائرة المعارف الإسلامية (١٣٧) إلى ابن حائط — وابن يانوش والرازى الطبيب . ويتناول القائلين بالتناسخ فى الإسلام ويذكر الزنادقة الثلاثة : أبو حيان والرواندى والمعرى وإن كانت الدراسات الدقيقة من الممكن أن تعطى أحكاماً أخرى فى هذه القضية وصورة مغايرة لهؤلاء تضعهم فى القلب من تاريخ الفلسفة

وبجانب هذه المزايا والايجابيات التى يمكن أن نضيف إليه إرجاعه إبداع الفلسفة اليهودية إلى فضل المسلمين ، ومقارنته لاسهامات العرب مع الفلاسفة المعاصرين . مع هذه الإيجابيات هناك العديد من الملاحظات التى تؤخذ على المشروع يمكن إجمالها فيما يلى :

٢ — المآخذ والسلبيات :

(أ) التأرجح بين التصورات الفلسفية والمعرفة العلمية ، والخلط بين الفلسفة والعلم : يفهم ماسينيون الفلسفة باعتبارها أم العلوم ، وهذا صحيح تاريخياً ، ومن هنا تقسيمه للمحاضرات إلى محاضرات فى المنطق باعتباره المدخل أو إله الفلسفة أى الاورجانون . ثم يتناول الكليات العلمية وهى على التوالى : أصناف العدد ، حساب المعلومات ، والمجهولات (الجبر والمثلثات ، ثم السماء والدهر ويقصد بهما (المكان والزمان) أى نظريات الهندسة ، ثم علم الموسيقى .

ويتناول فى الأربعة محاضرات التى خصها « لمعنى الحياة » : الحياة ومعناها ، الأعضاء والتناسل ، أصل الأنواع ، النشوء والارتقاء من وجهة

نظر عالم لا فيلسوف أى أنه يقدم لنا العلوم ذاتها خالصة بدلا من فلسفة العلوم طبيعية كانت أم رياضية ، ويذكر بالتفصيل العلامات الرياضية المختلفة

< ، > ، V̄ ، = ، – ، + ، Z

كما يذكر من اخترع هذه العلامات ؟ ومتى أخترعت ؟ واستعمالاتها (١٣٨) وهو حديث أقرب إلى العلم وتاريخه منه إلى الفلسفة ومذاهبها .

ويغرقنا فى الحديث عن : جيب الزواية ، وجيب التمام والظل ، وظل التمام ، القاطع ، القاطع التمام ، والسلسلة المائلة أو سلساة تايلور ، والقاسم المشترك الأعظم والمضاعف البسيط ، والعدد المتناسب أو المحدود والغير متناسب أو الأصم ، يغرقنا فى دقائق علم الجبر وعلم الحساب ويبعدنا عن الفلسفة . وفى المحاضرة السادسة عشر عن الحياة يتحدث عن الوظيفة والعضـو ويذكر العـديد من أسماء العلمـاء مثل برتلوط Bertlalt ، وكانتور وابقراط وجالينوس واقاطنيوس واسليباد دى بتين وباستير ومتشكوف دون ربط جهودهم بمباحث الفلسفة . وفى المحاضرة السابعة عشر نجد التوسع فى بيان نظريات وتجارب كل من لوينهوك ، وبارى Parry ولوب وباستير وداروين ولامارك وكوفيـير ومنديل ودى فريس وويسمان وريزك وينتج عن هذا الحشد إيهام بوفرة المعاومات ولا يعطى فلسفة وينشأ عدد من المغالطات .

(ب) فوضى المعلومات وغياب المنهج :

ينشأ عن الخلط السابق بين العلم والفلسفة مغالطات نتيجة الحرص على تقديم مادة علمية كثيرة ومكثفة ، ويؤدى بالتالى ازدحام المعلومات إلى الغرق فى التفصيلات على حساب الفكرة العامة أى التشتيت والتجزئ بدلا من التعميم والتركيز . ومن يطلع على النص يلمس بنفسه ما تحتوى عليه الصفحة الواحدة من أسماء الأعلام ومصطلحات العلوم والنظريات المختلفة ، بل ويجد تفصيلات كثيرة فى الآراء المختلفة فيما يتعلق بأى علم من العلوم . فنذكر فى علم الاحياء أولا معانيه فى اللغات المختلفة . ثم يذكر اختلاف العلماء فيه

« اختلاف الطبيعيون والمتكلمون فى معنى هذه الكلمة فاستعمل الغزالى فى كتاب المقصد الاسنى « صحيفة ٦٣ — طبعة مصر » كلمة الحياة « ويصححها فى الهامش (الصفة الالهية) بمعنى عام خلافاً لاستعمال علماء هذا العلم » (١٣٩).

ويبين ماسينيون معنى الحياة عند الانيمسيسم (النفسانيون) Animisme وفلاسفة هذا المذهب يعتقدون أن المادة الحيوية مركبة من سببين : (١) النفس ، (٢) العناصر المادية . وأن هذا الرأى يوافق رأى أرسطو ، وتبع أرسطو إخوان الصفا (الرسائل — ج ٢ ص ٣٣٢) . وكتاب تبيان الأسرار الربانية فى النبات والمعادن والخواص الحيوانية لمحمد بن أحمد أفندى الاسكندرانى . وقد أنكر وجود النفس الحيوانية ديكارت وبخلافه فى ذلك لبينتز واستاهل . ثم يتحدث عن الميكانيسم (الاليون) ويعطى كماً هائلا غير مترابط من المعلومات فالآليون من الآلة ، وهم الدين يعتقدون أن المادة لها حركة ذاتية وأن الحياة من حركات المادة . وهؤلاء قسمين : الذريون (القائلون) بالذرة والمذهب الأول من المذاهب القديمة منهم انكسماندر وجماعة يونان ، وكذلك جالينوس القائل بالاعتدال بين الأخلاط الأربعة وكذلك مذهب ديكارت وجاسندى من القرن السابع عشر و Buchmer بوخنر الألمانى المتوفى من نحو ٢٠ سنة (١٤٠) ، ومذهبه واضح بكتاب النشوء والارتقاء ترجمة الدكتور شبلى شميل ، وهو مذهب مادى محض .

ويذكر المذهب الثانى ويمثله أوستولد Astuold ولوب Loeb وبرتلوط Berthclat صاحب النجاب المشهورة فى تركيب المادة العضوية وجداول الأطعمة . . (بيان درجة تحولات القوى الطبيعية والكيماوية إلى القوة الحيوية على اختلاف الأطعمة ! ! ص ٣٨) ويتابع ماسينيون فى الصفحات التالية ٣٩ و ٤٠ ، حيث يتحدث عن « تركيب الأعضاء عند المتأخرين من فلاسفة الافرنج عبارة عن معمل متحرك فيه شغل لا يقف أو قوة محبوسة فى صورة محدودة من ضغط الأحوال الخارجية وهذه القوة

تجتهد باجتهاد مستمر واحتزار دائم وتجدد فى كل وقت بشرط اعتدلها الخارجى » (١٤١) .

ويتحدث فى الهندسة عن : (١) مصطلح علم الهدسة ، (٢) والمكان

١ — القضاء الاقليدس وانتصار لوبتشفسكى Lobatahewsky .

٢ — مسألة التحويل (يقصد الديمومة) فى مذهب برجسون .

٣ — مذهب انقباض الدهر فى تجارب ميكلسون Michalson .

وهو يفيض فى بيان هذه النظريات بشكل أقرب إلى العلم — إلى الفلسفة ونفس الأمر نجده فى حديثه عن الموسيقى فى المحاضرة العاشرة .

ويلاحظ أن الحيرة تنتاب القارىء من الإغراق فى الجزئيات العلمية بدلا من إعطاء التفصيلات فى الفلسفة نفسها ، وبدلا من تحرى الدقة فى مسائل تاريخ الفلسفة . إن طلاب الفلسفة المبتدئين يعرفون أن انكسماندر ليس من الذريين ، وإن جماعة يونان إسم واسع فضفاض لا يعنى شيئاً محدداً . وإن طبيعة بحث ومنهج ومجال الطبيعيون يختلف عن المتكلمين ، لكن كيف يسلك كل منهم ؟ وما هى آرائهم المختلفة فيما نحن بصدده ؟ وأين نجد هذه الآراء فى كتبهم وما هى أهم نظرياتهم فى ذلك ؟ هذا ما لم يوضحه ماسينيون . فهو بدلا من ذكر فلسفة الدين ومكانها فى العلوم الفلسفية يتحدث عن الدين . وبدلا من الحديث عن القيم أو فلسفات السياسة والتاريخ يتحدث عن جهـود أشهر مؤرخى الصـين Sse ma laien (٢٠٠ ق . م) الذى جمع من علوم النجوم كل حوادث الكسوف والخسوف لينشىء تاريخ الصين . وأن لكل سلطان من المغول من يكتب له تاريخه .

والإغراق فى تفصيل جزئيات العلم ، والذى هو نوعاً من التعالم يؤدى إلى أخطاء أخرى تظهر فى بيان ماسينيون للمذاهب الحديثة فى فلسفة التاريخ ، التى يدرج تحتها مسألة تقسيم العلوم التاريخية : (١) علم الآثار إما فى الفنون الجميلة وإما فى الصنايع وله أقسام للنقود . والخواتيم والشعارات (والآثار

الآن تخصص مستقل عن التاريخ) ، (٢) ويتحدث عن علم الكتابات وعلم القراطاس) وهو أقرب إلى تخصص الوثائق والمكتبات منها للتاريخ(١٤٢) (٣) علم الفرامين وتصحيح الاسناد أى المتون والشهود ، (٤) علم الطقوس أى السنوات وعلم الأنساب ، (٥) علم الجغرافيا التاريخية وعلم الأساطير .

(جـ) تقديم معلومات خام أولية لا تخضع للتصنيف والتبويب والتحليل : وتعطى صورة فضفاضة ليست محددة ، يتضح ذلك بصورة جلية فى المحاضرة الثلاثون ، حيث يبدأ ببيان معنى الدين عند نولدكه Noldeke ثم كانط الذى يقول : « أن الدين هو شعور الامر الالهى ، ليس بواسطة العقل إذ أن العقل عنده ربما لايوافق حقيقة الاشياء » . ويعرض لرأى ريناباخ S. Reinbach وهو على قيد الحياة الآن يقول فى كتابه أورفيوس أن الدين مجموعة وساوس وخيالات تمنع النفس فى حريتها ، ويضيف : « وهذا المذهب لايجب الاخذ به فى مصطلح الدين بل يجب الرجوع إلى اراء الدينيين » .(١٤٣) ثم يفيض فى تاريخ اساطير الاولين أو القصص الخرافى ويطلق عليه (علم تاريخ أدب العامة Falklare أى الادب الشعبي بمصطلحنا الحديث . ويشير إلى كتاب الفهرست حيث نجد كثير من عناوين كتب الحكايات الخرافية الجن والعفاريت وغيرها ثم يتحدث عن جملة مذاهب فى اصل حكايات العامة بالتفصيل عند ماكس موللروكوسكين ، واندريه لانج Andre lang وسبنسر ، وفولتير ، وامبرسون وكارليل(١٤٤) . ثم يتحدث عن عمومية الحرمه (التابو) Tabou . ومثال أخر يظهر فى حواره مع اراء رينان المحاضرة الحادية والثلاثون . حيث يبدى لنا اراء رينان مجتزءة غير واضحة نستنتج منها فى احسن الفروض عدم الوضح لدى ماسينيون نفسه . (كتب ماسينيون هذه المحاضرات والقاها وعمره حوالى ٢٩ عاما ويحاول ماسينيون هنا محاباة من يحاضرهم بعدم عرض ارائه بالوضوح الذى يعرضه فى كتبه الأخرى التى يتبنى فيها آراء رينان فى العرب والعقلية السامية (١٤٥)).

(د) ابتلاع العلم الفلسفة : ونتيجة أخرى يؤدى إليها خلط العلم بالفلسفة وهى ابتلاع العلم للفلسفة ، التى تتضاءل وتتوارى أمام نظرياته المختلفة

فما سينيون المفكر الذى يرى فى نظرية داروين مجرد افتراض قابل للنقاش يقول : « أن مذهب النشوء فرضى محض ولو أن أكثر العلماء متمسكون ويعتقدون به ، فان العقل وهو آلة التميز لا يمكن أن نفهم شيئا متصلا مطلقاً (وهوالنشوء) بواسطة شيئا منفصلا (وهو الاختلاف بين الانواع)(١٤٦) ومع أن نظرية داروين مجرد افتراض وليست حقيقة موكدة فانه يضخم من كل جزئية ادلى بها داروين ، جاعلا منها نظرية كبرى ، ويتوسع فى اطلاق لفظ مذهب أو نظرية على أقل اجتهاد . ففى كتابه اصل الانواع ١٨٥٩ ، ومن مذهبه نشأت النظريات باصطلاحاتها الأتية ونظرية تنازع البقاء Struggle farlife نظرية الانتخاب الطبيعى Selection naturelle ونظرية وبقاء الاصلاح "Surviance des plus aptes" ولايكتفى ماسنيون بعرضها هنا فقط بل يستخدم هذه المادة مرة ثانية فى حديثه عن الاخلاق : « سنشرح هذه النظريات فى تاريخ الاصطلاحات فى دروس الاخلاق الاجتماعية والحقوق الدولية » . ولو أن أكثر العلماء فى علم الحياة صاروا على مذهب النشوء والتحول الا أنهم لا يعتقدون بالنظريات الثلاثة . ويضيف أيضاً : إذا خرجت من الجسم الحى كل قوة داخلية على مذهب داروين فان هذا الجسم يتقدم « نظرية البقاء للاصلح »(١٤٧)

(هـ) الربط بين الافتراض الفلسفى لفكرة والتحقيق التجريبى لها :

بل ونسبتها ليس إلى أهم من قال بها فأفترض اليونانيون للذرة عند ابيقور ديمقرايطس ولوكريتس يحول إلى حساب ديكارت فهو « موسس مذهب الذرة » (١٤٨) ونظرية العقد الاجتماعى التى يطاق عليها اسم « الرابطة الاجتماعية » يرجع إلى الفرنساوى روسو ، وليست إلى الأنجليزى هربز أولوك ولا حتى اسبينوزا . هذا التضخيم لجهد الفلاسفة الفرنسيين من ماسنيون يتفق مع الميل الغريزى للانحياز العرقى والجنسى والعنصرى . وهذا الميل الغريزى يصبح فى حالة مفكر بزعم البحث — عن الحقيقة الكلية المجردة — التى تشترك فيها كل العقول الانسانية وبتساوى دمامها كل الاديان — يصبح ميلا غير مقبول بالمرة . أن ابراز دور بعض المفكرين والفلاسفة

يأتي على حساب إهمال البعض الآخر وينشأ عن ذلك اغفال متعمدة لجهود بعض العلماء والمفكرين السباقين إلى الكشف والابداع فى مجالات عديدة يظهر ذلك فى عرضه لابن خلدون الذى كان فى نظر ماسنيون مجرد لغوى فقط .

(و) الميل إلى تقديم مادة علمية مكثفة على حساب تحديد ودقة الفكرة :
ويؤدى ذلك إلى الانتشار — أكثر من التعمق وإلى العرض أكثر من التحليل ويكتفى باعطاء معلومات دون تقديم بناء متكامل . ومن هنا يكتفى ماسينيون بتناول عناوين فقط ، رؤوس موضوعات ، ولا يتسع له المجال للالمـــام والاحاطة بجوانبها المختلفة ، فهو يكدس العناوين وقد يصلح كل منها لعمل مستقل بل احيانا تكفى جزئية من جزئياته لذلك تعطى مثال هنا بالمحاضرة الرابعة والثلاثون الذى يوحى عنوانها بذلك (رؤوس المسائل ورؤوساء المذاهب) فهو حين يقدم على عرض تاريخ للمذاهب الفلسفية العربية — لانجد كتاب فيه جدول يبين لنا خطوات النشوء ، وتقدم الفلاسفة والحكماء لذلك فهو للتار لذلك كتاب الغزالى « المنفذ من الضلال ، لحسن تأسيسه وهو دليل اليقين ومقياسة ثم يقسم هذا التاريخ تقسيما من ثلاثة أقسام من السنة ٢٠٠ تاريخ هجرى إلى السنة ٥٠٠ ومن ٥٠٠ حتى ٧٠٠ ومن ٧٠٠ حتى الآن ١٣١٩ ولنا على هذا التقسيم الذى يقترحه ماسينيون وعلى هذه المحاضرة(١٤٩) (٣٤) وهى هامة للغاية ملاحظات هى :

١ — يحاول ماسينيون تقديم تخطيط لتاريخ الفلسفة ويسميها الفلسفة العربية وليس الاسلامية ولذلك مغزاه عنده وان لم يصرح به .

٢ — الفلسفة تعنى العلوم العقلية وتشمل : علم الكلام والتصوف والحكمة (الفلسفة) والفقه . مما يجعله احيانا يضع الفيلسوف الواحد بين (داخل) علمين من العلوم كأن يضع ابن الراوندى بين الحكماء (الفلاسفة) والباطنية الذين يطلق عليهم التعليمية (الزنادقة) . وهذا توسع لا لزوم له من ماسينيون حيث من الصعب أن نفرد علما خاصا يسمى الزندقة او حتى مذهبالزنادقة .

كذلك يفعل مع أبو عيسى بن اسحاق الوراق ، والسهروردى الحلبي .
وبينما يضع عربي « ابن عربي » بين الباطنية والصوفية يضع ابن سبعين والششترى بين الحكماء والباطنية والافغانى بين المتكلمين والحكماء .

٣ ــ يقدم فى هذه المحاضرة مراحل تاريخ الفلسفة وليس رؤوس المسائل والمقصود بالمذهب هنا ليس سوى العلوم الاسلامية المختلفة التى يخلطها أحيانا بالفرق : الباطنية ، التعليمية ، الزنادقة . لكو يخلطها أحيانا بخصائش العلماء الذين يطلق عليهم (الاعتقاديون) فنحن لسنا بازاء مذاهب بل بازاء اربعة علوم وفرقة من الفرق .

٤ ــ تقسيم التاريخ إلى مراحل ثلاثة هو تقسيم افتراضى يتجاهل البذور التى وضعت فى المائتى سنة الاولى من الاسلام (مرحلة التكوين والتأسيس والترجمة) والتى يعتمد عليها هو نفسه فى كتابات تاليه فى تفسيره نشأة التصوف الاسلامى .

٥ ــ اتخاذ التقويم الهجرى أساسا للتقسيم التاريخى يتعارض أصلا مع وصفه للفلسفة ــ واطلاق لفظ عربية عليها ــ فهو لفظ اسلامى من جهة ويتناول العلوم الاسلامية بمعناها الواسع من جهة ثانية ومن هنا عليه تصحيح التسمية الخاصة بالفلسفة أو اتخاذ تقويم أخر . .

٦ ــ يخلط ماسينيون بين المجال (ميدان البحث) والمنهج (وسيلة البحث) حين يتحدث عن الدليل (المنهج) عند المتكلمين هو التواتر والقياس والالهام عند الصوفية ، لكن حين يتحدث عن الحكماء يضيف العقل (مجال علم الوجود)وعند التعليمية يضع عصمة الامام . وهما مبحثين أو مجالين للدراسة وليسا منهجين لها .

٧ ــ تحتوى هذه المحاضرة التى لاتزيد عن صفحتين فقط على حوالى ثمانون اسما من متكلمى وفلاسفة وصوفية دون حديث عن المذاهب أو غيرهما .

ثالثاً — التطوير والإكمال :

أن العرض السابق الذى يبين المشروع الماسينيونى الخاص بتاريخ المصطلحات الفلسفة العربة بجوانبه المختلفة . وكذلك عرض الملاحظات المختلفة حول المشروع ايجابا وسابا لن يفى فى تحقيق القاموس المنشود بل حاول فقط رصد الهدف المطلوب وجعله فى بؤرة الملاحظة من أجل قراءة جديدة ورؤية أخرى تعمق وجهة نظر عربية فى المشروع الماسينيونى . من أجل بيان كيفية رعاية البذور الخصبة فى المحاضرات لتطوير الفكرة وأكمال المحاولة . ومن هنا نكتفى بعرض نماذج من الافكار التى نستطيع بواسطتها تأسيس قاموس فلسفى عربى ، وهى مهمة تحتاج جهد جيل كامل من الباحثين .

وسوف اعرض هنا بعض البذور التى يجب الاهتمام بها اهتمام خاصا لأهميتها ليس فقط فى المجال الاكاديمى ، وانما تعد من وجهة نظر معاصرة موضوعات ذات أهمية حضارية ، أى نستطيع من خلالها « خدمة التمسدن بوجه عام بلغة ماسينيون » وهذه الموضوعات هى على التوالى :

١ — اعادة كتابة تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية بصورته الشاملة .

٢ — تصحيح ، واكمال صورة الفلسفة العربية الاسلامية والتاريخ الفكرى العربى بتفنيد القراءات الغريبة له واعادة القراءة العربية النقدية للمواد الفلسفية فى الموسوعة اليهودية التى تزيف كل تاريخنا الفكرى .

٣ — ازالة الحواجز المختلفة المصطنعة بين الفلسفة العربية (التى تعتبر فى نظر البعض فلسفة تاريخية ميتة) وبين تاريخ الفلسفة الحديثة والمعاصرة . . ويمكن أن نضيف إلى هذه البذور أفكارا عديدة مثل :

— استحدث مناهج جديدة غير تقليدية فى دراسة الفلسفة الاسلامية .

— التركيز على دراسة موضوعات معاصرة تظهر جوانب مجهولة من الفلسفة العربية الاسلامية .

— الدراسات المقارنة :

— البحث فى أصل ونشأة وتطور المصطلحات الفلسفية . وهى دراسة هامة لم يقترب منها ماسينيون بالرغم من أنها الهدف لمحاضراته .

(أ) الصورة الشاملة لتاريخ الفلسفة العربية الإسلامية :

لو تناولنا معظم الكتابات التى تؤرخ للفلسفة العربية الاسلامية نجدها غير مكتملة نكتفى بناحية واحدة فقط ، أو نعرض لاتجاه خاص ينطلق للتأريخ للفلسفة الاسلامية من خلال فرقة ما أو مذهب بعينه صابغا اياه والفرق والمذاهب المخالفة بما يتبناه هو من عقيدة أو مذهب ويظهر ذلك فى مؤلفات المستشرقين التى تتناول تاريخ الفلسفة الاسلامية مثل كتاب هنرى كوربان بالاضافة إلى لوعية ثانية اقرب ما تكون إلى المقدمات والتمهيدات مثل الكتاب الهام الذى رسم الطريق للتأريخ للفلسفة الاسلامية « التمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » للشيخ مصطفى عبد الرازق وهناك تواريخ الفلسفة الانتقائية الجزئية التى نكتفى بابراز نماذج معينة غالبا ما تقتصر على الاسماء الرئيسية فقط دون غيرها . أو تطرق نفس الموضوعات والشخصيات المطروقة فلا نتناول سوى فلاسفة المشرق الكندى ، الفارابى ، ابن سينا ، أو فلاسفة المغرب ابن باجة ابن طفيل ابن رشد . واحيانا نضيف بعض الشخصيات اكمالا للصورة فنذكر الغزالى وابن خلدون كما نجد ذلك لدى خليل الجروحنا الفاخورى فى تاريخ الفلسفة العربية . وهناك الدراسات التى تتناول الفلسفة فقط أو التى تكتفى بالتأريخ لمذاهب علم الكلام مثل كتاب عبد الرحمن بدوى « مذاهب الاسلاميين » وغالبا ما تتوقف عند ابن رشد أو ابن خلدون ، وبعضها يمد التأريخ إلى فترة لاحقه ليصل إلى العصر الحاضر مثل ماجد فخرى فى « تاريخ الفلسفة الاسلامية » . والبعض يكتفى بتناول ودراسة شخصية واحدة أو موضوعا معينا لدى هذه الشخصية مثل الطبيعة أو المعرفة عن ابن سينا ، أو السياسة عند الطوسى أو الفارابى أو اخوان الصفا .

أما التعرض للمناطق الهامشية والشخصيات الخطوة فتلك المسألة أثيرة

لدى المستشرقين الا أنها تبعد بالموضوع أو الشخصية مدار البحث عن السياق العام لتاريخ الفلسفة لتضعه فى الهامش مثلما فعل عبد الرحمن بدوى فى

«تاريخ الالحاد فى الاسلام» وعبد الامير الاعسم فى « تاريخ ابن الراوندى وغيرها . وتظل جزئيات وتفصيلات تاريخ الفلسفة مجهولة ومراحل الانتقال غير واضحة أو محددة ، رغم عدم توقف الفلسفة بعد ابن رشد وظهورها بشكل واضح فى علوم مختلفة مثل علم الكلام أو التصوف كما تشهد بذلك كتب أبو أليوكات البغدادى « المعتبر فى الحكمة) وكما تعرض لنا كتابات ابن عربى الفاسفة فى أكتمالها داخل غلاف التصوف .

ويظهر فضل ماسنيون هنا فى محاولته للتأريخ ولتأسيس القاموس ويتجلى ذلك فى نواحى عديدة مبتكرة وان كان قد مسها مساً ولم يتوقف عندها خاصة فى المحاضرة الرابعة والثلاثون . فيضيف اسماء جديدة ويلقى الضوء عليها ، ويعتمد على كتابات قديمة يبتعد عنها المؤرخين ، ويقارن بين جهود الفلاسفة العرب والمسلمين وجهود غيرهم من اليونان والمعاصرين لايفصل بين عصر وعصر ، أو بين اتجاه واتجاه . لايكتفى باسماء محددة سلفا بل نجد اسماء جديدة تضاف إلى الاسماء المعروفة فى تاريخ الفلسفة مثل : المعرى ، أبو حيان التوحيدى ، أبن كرام ، يحيى بن عدى ، سعيديا الفيومى ، أبو الحسين البصرى ، أبو عيسى بن الوراق ، ابن زراعة ، ابن الهيثم ، ابن جبيرول ، ابن مسرة ، القداح ، ابن يانوش ، الطوسى ، الابهرى ، الكاتبى ، ابن برجان ، الدوانى ، خواجه زادة ، بهاء الدين العاملى ، اميرداماد ، صدر الدين الشيرازى ، شبلى شميل ، فضل الله الحروفى اكبر شاه ، احمد البحرانى ، الباب ، صبح الازل ، بها الله وغيرهم .

وجهد ماسنيون فى أضافة اسماء جديدة كانت هامشية أو منبوذة أو مصنفة داخل أطر مختلفة يوسع من دائرة التاريخ ويجعله أكثر شمولية ويظهر ذلك فى نقطة هامة سنتحدث عنها بالتفصيل فيما بعد ، وهى احتواء تاريخنا الفكرى على شخصيات كثيرة استظلت بظله ونهلت من معينه الخصب ، درست على ايدى أئمته بالمدارس والمساجد ايا كانت مواطن

هذه الشخصيات أو دياناتها إلا أنها فى النهاية تنتمى إلى تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية أكثر من انتمائها لأى تأريخ أخرى فقد اتاح التسامح الدينى والازدهار الحضارى والتفتح الفكرى لغير المنتمين للاسلام أو العربية ان يصبحوا جزءا من هذه الحضارة المزدهرة ويبدعوا من خلالها وبلغتها أهم تراثهم الفكرى ويذكر لنا التاريخ من هؤلاء : سعيديا الفيومى اليهودى ـ ٣٣٠ وقسطا بن لوقا ويحي بن عدى ، وعيسى بن زراعة ، وأبو أيوب بن جبيرول ـ ٤٥٠ وحمزة الدرى وأبو الحسن يهودى صاحب كتاب الحرزى ـ ٥٥٧ ، وموسى بن ميمون والابهرى والكاتبى والدوانى وعلى القارى ، خواجه زادة والقوقانى ابن كمال باشا ، بهاء الدين العاملى وأمير داماد ومحسن الفيضى وهم على التوالى فلاسفة ومفكرون يهود ونصارى وفرس واتراك . ومن الهند يذكر ما سنيون : كبيره تانك اكبر شاه ويوسف النبهانى وهى ، شخصيات تهم طوائف دينية معينة حيث يكتب اسرائيل لفنسون عن ابن ميمون أو يؤرخ زكريا ابراهيم لكل من يحي بن عدى وابن زراعة وللوراق فى كتابه عن أبو حيان التوحيدى أو يؤرخ الفرس للابهرى والكاتبى والدوانى والشيرازى وأمير داماد وغيرهم كذلك يفعل الترك والهنود لمواطنيهم . هذا الاهتمام بالتاريخ الشامل للفلسفة الإسلامية ينقلنا للموضوع الثانى ، وهو عدم الاكتفاء بنقل وعرض تاريخنا والانعزال عن جذوره وتأثيرته والانطواء على الذات ، بل يجب الحوار النقدى الدائم مع تاريخنا الفكرى العام بصورته الشاملة التى تحتوى جزئياته المختلفة بحيث لا نهمل الفلاسفة الكبار ولا نتغافل عن دور المفكرين الذين عاشوا وانتجوا فى ظل الحضارة العربية الاسلامية مثل ابن ميمون مثلا حتى لانعطى الفرصة لبعض الكتب أن تحول التلاميذ إلى أساتذه ونقرأ فى احدى الموسوعات كيف أخذنا نحن العرب عن ابن ميمون الفلسفة والطب وكيف تعلم كبار الفلاسفة العرب على يديه .

(ب) **القراءة النقدية للمواد الفلسفية** : فى دائرة المعارف اليهودية وغيرها من دوائر المعارف . فهذه الأعمال مليئة بالأغاليط عن الاسلام

والعرب وتاريخهم وفلسفتهم وهى تملا معظم الكتابات التى صدرت وتصدر عن الفكر والفلسفة العربية والاسلامية . والتى يحاول فيها الكتاب والمؤرخون الغربيون أضفاء نوعاً من العملية على كتاباتهم التى يشهد كل مافيها بالعنصرية أن واجبنا العلمى وواقعنا التاريخى يقتضى أقامة حوار مع الغير والنفس حوار حضارى فى المقام يلتزم فيه الباحثون الوطنيون بقضية الوطنية والهوية والهوية القومية . إلى مناقشة للفكر اليهودى القديم والمعاصر ومواجهته حضارياً وكما تدرس الفلسفة الغربية فى العصور الوسطى فى معاهدنا وجامعاتنا علينا دراسة أفكار هؤلاء ومناقشة انتماءتهم المختلفة والقوى التى يعبرون عنها ظنها موضحين أهدافهم مظهرين أغاليطهم .

لقد أدرك ماسنيون فى محاضراته ببصيرة نافذه الدور الحضارى للفلسفة العربية الاسلامية ، وأهميتها وتأثيرها على غيرها من الفلسفات سواء الغربية فى العصور الوسطى ، وتأثيرها على الوشديين اللاتين توماس الاكوينى وسيجردى برابانت . أو تتلمذ الفلاسفة اليهود العرب على المسلمين فى بغداد وقرطبه والأندلس والقاهرة . أن القيام بالدور الذى قام به علماءالفرق الاسلامية الذين تناولوا بالدرس والتحليل والنقد الفرق غير الاسلامى هو أحوج ما نحتاج إليه أن مواصلة جهد الشهر ستانى وابن حزم والبيرونى هو الدور الذى ينبغى علينا القيام به من أجل تصحيح تاريخنا الفكرى . وتوسيع هذا المنظور الضيق لتاريخ الفلسفة العربية الاسلامية يقتضينا إزالة الحواجز — الحواجز — التخصصية وغير التخصصية — بين الفلسفات قديمها وحديثها وعقد المقارنات بين مراحلها المختلفة وموضوعاتها المتباينة أى النظرة المتصلة لتاريخ الفلسفة .

(ج) **النظرة المتصلة لتاريخ الفلسفة** : وإزالة الحواجز بين عصورها المختلفة : القديمة والوسيطة والحديثة والمعاصرة ، بل أننى أزعم أن مثل هذه النظرة مقدمة لتاريخ شامل للفلسفة لا يقتصر على بلد معين مثلما فعل متس فى تاريخه للفلسفة الإنجليزية فى مائة عام أو جان فال وبنروبى فى تاريخهما للفلسفة الفرنسية أو لوسكى فى تاريخ الفلسفة الروسية ، بل يجب

علينا كتابة تاريخ للفلسفة يشمل كل التيارات وتمثل فيه الفلسفة الاسلامية نسيجاً أصيـلا بحث لا يكتفى المؤرخ بذكرها هامشياً فى أقل من فصل واحد – لا يتجاوز عشر صفحات – مع الفلسفة اليهودية كما فعل رسل فى كتابة ذا الثلاث مجلدات عن تاريخ الفلسفة الغربية .

وقد قدم ماسنيون بذور صالحة تماماً لذلك فى المقارنات العديدة التى تسرى فى كل صفحات المحاضرات . فمع أرسطو نجد أخوان الصفا ، ومع الاشعرى وتلاميذه نجد ديكارت وتلاميذه ، ومنهج الكشف عند الغزالى هو عينه منهج بسكال ، ولا ينقل النظام عن منهج اليونان بل يستخدمه ويوظفه للقول بالطفرة . « فى المنطق : قياس أخيلس والسللحفاة عند زينون شكله فى فلسفة النظام الطفرة (أى النجاة بالعمل عن الاستحالة العقلية) . ونجد قياس الكذب من أهل كربت (مغالطة السفسطائية) تجدها فى رد جعفر بن حرب – ٣٤٨ على الثنوية . . راجع البدء للمقدسى » . ونجد أعتراضات أبن الصائغ على بطليموس . ومقارنة نظرية برجمون فى الزمن مع نظرية محمد بن زكريا الرازى . بل أن أفكار بعض الناسخية مثل أبن يانوش وابن حائط تقترب من مذاهب الروحيين . ومذهب وحدة أو وجود عند أبن عربى نجده عند الغربيين وهكذا .

وبالطبع نحن لا نقصد ضتصيد فكرة من هنا تشبه فكرة من هناك ، بل ننبه إلى أن العرض المعاصر للفلسفة الإسلامية قد يجد موضوعات هامة أكثر حيوية وحداثه بين طيات الالفاظ والمصطلحات التقليدية القديمة والدراسة الخاصة بالمصطلح الفلسفى نشأته وتطوره منذ اللفظ اليونانى المنقولة للعربية أو السريانية ، ثم تحديد هذا المصطلح وبقائه أو هجره ونسيانه ، وتطور هذا المصطلح وأرتباط بتطور الترجمة ثم أستقراره مع بداية الانتاج الفكرى الفكرى العربى الاسلامى فى جوانبه المختلفة هو المقدمة الأساسية للمشروع المستقبلى الذى يتناول الالفاظ وردلالتها الحضارية مثلما فعل الفارابى فى المبادرة لنا ثانية وهى مسألة ربما تتجاوز تاريخ الفكر إلى جزئه الواقع السياسى نفسه . ونقصد بالمبادرة هنا مشاركتنا مرة أخرى فى الإسهام الفلسفى بحثاً

وابداعاً ودراسة وتأريخاً أى قيامنا بالعمل ثانية وتحولنا من مشاهدين إلى مشاركين . فقد قام المستشرقون فترة طويلة من الزمان بالعمل على مادة جاهزة خاصة بنا تولوها العناية والتحقيق والدراسة فى نطاق حضارتهم هم . واهتمامهم العلمى والسياسى والاستعمارى خدمة لانفسهم ، إلا أن ماقوا به من عمل وما توصلوا إليه من نتائج تعبر عن واقعهم الخاص — وأهتماماتهم الذاتية خدمة لاهدافهم التى تختلف تماماً عن أهداف الباحثون الوطنيون . لقد أنتجوا وابداعو على هامش كتاباتنا القديمة مثلما فعل ديتريش على أوان الصفا « رسائل أخوان الصفا طبع بمباى ثم طبع منها مقتبسات العالم الالمانى ديتريش Dieterici فصحح الطبعة الهندية وجمع أقتباسان فى مجلدين » . وصحح فإن فلوتن (مفاتيح العلوم للخوارزمى لبدن ١٨٩٥ . وكتاب كشف المحجوب للهجويرى ترجم إلى الإنجليزية — وطبع باجتهاد العلامة المستشرق نيكلسون Nichalson فى مجموعة جب وكتاب ابن العربى فى أصطلاحات الصوفية طبعة فلوجل الالمانى على ماهش كتاب التعريفات للجرجانى . وكتاب الكاشالى طبعة Splenger هذا ما ذكره ماسنيون المستشرق الفرنسى الذى عمل بدوره على كتابات الحلاج ويمكن أن نذكر العديد من الأعمال الأخرى للدلالة على قيام المستشرقين بالعمل على مادتنا القديمة واكتفائنا نحن بالقراءة وعلى تمكنهم من الألمام بتراثنا وغيابنا نحن عن الساحة .

وقد أن الآوان الآن للمسح الكامل لتراثنا واعادة أكتشاف المخبوء ومداومة تحقيقه ونشره وابراز مواطن القوة فيه وعرضه بالطريقة الحديرة به ولتكن تلك البداية الحقيقية للباحث الوطنى الذى يمعن فى الإلمام بالمناهج المعاصرة من أجل فهم وأحياء المادة القديمة تحقيقاً للروية المستقبلية للفكر العربى .

الهوامش والملاحظات :

(١) نعتمد فى هذه الدراسة على محاضرات ماسينيون التى القاها بالجامعة الأهلية . بمصر ١٩١٢ – ١٩١٣ . وللأسف لاتوجد أية نسخة منهما بمكتبة جامعة القاهرة التى هى امتداد للجامعة الأهلية. وما اعتمدنا عليه هو نسخة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة وهى «صورة» ونسخة ماسينيون نفسه وهى الاصل لنسخة المعهد إلا أنها أكمل منها من حيث الهوامش التعليقات المثبتة بخط ماسينيون ، وهذه النسخة موجودة لدى الدكتور عثمان يحيى . نظراً لأن الأرقام واحدة منهما فسنشير إلى الصفحات تحديد الا فى حالات الأشارة للزيادة فنذكر نسخة د . عثمان يحيى . أنظر ماسينيون : محاضرات فى تاريخ الاصلاحات الفلسفية العربية (المخطوط) ص ١ .

(٢) ماسينيون : المصدر السابق ص ١٠٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٣ .

(٤) المصدر نفسه ص ٤ .

(٥) أنظر صفحات ٨٣ – ٨٥ من محاضرات ماسينيون .

(٦) أنظر الصفحات من ٨٥ حتى ٩٧ .

(٧) المصدر نفسه ص ١ .

(٨) نفس المصدر ص ١١٠ .

(٩) د . مهدى علام : المجمعيون ، المطابع الاميرية القاهرة ١٩٦٦ ص ١٥٢ – ١٥٤

(١٠) أنظر مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد الثانى ١٩٥٢ ص ٣٩٤ .

(١١) د . مهدى علام . المصدر السابق ص ١٥٣ – ١٥٤ .

(١٢) أنظر ف بنروبى : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا ج ١ ترجمة د . د . عبد الرحمن بدوى – مكتبة الانجلو المصرية ط ١ القاهرة ١٩٦٤ ص ٨ – ٩ .

(١٣) ماسينيون : المحاضرات ص ٢ .

(١٤) ماسينيون : ص ١ .

(١٥) ماسينيون : ص١

(١٦) ماسينيون : ص ٢ .

(١٧) نفس المصد : ص ٢ .

(١٨) د . إبراهيم مدكور : مع الخالدين ، المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٨١ ص ١٠٥ ، « ماسينيون المجمعى » فى الكتاب التذكارى عن ماسينيون الذى اصدرته جامعة القاهرة ١٩٨٤ ص ٣٦ .

(١٩) ماسينيون : ص ٣ .

(٢٠) نفس الموضع .

(٢١) المصدر السابق ص ٧٠ .

(٢٢) د. مدكور : « ماسينيون المجمعى » ص٣٥ ومابعدها .

(٢٣) ماسينيون : المحاضرات ص ١٠٣ .

(٢٤) المصدر نفسه ص ٩٢ — ٩٣ .

(٢٥) المصدر نفسه ص ١٠٤ .

(٢٦) نفس المصدر ص ١ .

(٢٧) اندريه لالند (١٩٦٧ — ١٩٦٣) فيلسوف واستاذ فلسفة فرنسى ، أسس وشارك فى الجمعية الفلسفية الفرنسية . أهم أعماله « المعجم النقادى الفنى للمصطلحات الفلسفية » درس بجامعة القاهرة . أنظر عنه بدروبى جـ ٢ ص ٨٠ — ١١٥ . د . نجيب بلدى . الفلسفة واللغة ، مجلة كلية الآداب جامعة الأسكندرية المجلد ٤ لسنة ١٩٤٨ ص ١٨٠ — ١٩٢ .

(٢٨) ماسيليون ص ٧٠ .

(٢٩) ماسينيون ص ٣٧ .

(٣٠) ماسينيون ص ١٠ .

(٣١) ماسينيون ص ٢ .

(٣٢) ماسينيون ص ٥٢ .

(٣٣) ماسيليون ص ١٠٤

(٣٤) ماسيليون ص ٣ .

(٣٥) يمكن الرجوع إلى الدراسات المختلفة عن الفلسفة الشرقية خاصة ماكتبه بول ماسون أو رسيل ،محمد غلاب كذلك كتب تاريخ العلم والحضارة ، سارتون ول ديو، انت حيث نجد التأكيد على وجود مثل هذا النظر العقلى (المنطقى) لدى اليشوب الشرقية .

(٣٦) د . محمد مصطفى‌حلمى : مقدمة تقديم ترجمة الخضيرى لكتاب ديكارت « المقال فى المنهج » ط ٢ دار الكاتب العربى بالقاهرة ص ٤٧ .

37 — Andrт Lalande : Vocabulaire Technique et Critique De la philosophie, Presses Universitaires De France, 13e edition, 1980.

(٣٨) ماسينيون ص ٢ .

(٣٩) نفس المصدر ص ٥ .

(٤٠) الموضع السابق .

(٤١) ماسينيون ص ٤ .

(٤٢) ماسينيون ص ٥ .

(٤٣) ماسينيون ص ٦ .

(٤٤) الموضع السابق .

(٤٥) الموضع السابق .

(٤٦) يعتمد ما سينيون هنا على الرسالة القشيرية وفى المواد التى كتبها بدائرة المعارف الاسلامية : خراز — الشبلى .

(٤٧) يذكرها ماسينيون فى مواد : خراز – الشبلى – سهل التترى – الترمذى – زهد. حلول .

(٤٨) أنظر مادة الشبلى بدائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية جـ ١٣ ص ١٦٥ ، ومادة شطح .

(٤٩) أنظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ٨ ص ١٨١ (زاهد) ، جـ١٠ ص ٤٥ حيث يعتمد على الفتوحات المكية .

(٥٠) ابن سيناء : رسالة الحدود ، رسائل فى الحكمة والطبيعات ، مطبعة الجوائب ، قسطنطيه ١٢٩٨هـ ص ٧٠٠٥ .

(٥١) التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق د . لطفى عبد البديع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة .

(٥٢) د . عبد الرحمن بدوى : مقدمة ترجمته لكتاب بلاثيوس : ابن عربى ، الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٦٥ .

(٥٣) أمين واصف بك :

(٥٤) قارن يوسف كرم ، يوسف شلالة ، مراد وهبه : المعجم الفلسفى ، مراد وهبه : المعجم الفلسفى ط ٣ ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٨٠ ، القاهرة ١٩٨٠ ، راجع مقدمات وهبة لطبعات المعجم الفلسفى المختلفة .

:55 — Concise Encyclopedia of Western Philosophy and Philosophers.

أشرف على ترجمتها وراجعها واضاف اليها شخصيات اسلامية د . زكى نجيب محمود ، الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٦٣ .

(٥٦) د . أمام عبد الفتاح : دراسات هيجلية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع . القاهرة . ١٩٨٥ ص ٣٧٧ – ٤٠٦ والمنهج الجدلى (الخاتمة) دار المعارف القاهرة .

(٥٧) د . جميل صليبا : المعجم الفلسفى فى جزءين ، دار الكتاب اللبنانى بيروت لبنان . ط ١ ٧١ – ١٩٧٣ .

(٥٨) د . محمد عزيز الجبابى : المعين فى مصطلحات الفلسفة والعلوم الإنسانية دار الكتاب المغربى جـ ١ ١٩٧٧ .

(٥٩) د . محسن زيادة (محرر) : الموسوعة الفلسفية العربية معهد الانماء العربى جـ ١ بيروت . ١٩٨٦ .

(٦٠) نخص بالذكر هنا دراسته (بحث فى نشأة المصطلح الفنى فى التصرف الاسلامى) . باريس ١٩٢٢ .

(٦١) أنظر هامش ٥٥ .

(٦٢) ماسينيون : محاضرات ص ١ .

(٦٣) نجد نص هذه المحاضرات فى اعداد الشعب القديمة ، ديسمبر ١٩١٢ ويناير وفبراير ١٩١٣ .

(٦٤) سنتيلانا ، مستشرق ايطالى درس بالجامعة الاهلية ١٩١١ « محاضرات فى تاريخ المذاهب الطبقية » .

(٦٥) الكونت دى جلارزا : مستشرق اسبانى عاش بالقاهرة دروس لمدة طويلة بالجامعة الأهلية سنوات ١٩١٤ – ١٩٢٠ وبمدرسة المعلمين العليا بالقاهرة ، نشر جزء من محاضراته فى كتابين عن الفلسفة العامة وتاريخها ١٨–١٩١٩ ، الفلسفة العامة وتاريخها ١٩–١٩٢٠ .

(٦٦) سلطان بك محمد : درس بمدرسة الحقوق بالقاهرة وعمل مدرساً بدار العلوم ثم انتدب للجامعة الاهلية ومن كتبه : « الفلسفة العربية » و « الاخلاق » القاهرة ١٣٢٩هـ . « الدروس المنطقية » للمدارس الثانوية ، « دروس البلاغة » بالاشتراك مع حفنى ناصف .

(٦٧) الدكتور على أحمد العنانى : استاذ بالجامعة الاهلية ودار العلوم .

(٦٨) الدكتور منصور فهمى (١٨٨٦ – ١٩٥٩) ولد بالدقهلية والتحق بمدرسة الحقوق العليا ، وارسل فى أولى بعثات الجامعة الاهلية إلى باريس للحصول على الدكتوراة فى الفلسفة وكانت عن « حالة المرأة فى الاسلام » عاد للتدريس بمدرسة المعلمين ، وعين أستاذ للفلسفة بكلية الآداب ثم عميداً لها ومديراً لدار الكتب المصرية .

(٦٩) ماسيليون جـ ١ ، وهامش جانبى ص ٩٩ .

(٧٠) د . طه حسين : أستاذى وصديقى ماسينيون « الكتاب التذكارى لوفاة ماسينيون دار السلام القاهرة ١٩٦٢ .

(٧١) ماسيليون ؛ محاضرات ص ١ .

(٧٢) درس توفيق حامد المرعشلى بالجامعة الاهلية مع طه حسين وكانا تلميذين لماسينيون ، والمحاضرات التى بين ايدينا هى حصيلة كتابته لمحاضرات ماسينيون . وكان ضمن سبعة حصلوا على الدكتوراه من الجامعة الاهلية ، عمل مدرساً بالخديوية الثانوية . أول من ادخل درس التربية الوطنية بالمدارس المصرية عام ٢٥– ١٩٢٦ . كتب فى التاريخ والتعاونيات كتب عديدة .

(٧٣) ماسينيون : محاضرات ص ١ ، ص ١٠١ .

(٧٤) يذكر ماسينيون ارسطو فى محاضراته صفحات ٢ ، ٤ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٩٤ ، ٩٩ .

(٧٥) ويذكر ارسطو فى صفحات كثيرة لم يذكرها فى الفهرس النهائى .

(٧٦) ماسينيون : محاضرات ص ٢ .

(٧٧) المصدر السابق ص ١٩ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٩ .

(٧٨) نفس المصدر ص ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٥٤ ، ٧٩ ، ٧٧ ، ٨٦ .

(٧٩) نفس المصدر ص ٧ .

(٨٠) نفس المصدر ص ٨ .

(٨١) الموضع السابق .

(٨٢) نفس الموضع .

(٨٣) المصدر ،٠ نفسه ص ٥ .

(٨٤) نفس المصدر ص ٦٩ . وانظر ترجمة د . حسين حنفى لرسالة اسپنو فى اللاهوت والسياسة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .

(٨٥) ماسينيون محاضرات ص ٧٧ .

(٨٦) أنظر صفحات ٢ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٦٩، ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٩٨ ، وص ٢٩ ، ٥٤ ، ١٠٥ حيث يذكره مرتين .

(٨٧) ماسينيون ص ١٨ .

(٨٨) المصدر نفسه ص ٢٩ .

(٨٩) المصدر نفسه ص ٢٩ .

(٩٠) المصدر نفسه ص ٢٨ .

(٩١) المصدر نفسه ص ٣٧ .

(٩٢) المصدر نفسه ص ٣٨ .

(٦٤) المصدر السابق . ص ٥٣ .

(٩٥) المصدر السابق ص ٦٩ .

(٩٦) نفس المصدر ص ٧٤ .

(٩٧) نفس المصدر ص ٧٩ .

(٩٨) نفس المصدر ص ٧٨ .

(٩٩) انظر ترجمة د . عثمان أمين لتأملات ديكارت . الانجلو المصرية القاهرة .

(١٠٠) ماسينيو ص ١٠٥ .

(١٠١) المصدر السابق ص ٦٨ .

(١٠٢) نفس المصدرص ٨٥ — ٨٨ .

(١٠٣) نفس المصدر ص ٨٦ .

(١٠٤) نفس المصدر ص ٩٣ .

(١٠٥) نفس المصدر ص ٤٥ .

(١٦٠) نفس المصدر ص ٤٦ .

(١٠٧) نفس المصدر ص ٧٢ ، ٥٥ .

(١٠٨) المصدر السابق ص ٢٧ .

١٠٩) نفس المصدر ص ٦١ .

(١١٠) نفس المصدر ص ٦٥ .

(١١١) نفس المصدر ص ٤٧.

(١١٢) المصدر السابق صفحات ١ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥، ٥٧ ، ٦٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١١٠ .

(١١٣) المصدر السابق ص ٦ ، ٥٧ ، ٦٢ .

(١١٤) ماسينيون : دائرة المعارف الاسلامية ج ١١ ص٦٩ ، ٧٢ .

(١١٥) الموضع السابق ص ٧١ ، ج ١ ص ٤٥٢ .

(١١٦) اخلص ماسينيون للحلاج ، ورأى فيه صورة نفسه وكتب عنه دراسات عديدة أهمها رسالته للدكتوراة عن آلام الحلاج ١٩٢٢ .

(١١٧) ماسينيون : محاضرات ٥٨ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٢ .

(١١٨) المصدر السابق ص ١١٠ .

(١١٩) الموضع نفسه .

(١٢٠) نفس المصدر ص ٦٧ .

(١٢١) المصدر السابق ص ٣٧ .

(١٢٢) المصدر السابق ص ٩٣ .

(١٢٣) المصدر نفسه ص ١٠١ — ١٠٣ .

(١٢٤) ماسينيون ، جب :مصير الاسلام . محمد عبد الهادى أبوريدا القاهرة ١٩٣٤، ص ٥ .

(١٢٥) ماسينيون : محاضرات ص ٩٨ .

(١٢٦) المصدر نفسه ص ٩٨ .

(١٢٧) د . توفيق صدقى عمل فترة مع رشيد رضا ، وكتب فى المنار حول تفسير الكتب المقدسة التاريخ الدينى والحديث (السنة النبوية) محاولا تفسير هذا التاريخ تفسيراً اجتماعياً مما أوجد خلافاً بينه وبين رشيد رضا .

(١٢٨) تتلمذ ماسينيون على الالوسى الذى افاده كثيراً ابان فترة وجوده بالعراق . انظر مقدمة تحقيق عدنان الدورى لكتاب الالوسى(اتحاف الامجاد فى مايصح به الاستشهاد)ص ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٨ مطبعة الارشاد بغداد ١٩٨٢

(١٢٩) ماسينيون محاضرات ص ٤٤ .

(١٣٠) المصدر السابق ص ١٠٥ .

(١٣١) الموضع نفسه .

(١٣٢) الموضع السابق ، ويبدو ان زكى مبارك أعتمد فى رسالته للدكتوراه عن الغزالى على المقارنة التى عقدها ماسينيون بين الغزالى وبسكال . انظر زكى مبارك : التصوف والاخلاق عند الغزالى ط ، مؤسسة دار االشعب القاهرة .

(١٣٣) ماسيليون : محاضرات ١٠٥ .

(١٣٤) المصدر السابق ، وابو الوفا التفتازانى : المدخل إلى التصوف الاسلامى دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة .

(١٣٥) يحتاج اعلام التيار العلمى فى الفكر العربى إلى دراسات مستفيضة لبيان دورهم فى الفكر العربى المعاصر .

(١٣٦) اسماعيل ادهم مفكر مصرى من اصل تركى حصل على الدكتوراه فى العلوم من المانيا حول نظرية النسبية كتب فى تاريخ الرياضيات العربية ، وتاريخ محمد محولا تفسير التاريخ الدينى تفسيراً مادياً ، اتسعت اهتماماته لتشمل الادب العربى الحديث مكتبه عن أهم اعلامه .

(١٣٧) مثل مواد : زنديق – الزنج – الحلاج – شطح – حلول ، بدائرة المعارف الاسلامية . أنظر هامش ١١٦ ، الاصول الشيعية للاسرة المستوزرة بين الفرات ، المتبنى والعصر الاسماعيلى فى الاسلام ، كتب القرامطة . بحوث عن الشيعة المتطرفة فى بغداد .

(١٣٨) ماسينيون : محاضرات ص ٢١ .

(١٣٩) المصدر السابق ص ٣٧ .

(١٤٠) يرجع هذا التحديد إلى تاريخ القاء المحاضرات عام ١٢–١٩١٣ .

(١٤١) ماسينيون : ص ٤٠ .

(١٤٢) المصدر السابق ص ٢٢ .

(١٤٣) المصدر نفسه ص ٨١ .

(١٤٤) المصدر نفسه ص ٨٢ .

(١٤٥) تقصد الفصل الذى كتبه فى كتابه المشترك مع هاملتون جب : « مصير الاسلا .

(١٤٦) ماسينيون المحاضرات ص ٤٥ .

(١٤٧) نفس المصدر ص ٤٤ .

(١٤٨) نفس المصدر صفحات ٢٩ – ٣١ – ٣٨ – ١٠٥ .

(١٤٩) المصدر السابق ص ١٠٥ .

من كنايات الأعداد فى العربية

إعداد الدكتور وهبة متولى عمر سالمة

كلية التربية للبنات بجـــدة

الكناية لغة مصدر كنى عن كذا يكنى كناية : تكلم بما يستدل عليه ولم يصرح ، وقد كنى بكذا عن كذا فهو كان ، وكنى الرجل بأبى فلان وأبا فلان كنية سماه به ، ويقال تكنى فلان : ذكر كنيته عند الحرب ليعرف وهو من شعار المبارزين ، وتكنى بكذا تسمى والكنية ما يجعل علما على الشخص غير الاسم واللقب نحو أبى الحسن وأم الحسين وأم الخير وتكون مصدرة بلفظ أب أو أم وتستعمل مع الاسم واللقب أو بدونهما تفخيما لشأن صاحبها أن يذكر اسمه مجردا وربما كنى الولد تفاؤلا ، وقد كنى بعض أجناس من الحيوان ، فللأسد أبو الحارث وللضبع أم عامر .

والكناية فى علم البيان لفظ أطلق وأريد منه لازم معناه مع وجود قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلى كقولك زيد طويل النجاد ، أى علاقة السيف كناية عن طول قامته ، ويصح أن يراد المعنى الحقيقى .

والمراد فى هذا البحث الكناية عن عدد مبهم ومما يكنى به عن ذلك فى اللغة العربية ألفاظ منها ما يلى :

أولا : كم :

كم كناية عن عدد مبهم وهى اسم دليل اسميتها الإسناد إليها وعود الضمير عليها نحو : كم رجلا حضر ؟ ودخول حرف الجر عليها نحو على كم جذع

(المعجم الوسيط) : مجمع اللغة العربية بالقاهرة (كنى صـ تكنى ، كتنية) .

(١) كتاب سيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ٢-١٥٦ – ١٧١ وشرح الأشمونى

سقفت بيتك ؟ وتسليط عوامل النصب عليها نحو : كم كانت دراهمك؟ وكم يوما صمت ؟ وكم فرسخاً سرت ؟

وهي في حاليتها أعني الاستفهامية والخبرية أشد إبهاماً من أسم العدد ، لأن أسمه يدل على العدد نصا،ولايدل على جنس المعدود ،والأمران في كم مبهمان ، فافتقارهما إلى مميز أشد من أفتقار أسم العدد وفي البسيط أن بعض النحويين ذهب إلى أن كم الخبرية حرف للتكثير في مقابلة رب ، ويرده ، ماسبق من دليل أسميتها .

والجمهور على بساطة كم ، وذهب الكسائي والفراء إلى أن كم بوجهيها مركبة من كاف التشبيه وما الاستفهامية وحذفت ألفها كما تحذف مع سائر حروف الجر نحو : بم ؟ ولم ؟ وعم ؟ وكثر الاستعمال لها فأسكنت ميمها ، وحدث لها بالتركيب معنى غير الذي كان لكل واحد من مفرديها كما قال النحويون في لولا وهلا .

وتستعمل كم على وجهين :

استفهامية بمعنى أي عدد ، وهي صالحة لقليل العدد وكثيرة .

وخبرية بمعنى عدد كثير وكل منهما تفتقر إلى تميز .

وحاشية الصبان عليه ٤-٥٧-٦٣ وشرح ابن عقيل وحاشية الخضرى عليه ٢-١٤١-١٤٢ ، شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ٢-٢٧٩-٢٨١ وشرح المفصل لابن يعيش ٤-١٢٥ ، ومغنى اللبيب لابن هشام ص ٢٤٣ : ص ٢٤٩ - (طبع بيروت) وهمع الهوامع للسيوطى ١-٢٥٤ ص ٢٥٥ .

(٢) شرح التسهيل لابن عقيل – المساعد على تسهيل الفوائد لبهاء الدين بن عقيل على كتاب التسهيل لابن مالك تحقيق د. محمد كامل بركات ٢-١٠٦ (بتصرف) جامعة أم القرى .

(٣) همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى٢ – ٧٥ (دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت)

(أ) كم الاستفهامية :

تمييزها يكون مفردا منصوبا وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

ميز فى الاستفهام كم بمثل ما   ميزت عشرين ككم شخصاً سما

أما إفراد تمييزها فلازم على رأى جمهور البصريين خلافا للكوفيين ، فانهم يجيزون جمعه مطلقاً ، وفصل بعضهم فقال : إن كان السؤال عن الجماعات نحو كم غلمانا لك ؟ إذا أردت السؤال عن أصناف الغلمان جاز ، وإلا فلا وهذا مذهب الأخفش .

وذهب البصريون إلى ان ما أوهم الجمع بعد كم الاستفهامية يجعل حالا ، ويجعل التمييز محذوفا ففى قولك كم عبيدا ملكت ؟ التقدير : كم نفسا ملكت فى حال كونهم عبيدا أى مملوكين وإذا قلت كم لك غلمانا ؟ فالتقدير : كم نفسا استقروا لك فى حال كونهم غلمانا أى خداما ، ولو قلت كم غلمانا لك ؟ لم يتمش هذا التخريج إلا على رأى الأخفش فى تجويز تقديم الحال على عاملها المعنوى .

قال ابن السراج : ولم يجز يونس والخليل : كم غلمانا لك ؟ لأنك لاتقول أعشرون غلمانا لك ؟ إلا على وجه لك مائة بيضا ، وعليك راقود خلا ، فإن أردت هذا المعنى قلت كم لك غلمانا ؟ ويقبح أن تقول كم غلمانا لك ؟ لأن) لك (سبب نصب غلمان ، ولا يجوز أن يتقدم عليها ، كما لم يجز زيد قائما فيها ، وقد بينا ان العامل اذا كان معنى لم يجز أن يتقدم معموله عليه .

وقال السيرافى ماملخصه : كم فى الاستفهام تنصب لاغير ، أما إذا قلنا كم غلمانا لك ؟ لم يجز لأنك إن نصبت غلمانا على التمييز لم يجز لان كم

---

(١) شرح الأشمونى لألفية ابن مالك وحاشية الصبان عليه ٤-٥٨ (ط مصطفى محمد بمصر)

(١) الأصول فى النحو لابى بكر محمد بن سهل بن السراج تحقيق د . عبد الحسين الفتلى ١-٣٢٢ (ط مؤسسة الرسالة - بيروت) .

فى الاستفهام لايميز الا بواحد كعشرين وإن نصبتها على الحال لم يجز لأنه العامل (لك) .وهي مؤخرة فإن قدمت (لك) جاز كما يجوز عبد الله فيها قائما .

وأما نصب تمييز كم الاستفهامية ففيه ثلاثة مذاهب :

أحدها : أن نصبه لازم ، ولا يجوز جره مطلقاً ، وهذا مذهب بعض النحويين .

والثانى : أن نصبه ليس بلازم بل يجوز جره مطلقاً حملا على تمييز كم الخبرية وإلى هذا ذهب الفراء والزجاج والسيرافى .

والثالث : أن نصبه لازم إن لم يدخل على كم حرف جر فإذا دخل عليها حرف جر ترجح نصبه وجاز جره وهذا هو المذهب المشهور ولم يذكر سيبويه جواز تمييزها إلا إذا دخل عليها حرف جر حيث قال : وسألته (يعنى الخليل بن أحمد) عن قولهم : على كم جذع بيتك مبنى ؟ فقال : القياس النصب ، وهو قول عامة الناس ، وأما الذين جروا فإنهم أرادوا معنى (من) ولكنهم حذفوها ههنا تخفيفا على اللسان وصارت (على) عوضا منها » .

وإلى هذا المذهب أشار ابن مالك بقوله :

وأجـز ان تجـره من مضمرا إن وليت كم حرف جـر مظهر

فيجوز فى نحو : بكم درهم اشتريت هذا الثوب (نصب درهم وهو الأرجح ، ويجوز جره أيضا ، وفى جره قولان : أحدهما أنه مجرور بمن مضمرة وهو مذهب الخليل وسيبويه والفراء وجماعة من النحويين . والثانى :

---

(٢) كتاب سيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ٢-١٦٠ الهامش رقم ١ (دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة) .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

أنه مجرور بالإضافة وهو مذهب الزجاج ورد بأن كم بمنزلة عدد مركب والعدد المركب لا يعمل الجر فى مميزه فكذلك ما كان بمنزلته قاله ابن خروف(١) .

والظاهر منع ظهور (من) عند دخول حرف الجر على كم ، وهذا هو المشهور لأن حرف الجر الداخل على كم عوض من اللفظ بمن المضمرة وقيل يجوز نحو : بكم من درهم اشتريت ثوبك ؟

ولا يجوز حذف تمييز كم الاستفهامية إلا لدليل نحو: كم مالك ؟ أى كم درهماً أو دينار ؟ و كم سرت ؟ أى فرسخاً أو يوما قال تعالى :

« قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم » — الكهف الآية ١٩ — قال المفسرون إنهم دخلوا الكهف صباحاً وبعثهم الله فى آخر النهار فلما استيقظوا ظنوا أن الشمس قد غربت فقالوا لبثنا يوماً ثم رأوها لم تغرب فقالوا أو بعض يوم،وما دروا أنهم ناموا ثلاثمائة وتسع سنين(٢). أو دينارا ؟ وما أشبه ذلك » .

قال أبو بكر بن السراج(٣)وتقول كم زيد قائم؟وبكم ثوبك مصبوغ ؟ تريد : كم مرة أو ساعة زيد قائم ؟ وما أشبه ذلك وبكم درهماً أو ديناراً ثوبك مصبوغ ؟ وما أشبه ذلك .

وقال أبو القاسم الزجاجى(٤)وإذا وقع بعدكم معرفة رفعتها وأضمرت التمييز كقولك كم مالك ؟ وكم غلمانك ؟ وكم ثوبك ؟ فكم مرفوع بالابتداء والخبر الأسماء المرفوعة بعدها والتقدير كم درهما مالك ؟ و كم غلاماً غلمانك؟ و كم ذراعاً ثوبك ؟ فقس عليه نصب إن شاء الله » .

---

(١) التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ٢ — ٧٩ (ط عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر) .

(٢) شرح التسهيل لابن عقيل ٢ — ١٠٦ ص ١٠٧ .

(٣) الأصول فى النحو لابن السراج ١ — ٣٢٤ .

(٤) كتاب الجمل فى النحو لأبى القاسم الزجاجى تحقيق د. على توفيق الحمد ص ١٣٨ (ط ١ مؤسسة الرسالة — بيروت) .

(ب) كم الخبرة :

كمْ الخبرية أسم دال على عدد مجهول الجنس والمقدار وتقيد التكثير ولهذا تستعمل غالباً فى مقام الافتخار والتعظيم وتحتاج إلى تميز وتمييزها تارة يكون جمعاً مجرورا كمميز عشرة وتارة يكون مفرداً مجروراً كمميز مائة ، وإلى ماتقدم أشار ابن مالك بقوله :

واستعملنْها خــبراً كعشره أو مائه ككم رجال أو مره

تقول : كم غلمان ملكت ، وكم ثوب لبست ، وتمييزها بالمفرد أكثر من تمييزها بالجمع وقال بعض النحويين إن تمييزها بالجمع شاذ وهى فى الحالتين للتكثير عند المبرد ومن بعده من النحاة وخالف أبو بكر بن طاهر وتلميذه ابن حروف فزعما أنها للتقليل والتكثير كرب وقال انه مذهب سيبويه والكسائى .[1]

قال الفرزدق يهجو جريراً :

كم عمة لك ياجرير وخالة فدعاء قد حلبت على عشارى

يروى هذا البيت يجر (عمة وخالة) على أن كم خبرية وهى مبتدأ وخبرها جملة (قد حلبت) وأفرد الضمير حملاً على لفظ كم ، أو أفراد الضمير لأن التاء للجماعة لأن عمة وخالة فى معنى عمات وخالات .

ويروى هذا البيت أيضاً بنصب (عمة وخالة) ورفعها ، أما نصبهما فقيل إن لغة بنى تميم تنصب تميز كم الخبرية إذا كان مفرداً وسفرزدق تميمى.

---

(١) للسرح التسهيل لابن عقيل ٢ — ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) البيت من شواهد سيبويه ٢ — ١٢٦ (تحقيق الأستاذعبد السلام هارون) والأشمونى ٤—٥٨ ومغنى اللبيب لابن هشام ص ٢٤٥ (طبع بيروت) والهمع للسيوطى ١—٢٥٤ والدور اللوامع للشنقيطى ١—٢١١ والفدعاء : المعوجه الرسغ من اليد أو الرجل والعشار جمع عشراء وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة الهر .

وقيل كم استفهامية تدل على التهكم أى أخبرنى ياجرير بعدد عماتك وخالاتك اللاتى كن يخدمننى فقد نسيته .

وأما من رفعهما فعلى أن (عمة) مبتدأ وسوغ الابتداء بالنكرة أنها موصوفة بقوله (لك) والخبر (قد حليت) وخبر (خالة) محذوف تقديره : قد حليت وكم على هذا الوجه ظرف أو مصدر والتمييز محذوف والتقدير : كم وقت أو كم حابة) .

تنبيهات :

١ ــ إفراد تمييز كم الخبرية أكثر وأفصح من جمعه ، وجمعه ليس بشاذ كما زعم بعضهم وقيل الجمع على معنى الواحد فقولك كم رجال على معنى كم جماعة من الرجال .

٢ ــ ذهب البصريون إلى أن جر تمييز كم الخبرية بإضافة كم إليه على الصحيح إذ لا مانع من الإضافة وذلك حملا لها على ماهى مشابهة له من العدد الصريح وذهب الكوفيون إلى أن جره بمن مقدرة لأنه لمـــا كثر دخول من على تمييز كم الخبرية جاز تركها قال تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) سورة البقرة الآية ٢٤٩ .

واحتج الكوفيون على أن تمييز كم الخبرية مخفوض بمن المقدرة بالنقل والقياس أما النقل فقط قال الشاعر :

كم بجود مقرف نال العـــلا وكريم بخله قـــد وضعه

---

(١) شرح الأشمونى وحاشية الصبان عليه ٤ــ٥٩ ، ٦٠ والإنصاف فى مسائل الخلاف لأبى البركات الأنبارى تحقيق الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد ١ــ٣٠٣ ــ ٣٠٩ ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادى تحقيق د . عبد الرحمن على سليمان ٤ــ٣٢٨ ــ ٣٣٢ (الناشر مكتبة الكليات الأزهرية) وشرح أبيات سيبويه لأبى جعفر النحاس تحقيق

(٢) هذا البيت من شواهد سيبويه ٢ــ١٦٧ وشرح أبيات سيبويه لأبى جعفر النحاس تحقيق د . وهبة متولى عمر ص ٢٣١ الناشر مكتبة الشباب بالمنيرة بالقاهرة .والإنصاف ص٣٠٣

فخفض (مقرف) بمن مقدرة مع الفصل بينها وبين كم بالجار والمجرور .

وقال آخــــر :

كم فى بنى بكر بن سعد سيد ضخم الدسيعة مــــا جــد نفاع

الشاهد فيه خفض (سيد) بمن مقدرة مع الفصل بينه وبين كم

وأما القياس فلأن خفض الاسم بعد كم فى الخبرية بتقدير (من) لأنك إذا قلت كم رجل أكرمت وكم امرأة أهنت كان التقدير فيه كم من رجل أكرمت وكم من امرأة أهنت والمعنى يقتضى هذا التقدير وهذا التقدير مع وجود الفصل بالظرف والجار والمجرور كما هو مع عدم وجوده فكما ينبغى أن يكون الاسم مخفوضا مع عدم الفصل لكذلك مع وجوده .

وقال البصريون إن كم الخبرية هى العاملة فيا بعدها الجر لأنها بمنزلة عدد مضاف إلى مابعده وإذا فصل بينهما بظرف أوجار ومجرور بطلت الإضافة لأن الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف أو الجار والمجرور لايجوز فى اختيار الكلام فعدل إلى النصب لامتناع الفصل بينهما وما استشهد به الكوفيون لاحجة فيه لأنه ضرورة ولايقاس عليه .

والأشمونى ٤–٥٩ والهمع ١–٢٥٥ ، الدرر اللامع ١–٢١٢ وذكر الأستاذ عبد السلام هارون فى تحقيقه لكتاب سيبويه أنقائله أنس بن زنيم أو عبد الله بن كريز أو أبو الأسود الدولى والمقرف الذى أبوه عجمى وأمه عربيه ، والكريم الذى أبوه وأمه عربيان ، والوضيع الخسيس واراد بالمقرف الذى ليس له أصالة من جهة أبويه واستشهد سيبويه بالبيت على جواز الرفع والنصب والجر فى قوله (مقرف) فالرفع على جعل كم ظرفا لتكثير المرار ويرتفع بالابتداء وما بعده خبر والتقدير كم مرة مقرف نال العلا والنصب على التمييز لقبح الفصل بين كم وماعملت فيه والجر على جواز الفصل بين كم وما عملت فيه بالمجرور ضرورة وموضع كم فى التقديرين الأخيرين رفع بالابتداء والتقدير كثير من المقرفين نال العلا بجوده .

(١) هذا البيت من شواهد سيبويه ١–٢٩٦ (ط بولاق) والأشمونى ٤–٥٩ والأنصاف ١–٣٠٤ ورواية سيبويه (كم فى بنى سعد بن بكر سيد (ورواية الأعم) كم فى بنى بكر بن عمرو سيد (والدسيعة : المطبخة ويقال هى الجفنة والمعنى أنه واسع اجعروف وانه ماجد شريف .

وقال البصريون إن حرف الجر لايجوز أن يعمل مع الحذف وإنما يجوز أن يعمل حرف الجر مع الحذف فى مواضع يسيرة على خلاف الأصل إذا حذف مع وجود عوض أو بدل كعمل رب محذوفة بعد الواو والفاء .

٣ ــ شرط جر تمييز كم الخبرية بالإضافة عند البصريين الاتصال فإن فصل بينهما نصب التمييز حملا على تمييز كم الاستفهامية فان ذلك جائز فى السعة وقد جاء تمييز كم الخبرية مجرورا مع الفصل بينهما بالظرف أو الجار والمجرور كقول الشاعر :

كم دون مية موماة يهال لها إذا تيممها الخريت ذو الجلد

فموماة تمييز كم الخبرية وهو مجرور وفصل بينهما بالظرف .

وقول الشاعر :

كم بجود مقرف نال العلا وكريم بخله قد وضعه

فمقرف تمييز كم الخبرية وهو مجرور وفصل بينهما بالجار والمجرور .

والصحيح أن جر تمييز كم الخبرية مع الفصل بينهما بالظرف أو الجار والمجرور خاص بالشعر وذهب الكوفيون إلى جواز ذلك فى الاختيار وقيل يجوز جر التمييز إذا فصل بينهما بناقص نحو : كم اليوم جائع أتانى ، وكم بك مأخوذ جاءنى ولايجوز الجر إذا فصل بينهما بتام وهو مذهب يونس ، فان كان الفصل بينهما بجملة أو بظرف وجار ومجرور معا تعين النصب عند البصريين ، فالأول كقول الشاعر :

كم نالنى منهم فضلا على عدم إذ لا أكاد من الإقتار أحتمل

---

(١) نسب هذا البيت إلى ذى الرمة ومية اسم محبوبته وموماة بفتح الميم وسكون الواو المفازة يهال بالبناء للمجهول يفزع منها وتيممها قصدها ، الخريت بكسر الخاء وتشديد الراء الحاذق الماهر (. شرح الأشمونى لألفيه ابن مالك وحاشية الصبان عليه ٤-٥٩) .

(١) قائله القطب وهو من شواهد سيبويه والعدم : فقد المال والإقتار : الافتقار

ففضلا تمييز كم الخبرية وفصل بينهما بجملة (نالني) .

والثاني كقول الآخر :

تؤم سنانا وكم دونــــه من الأرض محـــدود باغـــــارها

فمحدودباً تمييز كم الخبرية وفصل بينهما بالظرف والجار والمجرور .

مواضع اتفاق كم الاستفهامية والخبرية :

تتفق كم الاستفهامية والخبرية في أمور منها :

الأول : كونهما كنايتين عن عدد مجهول والمقدار .

والثاني : الاحتياج إلى التمييز لأن كلا منهما كناية عن عدد مجهول .

الثالث : كونهما اسمين خلافاً لمن زعم أن الخبرية حرف ودليل اسميتها الإسناد إليها وعود الضمير عليها وتسليط عوامل النصب عليها .

وأجتمل بالجيم اجمع العظام لأستخراج جميلها أي رسمها ويروى (احتمل) بالحاء المهملة إي لا أستطيع الارتحال لطلب الرزق لضعفي، يمدح الشاعر ، هؤلاء بأنهم أفضلوا عليه أيام فقرة وحالته .

والشاهد فيه نصب (فضلا) على التمييز لوجود فاصل بينه وبين كم الخرية، يجوز رفعه على أنه فاعل للفعل (نالني) على أن تجعل كم ظرفا لتكثير المرار التقدير كم مرة نالني منهم فضل (سيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ٢-١٦٥ ، الأشموني ٤-٥٩ ، والهمع ١-٢٥٥ والدر اللوامع ١-٢١٢) زبيزيبيويه لأبي جعفر النحاس تحقيق د. وهبة متولي عمر . سالمه ص ٢٣٠ (ط نهضة مصر) .

(٢) من شواهد كتاب سيبويه ونسب فيه إلى زهير ولكن الأستاذ عبد السلام هارون. ذكر أن البيت ليس في ديوانه .

والشاهد فيه نصب قوله (محدودبا) على أنه تمييز كم الخبرية اقبح الفصل بينهما بالظرف والجار والمجرور سيبويه يوجب نصبه حينئذ إلا الضرورة والغاز : الغائر وهو المطمئن من الأرض وجعله محدودبا لما يتصل به من آكام (سيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ٢-١٦٥ - الإنصاف ٣٠٦ والإشموني ٤-٥٩ واللسان (غور) . وشرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس تحقيق د. وهبه متولي عمر سالمه ص ٢٣٠ (ط نهضة مصر) .

(١) مغني اللبيب لابن هشام ص ٢٢٤ (طبع بيروت) والتصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري ٢-٢٧٩ وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ابن مالك المرادي ٤-٢٣٢ وشرح الأشموني ٤-٦٠ .

الرابع : كونهما مبنيتين ، وبنيت كم الاستفهامية لتضمنها معنى حرف بالاستفهامية لفظا ومعنى إذ هى لعدد مبهم كالاستفهامية وقال الشلوبين : بنيت لتضمنها معنى حرف الكثرة الذى كان حقه أن يوضع وهو نظير ما قاله ابن مالك فى أسماء الاشارة ورد ابن هشام قول الشلوبين بأنه لايعرف لأحد ولانظير له فى كلامهم والقياس لايعطيه لأن التضمين فرع الوجود فما لم يوجد لاتضمن كلمة معناه

الخامس : كون البناء فيهما على السكون وهو الأصل فى البناء .

السادس : أنهما يلزمان صدر الكلام أما الاستفهامية فلزومها صدر الكلام واضح وأما الخبرية فللحمل على رب فلا يعمل فيها ماقبلها إلا المضاف وحرف الجر ولهذا امتنع النصب فى نحو زيد كم ضربته وزيد كم دراهم أعطيته لأن مالا يعمل لايفسر عاملا وحكى الأخفش أن بعض العرب يقدم العامل على كم الخبرية فيقول : ملكت كم غلام ، ولكن هذه اللغة من القلة بحيث لايقاس عليها .

قال ابن هشام :(١) قول ابن عصفور فى قوله تعالى (أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون) ــ السجدة الآية ٢٦ ــ إن كم فاعل مردود بأن كم لها الصدارة وقوله إن ذلك جاء على لغة رديئة حكاها الأخفش عن بعضهم أنه يقول : ملكت كم عبيد فيخرجها عن الصدرية خطأ عظيم إذ خرج كلام الله سبحانه على هذه اللغة وإنما الفاعل ضمير اسم الله سبحانه أو ضمير العلم أو الهدى المدلول عليه بالفعل او جملة (أهلكنا) على القول بأن الفاعل يكون جملة إما مطلقاً ، أو بشرط كونها مقترنة بما يعاق عن العمل والفعل قلبى نحو ظهر لى أقام زيد » .

السابع انهما يشتركان فى وجوه الإعراب :

فكم بقسميها إن تقدم عليها حرف جر نحو بكم درهم اشتريت هذا ؟

---

(١) مغنى اللبيب لابن هشام ص ٢٤٤ (طبع بيروت) .

أو تقدم عليها مضاف نحو غلام كم رجلا ضربت؟ ورقبة كم أسير ملكت؟ فهى فى محل جر ، وإلا فإن كانت كناية عن مصدر أو ظرف فهى فى محل نصب على المصدر أو الظرف نحو كم ضربة ضربت زيدا ؟ وكم طعنات طعنت؟ وكم ميلا سرت؟ وكم يوم صمت؟ وإلا فإن لم يلها فعل نحو كم درهما عندك ؟ وكم درهم عندى ، أو وليها وهو لازم نحو كم رجلا قام ؟ وكم حاج طاف بالبيت ، أو متعد رفع ضميرها أو سببية نحو كم رجلا ضرب عمرا؟ وكم رجلا ضرب أخوه عمراً ؟ ففى هذه الأحوال كلها تعرب (كم) فى محل رفع مبتدأ . وإن وليها فعل متعد ولم يأخذ مفعوله فهى فى محل نصب مفعول به نحو كم جزءا قرأت ؟ وكم رجال صحبت ؟ وإن كان بعدها فعل متعد أخذ مفعوله فهى مبتدأ نحو كم رجلا ضرب زيد عمرا عنده؟ إلا أن — يكون المفعول به ضميرا يعود عليها فيجوز فى كم حينئذ الرفع على الابتداء والنصب على الاشتغال نحو كم رجلا ضربته ؟ .

مواضع اختلاف كم الاستفهامية عن كم الخبرية :

تختلف كم الاستفهامية عن كم الخبرية فى أمور منها(١) :

أحدها : أن الكلام مع الخبرية يحتمل التصديق والتكذيب لأنه خبر ، والأخبار تحتمل الصدق والكذب، بخلاف الاستفهامية لأن المتكلم بها منشىء والإنشاء لايحتمل ذلك .

الثانى : أن المتكلم بالخبرية لايستدعى من مخاطبة جوابا لأنه مخبر ، والمتكلم بالاستفهامية يستدعى الجواب لأنه مستخبر ، والأجود فى جوابها أن يكون على حسب موقعها من الاعراب ، ولو رفع مطلقا لجاز .

الثالث : أن الاسم المبدل من كم الخبرية لايقترن بهمزة الاستفهام لأن الكلام خبر لايتضمن معنى الاستفهام بخلاف المبدل من كم الاستفهامية

---

(١) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادى ٤-٣٣٣ ، ٣٣٤ وشرح الأشمونى لالفية ابن مالك ٤-٦٠ ، ٦١ وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ٢ - ٢٨٠ ومغنى اللبيب لابن هشام ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ (طبع بيروت) .

فإنه يجب اقترانه بهمزة الاستفهام ، نقول فى الخبرية : كم رجال فى الدار عشرون بل ثلاثون ، وتقول فى الاستفهامية : كم مالك ؟ أعشرون أم ثلاثون ؟ فكم فى موضع رفع بالابتداء ومالك خبرة عند سيبويه ، وعند الأخفش بالعكس وأعشرون بدل من كم وأم عاطفة وفيها معنى الاستفهام وتسمى معادلة للهمزة وثلاثون معطوف على عشرون .

الرابع : أن تمييزكم الخبرية أصله الجر ، وتمييزكم الاستفهامية واجب النصب ، ولايجوز جره إلا إذا دخل على كم حرف جر .

الخامس : أن تمييز كم الخبرية يكون مفردا أو جمعا ، وتمييز الاستفهامية لايكون إلا مفردا خلافا للكوفيين .

السادس : أن كم الخبرية تختص بالزمن الماضى كرب ، ولهذالايجوز أن يقال كم غلمان سأملكهم ؟ كمالا يجوز أن يقال : رب ضيوف سأكرمهم ، لأن التكثير والتقليل يكونان فيما عرف حده ، والمستقبل مجهول ، ويجوز فى الاستفهامية أن يقال : كم جزءا ستحفظه ؟ لأنالاستفهام لطلب تعيين المجهول .

عود الضمير على كم :

قال ابن يعيش : اعلم أن كم اسم مفرد مذكر يعبر به عن كل معدود كثيرا كان أو قليلا وسواء فى ذلك المذكر والمؤنث ، فقد صارلها معنى ولفظ وجرت فى ذلك مجرى كل وأى ومن وما فى أن كل واحد منها له لفظ ومعنى فلفظه مفرد مذكر وفى المعنى يقع على المؤنث والمثنى والجمع فإذا عاد الضمير إلى كم من جملة بعدها جاز أن يعود نظارا إلى اللفظ ، وجاز أن يعود حملا على المعنى فتقول : كم رجلا جاءك ؟ فتفرد الضمير وتذكره حملا على اللفظ ولو قلت : جاءاك بلفظ التثنية أو جاءوك بلفظ الجمع لجاز حملا على المعنى ، وكذلك فى المؤنث تقول : كم امرأة جاءك ؟ حملا على لفظ وجاءتك وجاءتاك وجئنك حملا على المعنى ، قال الله تعالى :

« وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا — النجم من الآية ٢٦ — فجمع الضمير نظرا إلى المعنى ، وقال « وكم من قرية أهلكناها » — الأعراف من الآية ٤ — فأنث الضمير حملا على المعنى لأن كم مفسرة بقرية ولو جاء على اللفظ لقال أهلكناه(١) .

وقال ابن السراج(٢) : تقول : كم امرأة قد قامت ، ولا يجوز أن تقول : كم امرأة قد قمن ، لأن المعنى كم من مرة امرأة قد قامت ، فإن كان امرأة مميزة فقلت : كم امرأة قد قامت ، جاز أن تقول قامت وقمن بجعل الفعل مرة على لفظ المفسر ومرة على معنى كم قال الله عز وجل « و كم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً — النجم من الآية ٢٦ — فرده إلى معنى كم وقال جل ثناؤه « و كم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً » — الأعراف الآية ٤ — فجاء على لفظ المفسر فإدخال من وإخراجها واحد ، لأنك تريد التفسير » .

ثانياً : كأى (٣) :

من كنايات الأعداد كأى ، وهى أسم مركب من كاف التشبيه وأى المنونة ، ولذلك جاز الوقف عليها بالنون لأن التنوين لما دخل فى التركيب أشبه النون الأصلية ولهذا رسم فى المصحف نوناً ولكونهما صارا كلمة واحدة لم تتعلق الكاف بشىء قبلها من فعل ولا معنى فعل كما لا تتعلق فى كأن وكذا بشىء لأن حرف الجر لا يعلق عن العمل ، وقيل الكاف زائدة قاله ابن عصفور لأنك تريد بها معنى التشبيه ولكنها لازمة ، وقيل : هى

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٤–١٣٢ ، ١٣٣ (باختصار) .

(٢) الاصول فى النحو لابن السراج — الجزء الأول مبحث كم — ١–٣٢٣ .

(٣) شرح الفية ابن مالك المرادى ٤–٣٣٤ — ٣٣٩ ، وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الازهرى ٢–٢٨١ وشرح التسهيل لابن عقيل ٢–١١٥ — ١١٩ وشرح المفصل لابن يعيش ٤–١٣٤ — ١٣٦ ومغنى اللبيب لابن هشام ص ٢٤٦ ، ص ٢٤٧ (ط بيروت) وهمع الهوامع للسيوطى ١–٢٥٥ ، والدرر اللوامع للشنقيطى ١–٢١٢ ، ٢١٣ .

هى إسم بسيط واختاره أبو حيان ، قال : ويدل على ذلك تلاعب العرب فى لغاتها .

ومن شواهدها فى القرآن الكريم قوله تعالى : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير » — آل عمران الآية ١٤٦ — وقوله : « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » — سورة يوسف الآية ١٠٥ — وقوله « وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم » — سورة محمد الآية ١٣ — .

وتوافق كأى كم الخبرية فى أمور ، منها :

١ — البنـــاء .

٢ — والإبهام .

٣ — وإفادة التكثير .

٤ — والافتقار إلى التمييز .

٥ — ولزوم التصدير .

وتخالف كأى كم فى أمور ، منها :

١ — أنها مركبة من كاف التشبيه وأى المنونة و كم بسيطة على الصحيح كما تقدم .

٢ — أن مميز كأى مجرور بمن غالباً حتى زعم ابن عصفور لزوم ذلك ويرده قوله سيبويه : كأين رجلا قد رأيت زعم ذلك يونس وكأين قد أتانى رجلا ، إلا أن أكثر العرب إنما يتكلمون بها مع من .

ثم قال سيبويه ، فإنما ألزموها من لا توكيد ، فجعلت كأنها شىء يتم به الكلام وصار كالمثل ومثل ذلك ولا سيا زيد (أى فى لزوم ما الزائد للتوكيد فرب توكيد لازم حتى يصير كأنه من الكلمة) .

أما تمييز كم الخبرية فمجرور بالإضافة .

ومن مجيء تمييز كأى منصوباً قول الشاعر :

اطــرد اليأس بالرجا فكأى آلما حم يسره بعــد عسر(١)

٣ ـ أنها لا تقع مجرورة خلافاً لأبن قتيبة وابن عصفور حيث أجازا: بكأى تبع هذا الثوب ؟ قال أبو حيان ويحتاج دخول حرف الجر عليها إلى سماع ولا ينبغى القياس على كم الخبرية لأن ذلك يقتضى أن يضاف إليها ككم ، ولم يحفظ من كلامهم (٢).

٤ ـ أنها لاتقع استفامية عند الجمهور خلافاً لأبن قتيبة وابن عصفور وابن مالك ، واستدل ابن مالك لذلك بقول أبى بن كعب لعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما ـ كأى تقرأ سورة الأحزاب آية ؟ فقال : ثلاثاً وسبعين .

٥ ـ إذا وقعت مبتدأ لا يخبر عنها إلا بجملة فعلية مصدره بماض أو مضارع نحو قوله تعالى : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير » ـ آل عمران الآية ١٤٦ ـ وقوله « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها » ـ سورة يوسف الآية ١٠٥ ـ قال أبو حيان : قد أستقرأت ماوقعت فيه فوجدت الخبر فيه لا يكون إلا كذلك ولم أقف على كونه أسما مفرداً ولا جملة أسمية ولا فعلية مصدره بمستقبل ، ولا ظرفاً ولا مجروراً فينبغى ألا يقدم على شىء من ذلك إلا بسماع من العرب (٢).

وتقع كأى مبتدأ ومفعولا ، قال فى البسيط وخبراً ، والقياس يقتضى وقوعها ظرفاً ومصدراً وخبراً لكان مثل كم الخبرية(٤) .

---

(١) لم أعثر على قائله والشاهد فيه إتيان آلما بالنصب تمييز الكأى واليأس : القنوط والرجا الأمل وقصر للضرورة ، وحم بالبناء للمجهول ، قدر يقول : لاتقنط وترج حصول الفرج بعد الشدة فكم من فقير معدم قدر الله غناه بعد فقره (مغنى اللبيب لابن هشام ص ٢٤٧ ط بيروت) .

(٢) همع الهوامع للسيوطى ٢-٧٦ .

(٣) المرجع السابق ٢-٧٦ .

(٤) شرح التسهيل لابن عقيل ٢-١١٧ .

ومن اللغات التي وردت في كأي مايلي(١) :

الأولى : كأي المركبة من كاف التشبيه وأي المنونة وهي أفصحها وبها قرأ السبعة إلا عبد الله بن كثير .

الثانية : كأين بالالف بعد الكاف وهمزة مكسورة منونة وبها قرأ ابن كثير وورد كثيراً في الشعر قال عمرو بن شأس :

وكائن رددنا عنكم من مدجج يجيء أمام الألف يردى مقنعاً(٢)

الثالثة : كأ بحذف الألف وهمزة مكسورة منونة بعد الكاف وهذه اللغة حكاها أبو الحسن ابن كيسان .

الرابعة : كي بياء ساكنة بعد الكاف وهمزة مكسورة منونة وهذه اللغة حكاها المبرد والأصل كيّ بتقديم الياء المشددة على الهمزة ثم خففت الياء .

الخامسة : كأي بهمزة ساكنة بعد الكاف وياء مكسورة خفيفة منونة، وهي مقلوبة من كيء وبها قرأ ابن محيصن وحكاها ابن كيسان والأعلم .

ثالثاً : كـــذا(٣) :

من كنايات الأعداد (كذا) ويكنى بها عن العدد القليل والكثير .

---

(١) شرح الأشموني لالفية ابن مالك ٤-٦٣ وشرح التسهيل لابن عقيل ٢-١٧١ ، ١١٨ وشرح المفصل لابن يعيش ٤-١٣٦ .

(٢) من شواهد سيبويه ٢-١٧٠ وشرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس ص ٢٣٢ وهمع الهوامع للسيوطي ١-٢٥٦ والدرر اللوامع للشنقيطي ١-٢١٣ والشاهد فيه إتيان كائن بمعنى كم الخبرية مع الإتيان بعدها بمن جارة للتمييز والمدجج لابس السلاح يردى : يمشي والرديان مشي فيه تبختر ، والمقنع الذي تقنع بالسلاح كالبيضة ونحوها يقول : كم رددنا عن عشيرتنا في الحرب من مدجج بارز لهم .

(٣) كتاب سيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ٢-١٧٠ ، ١٧١ وشرح الأشموني لألفية ابن مالك ٤-٦٢ ، ٦٣ وشرح الفية ابن مالك للمرادي ٤-٣٣٦ ، ٣٣٧ ، وشرح التسهيل لابن عقيل ٢-١١٥ - ١١٩ ، وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري ٢ - ٢٨١ .

وتوافق كذا كأى فى أربعة أمور .

توافقها فى التركيب فإنها مركبة من كاف التشبيه وذا الإشارية وكأى مركبة من كاف التشبيه وأى المنونة كما تقدم وتوافقها فى البناء وفى الإبهام وفى الافتقار إلى التمييز .

وتخالفها فى ثلاثة أمور :

١ ــ أنها ليس صدر الكلام تقول قبضت كذا وكذا درهما .

٢ ــ أن تمييزها واجب النصب فلا يجوز جره بمن اتفاقا ، ولا باضافة خلافاً للكوفيين حيث أجازوا فى غير تكرار ولا عطف أن يقال : اشتريت كذا ثوب وكذا أثواب بالجر قياساً على العدد الصريح وقال فقهاؤهم يلزمه بقوله : له عندى كذا درهم يلزمه مائة ويقوله : كذا دراهم يلزمه ثلاثة وبقوله كذا وكذا درهماً يلزمه أحد عشر وبقوله كذا درهماً يلزمه عشرون وبقوله كذا وكذا درهماً يلزمه واحد وعشرون وذلك حملا على العدد الصحيح من نظائرها ووافقهم فى غير مسألتى الإضافة المبرد والأخفش وابن كيسان والسيرافى وابن عصفور وجاء فى شرح التسهيل لابن عقيل وليس لهم فى هذا سماع أستندوا إلى الرأى لا الرواية « ثم قال ومذهب جمهور البصريين أن التمييز لا يكون إلا مفرداً منصوباً كيف كانت كذا ، أريد بها عدد قليل أو كثير وإليه ذهب الفارسى مرة وزعم ابن عصفور أن مااختاره مذهب البصريين(١) .

٣ ــ أن كذا لا تستعمل غالباً إلا معطوفاً عليها مثلها كقول الشاعر :

عــد النفس نعمى بعد بؤســاك ذاكراً
كــذا وكــذا لطفاً بــه نسى الجهد(٢)

---

(١) شرح التسهيل لابن عقيل ٢–١١٩ .

(٢) هذا البيت من شواهد الأشمونى ٤–٦٢ ومغنى اللبيب ٤٨ ، وهمع الهوامع ١–٢٥٦ لم ينسب إلى قائله الشاهد فيه استعمل كذا معطوفا عليها مثلها لكونها كناية عن عدد والإتيان بتمييزها مفردا منصوبا .

وزعم ابن خروف أنهم لم يقولوا كذا درهماً ولا كذا درهماً بدون عطف ، وقال ابن مالك فى التسهيل : وقل ورود كذا مفرداً أو مكرراً بلا واو وذلك يدل على ورود الأمرين ولم يذكر لهما شاهداً(١) .

وجاء فى لسان العرب : قولهم كذا كناية عن الشيء تقول فعلت كذا ، وكذا يكون كناية عن العدد(٢) فتنصب مابعده على التمييز تقول: له عندى كذا وكذا درهماً كما تقول له عندى عشرون درهما . أ هـ .

والله ولى التوفيق . . .

الدكتور : وهبة متولى عمر سالمة
كلية التربية للبنات ــ بجــدة

(١) شرح الفية ابن مالك للمرادى ٤–٣٣٧ .
(٢) لسان العرب لابن منظور ٢٠ – ٨١ مادة كذا) .

مراجع البحث

١ — الأصول فى النحو لأبى بكر محمد بن سهل بن السراج تحقيق د . عبد الحسين الفتلى (ط مؤسسة الرسالة بيروت) .

٢ — الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبدالحميد (ط السعادة بالقاهرة) .

٣ — تحصيل عين الذهب . . . فى علم مجازات العرب (شرح شواهد كتاب سيبويه) للأعلم الشنتمرى هامش كتاب سيبويه — مطبعة بولاق .

٤ — توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن لك المردى تحقيق د . عبد الرحمن على سليمان (الناشر مكتبة الكليزت الأزهرية) .

٥ — الجمل فى النحو لأبى القاسم الزجاجى تحقيق د . على توفيق الحمد (ط ١ مؤسسة الرسالة بيروت) .

٦ — حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (ط دار اجياد الكتب العربية بمصر) .

٧ — حاشية الصبان على الرح الأشمونى لألفية ابن مالك (ط مصطفن محمد بمصر) .

٨ — الدرر اللوامع على همع الهوامع للشنقيطى (دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت).

٩ — كتاب سيويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون (ط دار الكاتب بى بالقاهرة) نسخة أخرى من كتاب سيبويه — مطبعة بولاق .

١٠ — شرح أبيات سيبوية لأبى جعفر النحاس تحقيق د . وهبه متولى عمر ساله (ط ١ الناشر مكتبة (الشباب بالمنيرة بالقاهرة (ط نهضة مصربالفجالة) .

١١ — الرح الأشمونى لألفية ابن مالك (ط مصطفى محمد بمصر) .

١٢ — شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (ط دار احياء الكتب العربية بالقاهرة) .

١٣ — شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى (ط عيسى الحلبى وشركاه بمصر)

١٤ — شرح المفصل لابن يعيش (مكتبة المتنبى بالقاهرة) .

١٥ — لسان العرب لابن منظور (ط بيروت) .

١٦ — المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل على كتاب التسهيل لابن مالك تحقيق د . محمد كامل بركات (جامعة أم القرى بمكةالمكرمة) .

١٧ — المعجم الوسيط — مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

١٨ — مغنى اللبيب لابن هشام تحقيق د . مازن المبارك ومحمد على حمد الله (ط بيروت) .

١٩ — همع الهوامع شرح جمع الجوامع السيوطى) دار المعرفة للطبعة والنشر بيروت) .

الحياة النيابية والمشاركة السياسية فى مصر من عـام ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢

د. وجيه عتيق
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

هناك علاقة وثيقة بين المشاركة السياسية ومفهوم الديمقراطية ، فكلما اتسعت قاعدة المشاركة السياسية من قبل الشعب ، عبر ذلك على مدى ادراك الشعب لمفهوم الديمقراطية . وقد فرضت قضية المشاركة السياسية للشعب المصرى نفسها على المهتمين بالحياة النيابية فى مصر وعلى المشتغلين بالسياسة فيها ، خاصة منذ أصبح النظام السياسى فى البلاد يقوم على أساس تعدد الاحزاب وحرية تكوينها وممارسة نشاطها بين جماهير الشعب المصرى .

وتمر الحياة الحزبية الآن فى مصر بمرحلة دقيقة للغاية ، وقد سمح الدستور الأخير (المـــادة ٥) بعودة الحياة الحزبية فى مصر منذ الغائها فى أعقاب ثورة ١٩٥٢ .

لانبالغ إذا قلنا أنه على ضوء نجاح أو فشل هذه التجربة الجديدة سوف يتحدد مستقبل مصر السياسى كله ، وسوف ينعكس هذا بالطبع على حياة الشعب المصرى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعلى علاقة هذا الشعب بشعوب العالم الاخرى ، ومن هنا تأتى أهمية دراسة « موقف المصريين من الأنتخابات النيابية فى الفترة من ١٩٢٣ إلى ١٩٥٢ » كأهم مظهر من مظاهر المشاركة السياسية للشعب المصرى لتحديد موقفه من النظام السياسى القائم . والمشاركة السياسية للشعب فى أى دولة مستقلة يمكن تعريفها ببساطة بأنها ذلك الدور الذى يلعبه الشعب فى اختيار النظام السياسى لتلك الدولة ، وهى السلطة السياسية التى يكفلها الدستور فى أطار النظام الديمقراطى الذى يطبق فى تلك

الدولة ، والعبرة هنا ليست بما ينص عليه الدستور نظريا بل العبرة بما يحدث عمليا وبما تسمح به الحكومة القائمة ، ومدى إتاحه الفرصة أمام الشعب دون أدنى تدخل لكي يمارس حقه الذى كفله له الدستور .

ولعل القضية الهامة التي تطرح نفسها أيضاً تكمن فى الممارسة الصحيحة للحياة النيابية من قبل الأحزاب السياسية ، وفى مدى التزام النواب الذين اختارهم الشعب بالنزاهة والنضج فى ممارسة العمل النيابى ، وهو ما يمكن أن نسميه بالمسئولية النيابية ،والتى على ضوئها يتحدد لنا إلى أى مدى أصاب الشعب قدرا من النجاح فى المشاركة السياسية التى تبدأ أول ما تبدا عندما يقوم الشعب بممارسة حقه فى اختيار نوابه وحكومته من خلال انتخابات حرة ، ثم تظهر بعد ذلك الدلائل على نجاح الحياة النيابية تحت قبة البرلمان ؛ سواء من خلال حكومة شعبية متفهمة لاحتياجات الديمقراطية أو معارضة جادة موضوعية . وعلى ضوء هذه الدلالات سوف تحدث المتغيرات الايجابية المنتظرة فى سلوك ومفاهيم وقيم الانسان المصرى .

ولانتصور نجاحا للتجربة النيابية الحالية فى ظل تعدد الأحزاب دون الاستفادة من دروس التجربة الحزبية قبل عام ١٩٥٢ ، ولا نتصور تطويرا لهذه . التجربة دون تفادى سلبيات التجربة السابقة ، ومن هنا تأتى الحاجة لمعرفة موقف المصريين من الانتخابات النيابية قبل عام ١٩٥٢ .

وفى الواقع فان موقف المصريين من الانتخابات يعطى الكثير من الدلائل والمؤشرات التى لانستطيع أن نغض البصر عنها ونذكر أهمها : —

أولا : أن الشعب المصرى بحسه السياسى الواعى يزيد من فعالية مشاركته فى الانتخابات عندما تكون خالية من كل وسائل التدخل وتتميز بالمنافسة الشريفة ، والعكس صحيح فان الشعب يتقاعس حتى عن ممارسة حقه فى التصويت عندما يحس أن الانتخابات ليست أكثر من اجراء شكلى تتخذه السلطة لاسباب سياسية دون ان تضع هذه السلطة فى الاعتبار أهمية للدور الذى يلعبه هذا الشعب فى الانتخابات ، والممارسة النيابية نفسها اثبتت

أنه لاحياة نيابية سليمة دون أن تكون هناك انتخابات حرة شارك فيها جماهير الناخبين مشاركة قوية .

ثانياً : أن جماهير الناخبين تدلى بأصواتها للأحزاب التى تلمس ان نوابها تخدم قضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بكل أمانة، والشعب يقف بحماس بجانب الأحزاب التى يشعر فيها انها تحقق أماله وترفع من مستوى معيشته ، والعكس فان الشعب يدير ظهره للأحزاب التى يلمس فيها الانتهازية .

كان النظام السياسى للمجتمع المصرى قبل عام ١٩٥٢ ، بما يتضمنه من وجود ملك ووزارة وبرلمـــان ، يتأثر بالوجود الانجليزى ، وكان لهذا الوجود أثره الكبير فى رد فعل الشعب المصرى وفى البرلمان وحوله . وكان الصراع يدور بين الشعب المصرى والملك ، وبين الشعب المصرى والنفوذ الانجليزى حول الدستور والحياة النيابية ، وكان البرلمان يتكون من مجلسين مجلس الشيوخ ومجلس النواب (المواد ٧٣ وما بعدها من دستور ١٩٢٣) .

فمجلس الشيوخ كان يتألف من أعضاء يعين الملك خمسيهم وينتخب الثلاثة أخماس الباقون بالاقتراع العام حسب دستور ١٩٢٣ ، ثم عدلت هذه القاعدة فى دستور ١٩٣٠ فأصبح الملك يعين الثلاثة أخماس من أعضاء المجلس ويتم انتخاب خمسيهم من قبل الشعب .

أما مجلس النواب فكان يتألف من أعضاء منتخبين جميعهم بالاقتراع الغام سواء فى عهد دستور ١٩٢٣ أو فى ظل دستور ١٩٣٠ .

ولذا فسوف تقتصر دراستنا على موقف المصريين من الانتخابات النيابية وليست الانتخابات البرلمانية ككل ، أى أن هذه الدراسة تبحث فى مدى المشاركة السياسية للمصريين فى انتخابات مجلس النواب ، حيث أن هناك سمة واضحة يلاحظها دارس تاريخ مصر السياسى ألا وهى ان مجلس النواب كان له الدور الأكبر والأهم فى الحياة السياسية فى مصر قبل عام ١٩٥٢ ، وكان مجلس النواب أشد تأثيرا فى الحياة البرلمانية ، كما كانت الجماهير أكثر

تفاعلا واهتماما بمجلس النواب ، الذى كان أبعد عمقا فى نفوسها من مجلس الشيوخ .

والسبب الأول فى ذلك هو أن أعضاء مجلس النواب يتم انتخابهم جميعهم من قبل جماهير الناخبين ، أى أن الشعب هو الذى اختاره من خلال حقه الدستورى لكى يصبحوا نوابه ، وكان الشعب يمارس حقه فى انتخاب هؤلاء النواب بحماس شديد فى أغلب الأحيان ، هذا عكس مجلس الشيوخ الذى كان الملك يقوم بتعيين جزء كبيرا من أعضائه سواء رضى الشعب المصرى عنهم أم لم يرض ومن هنا فان انتخابات مجلس النواب تعتبر المؤشر الصادق والمعبر عن حقيقة موقف الشعب المصري من الحياة السياسية فى مصر قبل عام ١٩٥٢ سواء اقبالا أو احجاما ، خاصة وأنه دستوريا كان حزب الأغلبية فى مجلس النواب يشكل الحكومة ، وبالتالى كان للشعب دوره الهام فى اختيار حكومته الشعبية . وعلينا ان نطرح بعض التساؤلات قبل الدخول فى تفاصيل الموضوع ومن أهم هذه التساؤلات .

١ ـ الكشف عن موقف الجهات الادارية تجاه سلوك الشعب المصرى فى الانتخابات ، والعوامل التى دفعت بعض الوزارات إلى التدخل والضغط والتزوير فى الانتخابات .

٢ ـ هل كانت المجالس النيابية التى تكونت فى الحقبة الليبرالية تعكس بصدق موقف المصريين من الانتخابات التى جرت ؟ .

٣ ـ إلى أي مدى كان الوعى السياسى لدي الشعب المصرى تجاه النظام النيابى ملحوظا من خلال موقفه فى انتخابات مجلس النواب سواء كان ذلك الموقف ايجابياً بالمشاركة الشعبية فى هذه الانتخابات أو سلبيا بمقاطعتها ؟ . وما هو أثر شخصية الزعيم فى سلوك جماهير الناخبين ، ومدي انعكاس ذلك على نتائج الانتخابات النيابية .

فى الفترة من عام ١٩٢٣ إلى ١٩٥٢ جرت عشرة انتخابات نيابية وهى فترة لاتتجاوز تسعة وعشرين عاما ، طبق دستور ١٩٢٣ خلال ٢٥ عاما

تقريبا ، وطبق دستور ١٩٣٠ لمدة أربعة أعوام ، فى ظل دستور ١٩٢٣ جرت تسع انتخابات ، اثنان منها كانتا على مرحلتين من خلال مندوبين ، وسبع انتخابات جرت على أساس القانون رقم ٤ لسنة ١٩٢٤ الذى جعل الانتخابات بواسطة الناخبين مباشرة ، وقد ظل هذا النظام هو الأساس المعمول به للانتخابات فى ظل دستور ١٩٢٣ حتى عام ١٩٥٢ . أما فى ظل دستور ١٩٣٠ فقد جرى انتخاب واحد فقط طبقاً لنظام الانتخابات غير المباشرة ، أى من خلال المندوبين .

وقد يكون من المفيد ان نستعرض أهم الملاحظات على أشهر ثلاث قوانين للانتخابات صدرت خلال الحقبة الليبرالية ، والتى على أساسها مارست هيئة الناخبين حقوقها الدستورية فى اختيار النواب أمام صناديق الأقتراع .

أولا : بالنسبة لقانون الانتخابات الصادر فى ٣٠ أبريل عام ١٩٢٣ .

١ ــ تم الانتخاب طبقاً لهذا القانون بطريق غير مباشر أى على مرحلتين ففى المرحلة الأولى انتخب كل ثلاثين ناخبا مندوبا عنهم اشترط أن يكون سنه ٢٥ عاما كحد أدنى ، وفى المرحلة الثانية قام هؤلاء المندوبون الثلاثيون بانتخاب عضو مجلس النواب فى دائرتهم ، بمعنى ان هيئة الناخبين لم يسمح لها باختيار نوابها مباشرة ، بل ان ناخبى الدرجة الثانية أو المندوبين كانوا هم اصحاب القرار فى ترجيح كفه احد النواب المرشحين على الآخر دون أن يكون للقاعدة العريضة من جماهير الناخبين اى تأثير على سير الانتخابات أو نتائجها ، وكانت هذه أكبر عيوب الانتخابات غير المباشرة .

٢ ــ أخذ هذا القانون بقاعدة الاقتراع العام للرجال دون النساء حيث أنه نص على أن حق الانتخابات مقرر لكل مصرى بلغ ٢١ عاما ولم يضيف كلمة « كل مصريه » ، وبالتالى كان للرجال فقط حق انتخاب النواب ومنهم فقط تكونت هيئة الناخبين متجاهلا بذلك نصف المجتمع .

٣ ــ لم يأخذ هذا القانون بنظام التصويت الاجبارى ، أى أنه لم يفرض

غرامة مالية على من يتخلف عن الادلاء بصوته فى الانتخابات ، كما أن القانون لم يشترط فى هيئة الناخبين أو المندوبين شروطاً مالية أو ثقافية ويعتبر ذلك من أهم مميزات ذلك القانون ، وأقربها إلى المساواه والديمقراطية .

٤ — أعطى هذا القانون لضباط وأفراد الجيش وهيئة الشرطة وما فى حكمهما حق مباشرة الانتخاب ، وبالتالى توفرت الفرصة للادارة من خلال استخدام هاتين الهيئتين العسكريتين للتأثير على مسار الانتخابات حتى تفرز النتيجة المرجوة .

٥ — جرت على أساس هذا القانون الانتخابات النيابية الأولى التى تمت فى ١٢ يناير ١٩٢٤ والانتخابات النيابية الثانوية التى تمت فى ١٢ مارس ١٩٢٥ .

ثانياً : بالنسبة للقانون رقم ٤ لسنة ١٩٢٤ الصادر فى ٢٤ يوليو .

١ — كان هذا القانون من أهم أعمال مجلس النواب الأول حيث كان له أثره فى ترقية شئون البلاد السياسية بجعل الانتخابات مباشرة ، وبذلك ألغى العمل بنظام الانتخاب غير المباشر لقانون ٣٠ أبريل عام ١٩٢٣ ، ولبى مطلبا جماهيريا .

٢ — طبقاً لهذا القانون اتسعت القاعدة الجماهيرية المؤثرة بصفة مباشرة فى اختيار النواب وزاد هذا من سلطتها السياسية فى اتخاذ الموقف المناسب لها تجاه النواب المرشحين ، ولذا فقد ادى ذلك إلى مضاعفة الاتصال المباشر بين الجماهير والنواب ، ومن هنا فقد اضطر الكثير من راغبى شغل مقاعد مجلس النواب إلى النزول للجماهير والاقتراب منها والاستماع اليها حتى يمكن الفوز بأصواتها .

٣ — لم يسر هذا القانون على انتخاب مجلس النواب لعام ١٩٢٥ ، بل أخذ به منذ انتخابات ٢٢ مايو ١٩٢٦ ، وظل يعمل به منذ ذلك الحين لسبع انتخابات نيابية حتى عام ١٩٥٢ ، تخللها فترة الغاء لمدة ٤ أعوام فى ظل دستور ١٩٣٠ .

ثالثاً : وبالنسبة لقانون ٢٢ أكتوبر ١٩٣٠ :

١ – تقرر فى هذا القانون العودة لنظام الانتخاب غير المباشر ، وجعل حق الانتخاب فى مندوبين خمسينين ، أى ينوب كل مندوب عن خمسين ناخبا من هيئة الناخبين ، ولهذا المندوب حق انتخاب مرشح مجلس النواب ، وبالتالى فقد ضيق هذا القانون قاعدة هيئة الناخبين المندوبين بجعلها خمسينية والغرض من هذا كان انقاص النسبة العددية لهؤلاء المندوبين حتى يسهل التأثير عليهم ، والسيطرة على الانتخابات وعلى نتائجها من قبل الادارة لتخدم أهداف الحكومة .

٢ – رفع هذا القانون سن الرشد السياسى من ٢١ عاما إلى ٢٥ لهيئة ناخبى الدرجة الأولى والثانية ، كما اشترط فى المندوب ان يكون مالكا لأموال ثابتة مربوط عليها ضريبة عقارية ، أو ساكنا فى منزل لايقل ايجاره السنوى عن أثنى عشر جنيها سنويا أو حائزا لشهادة دراسية ابتدائية أو ما يماثلها ، وبهذه الشروط المالية والثقافية حرمت الكثير من فئات الشعب من أن تصبح فى مقدورها اختيار المرشح المناسب لمجلس النواب ، ، وجعل القانون هذا الحق السياسى فى اقل حد ممكن وبالتالى فقد سلب حق الجماهير العريضة للشعب والتى لا تتوفر فيها الشروط المالية الثقافية خاصة من فلاحين وعمال ، فى ان تمارس حقها السياسى بالمشاركة فى انتخاب النائب .

٣ – جرى انتخاب واحد فقط طبقاً لهذا القانون وكان ذلك فى أول يونيه ١٩٣١ فى ظل دستور ١٩٣٠ ، وألغى العمل به عندما والغى دستور ١٩٣٠ فى ديسمبر ١٩٣٥ .

نستنتج من هذا أن الانتخابات النيابية العشر التى شارك فيها المصريون من عام ١٩٢٣ إلى عام ١٩٥٢ جرى ثلاثة منها طبقاً لنظام الانتخاب غير المباشر ، وجرى سبعة منها طبقاً لنظام الانتخاب المباشر ، ولعل من الأفضل

حتى نتبين موقف المصريين من هذه الانتخابات العشرة ان يكون اطار هذا التحليل عنصرين إثنين رئيسين : —

أولهما : ابراز العلاقة بين حرية الانتخابات ودرجة المشاركة السياسية من قبل هيئة الناخبين .

ثانيهما : الكشف عن الدور الذى لعبته القضية الوطنية فى الانتخابات النيابية .

وقبل ان ندخل فى تفاصيل هذين العنصرين يمكن لنا ان نقسم الانتخابات النيابية العشرة التى جرت خلال الفترة الزمنية للبحث إلى مجموعتين .

مجموعة أولى : —

انتخابات اتسمت بقدر من الحرية ، واجرتها حكومات التزمت نوعا بالنزاهة تجاهها ، وهى انتخابات ١٩٢٤ فى عهد وزارة يحي ابراهيم ، وانتخابات ١٩٢٦ فى عهد وزارة زيور ، وانتخابات ١٩٢٩ فى عهد وزارة عدلى يكن ، وانتخابات ١٩٣٦ فى عهد وزارة ماهر ، ثم انتخابات ٢٩٥٠ فى عهد وزارة حسين سرى .

مجموعة ثانية : —

انتخابات اتبع فيها أساليب القمع والتزوير اجرتها حكومات اما خاضعة للنفوذ الانجليزى ، أو موالاة للقصر ، أو حكومات ذات مصالح حزبية ضيقة ، وهى انتخابات ١٩٢٥ فى عهد وزارة زيور وانتخابات ١٩٣١ فى عهد وزارة اسماعيل صدقى ، وانتخابات ١٩٣٨ فى عهد وزارة محمد محمود وانتخابات ١٩٤٢ فى عهد وزارة مصطفى النحاس ، وانتخابات ١٩٤٥ فى عهد وزارة أحمد ماهر .

أولا : العلاقة بين نزاهة الانتخابات ودرجة المشاركة السياسيه

ابتداءمن عام ١٩٢٣ تفاءلت الجماهير خيرا بمستقبل الحياة السياسية فى البلاد ،

فبصدور الدستور ثم قانون الانتخاب ، توفرت للعهد النيابى الجديد الظروف الموضوعية لكى يبدأ مسيرته ، وكانت الجماهير ترجو أن تراه واقفا حياً وتأمل خيرا فى عصر يتولى فيه نوابها أمر التشريع ومراقبة الحكم ويقوم بالسلطة التنفيذية حكومة حائزة لثقة الأغلبية ، ولذا اهتمت بأمر الانتخابات النيابية الأولى خاصة وانها رغبت فى أن يصبح مجلس النواب امتداداً لروح ثورة ١٩١٩ ، زاد على ذلك احساسها بحياد حكومة يحى ابراهيم باشا فى المعركة الانتخابية التى جرى لها انتخاب المندوبين الثلاثين فى الفترة من ٢٤ إلى ٢٨ ديسمبر ١٩٢٣ وحدد لها يوم ١٢ يناير ١٩٢٤ لانتخاب مجلس النواب .

كان اقبال هيئة الناخبين فى المرحلة الاولى هادئا وتم انتخاب ٣٨ ألف مندوبا ثلاثينيا كما تذكر جريدة الأهرام بتاريخ ٨ يناير ١٩٢٤ ، وحيث ان كل مندوب ينوب عن ثلاثين ناخبا فيمكن ان نستخلص من ذلك ان مجموع هيئة الناخبين فى ذلك الوقت كان يبلغ ١,١٤٠,٠٠٠ تقريباً(١). لابد وان حماس الناخبين المسجلين فى جداول الانتخابات فى الاقبال على صناديق الأقتراع للتمتع بحقهم فى التصويت للمرحلة الأولى كان مصحوبا برغبة قوية فى نفوس الجماهير لكى تنجح هذه الانتخابات النيابية الأولى ، وهذا ما جعل صحيفة مثل الأهرام تشير آنذاك إلى تلك الروح السائدة بين الجماهير ،والتى اعتبرتها الصحيفة مظهرالحياة النيابية المقبلة وتدل على نزعة دستورية قوية . وبالرغم من أن الكثيرين أشادوا بموقف الجماهير من أول انتخابات نيابية الا أن الباحث يلاحظ ان هذا الاقبال كان مصحوبا بشىء من الترقب والإنتظار من جانب الجماهير لموقف الحكومة حيال بداية

---

(١) يذكر على الدين هلال عن الخطيب أن عدد الناخبين المسجلين لعام ١٩٢٤ كان ٦٩,٦٨٩ ، وأن عدد الذين اشتركوا فى الإنتخابات منهم كان ٦٧,٥٠٤ أى بنسبة ٩٦٪ .

للمزيد من التفصيل أنظر : — على الدين هلال : السياسة والحكم فى مصر . العهد البرلمانى ١٩٢٣ — ١٩٥٢ ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ١٩٧٧ ص ٣٠٥ وما بعدها .

الإنتخابات ، كما نلاحظ ان نسبة الذين تقدموا لقيد اسمائهم فى جداول الانتخابات اقل من مجموع هيئة الناخبين المتوقعين رسميا ، وتخلف البعض وخاصة فى المدن الكبرى وعواصم المحافظات عن استخدام حقة بالمشاركة السياسية فى التسجيل للجداول الانتخابية ، وهذا عكس تلك الروح التى كانت سائدة فى الريف ، والتى اخذت فيها الانتخابات بمحمل الجد . وهذا امر غير متوقع أو منتظر ، فالانتخابات فى العاده لعبة اهل المدن ، ولكن يبدو ان روح ثورة ١٩١٩ كانت مازالت سائدة بنفس القوة عام ١٩٢٤ فى الريف ، ولهذا شارك اهل الريف تحمس حزب الوفد المصرى بقيادة سعد زغلول فى أن يتكون المجلس النيابى من ابناء الثورة ، أما فى المدن الكبرى وخاصة بين الطبقة الراقية والتى كان يجب عليها ان تعمل بكل جد ونشاط وهى التى احتكرت لنفسها الاشتغال بالسياسة فقد تنحت فى أكثر المواطن عن المشاركة فى انجاح المعركة الانتخابية ولم يتقدم منهم لتسجيل نفسه لجداول الانتخابات الا الذين يطمعون فى كراسى النيابة أو يطمعون بها لأصحابهم(١) .إلا أن هذا التردد المشوب بالحذر تجاه موقف الحكومة أو تخلف بعض فئات الشعب عن تسجيل اسمائهم بجداول الانتخابات ، انقلب إلى تحمس واقبال من الجميع فى التجربة الأولى للانتخابات النيابية عندما تأكد لهم جدية الحكومة فى الالتزام بالحياد فى المعركة الانتخابية ، كذلك ظهر هذا التحمس والأقبال بكل وضوح عندما تقدم المندوبون الثلاثيون لانتخابات المرحلة الثانية ، ولم يتخلف منهم عن الإدلاء بحق التصويت لاختيار النواب إلانسبة صغيرة جدا .

ويتضح لنا من خلال استعراض نتائج الدوائر الانتخابية التى بلغت ٢١٤ دائرة أن نسبة تخلف المندوبين عن المشاركة فى الانتخابات لم تزد عن ٥٪ فى أغلب الدوائر . ففى إحدى الدوائر بمدينة الاسكندرية وهى دائرة الجمرك كان عدد المندوبين ٤٢٧ مندوباً ، وفى إحدى دوائر الريف نلاحظ أنه لم يتخلف أحد فى دائرة مثل دائرة أجا بمديرية الدقهلية مثلا(٢) .

(١) الأهرام فى ٤ يناير ١٩٢٤ .

(٢) الأهرام فى ١٣ يناير ١٩٢٤ ..

على كلا نستطيع أن نقول أن هذه المشاركة القوية من جانب المندوبين فى الانتخابات قد أكدت على أنه كلما أحست الجماهير بجدية الحكومة فى الحياد التام تجاه الانتخابات ، كلما شاركت الجماهير بكل حماس فى التقدم إلى صناديق الاقتراع ، وخير ما يثبت أن هذه الانتخابات خلت تماماً من أى تدخل أو تزوير من قبل الإدارة ، هو سقوط رئيس الوزراء يحيى ابراهيم فى دائرته الانتخابية بمنيا القمح وفوز مرشح حزب الوفد عليه ، وكان سقوطه شهادة ناطقة له بنزاهته ومحافظته على حرية الناخبين فى جميع أنحاء البلاد . وهذه هى المرة الوحيدة فى تاريخ الانتخابات النيابية التى لم ينجح فيها رئيس وزراء وفى نفس الوقت وزير الداخلية التى أدارت الانتخابات ، بل ينجح منافسه بفارق كبير فى الأصوات وهذا ما يذكر لرئيس الوزراء يحيى ابراهيم بالخير ، فقد كانت الانتخابات نموذجاً للانتخابات الحرة .

وبعد أن استبشرت الجماهير خيراً بالعهد النيابى ، إذ بها تصاب بخيبة أمل كبيرة عندما حلت وزارة زيور مجلس النواب قبل أن يمضى عام على اجتماعه ، وكان حل مجلس النواب بتوجيه من الانجليز ، نفذ بأيدى قلة من المصريين ، لاغرض لهم إلا الوصول إلى المناصب وعودة الحكم المطلق فى البلاد وإسقاط الأغلبية التى تمتع بها حزب الوفد والوزارة الشعبية لسعد زغلول فى مجلس النواب وإجراء انتخابات جديدة ترجو منها وزارة زيور أن يكون لها فيها الأغلبية حتى تسايرها فى سياسة التسليم أمام الإنذارات الإنجليزية التى رفضها مجلس النواب المنحل وسعد زغلول ، ومن أجل هذا الغرض تم تعيين اسماعيل صدقى وزيراً للداخلية والمعروف بعدائه الشديد للحياة النيابية لكى تجرى الانتخابات تحت إشرافه ، كما تم تكوين حزب تابع لشخص رئيس الوزراء ليدخل به الانتخابات وهو حزب الاتحاد . (١) ولذا فان ظاهره تكوين أحزاب تابعه للسلطة سايرها زيور بحذب الاتحاد عام ١٩٢٥ .

ومن هنا لنا أن نتوقع تدخلا من الإدارة فى عهد وزارة زيور فى

(١) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٣٤ .

الانتخابات التى تقرر اجراؤها على نظام الاقتراع غير المباشر بالرغم من صدور القانون رقم ٤ لسنة ١٩٢٤ الذى نص على أن تكون الانتخابات مباشرة ، ومن هنا نلاحظ أن التدخل من جانب الإدارة فى الانتخابات النيابية الثانية كان تدخلا مشوباً بالحذر خوفاً من غضب الجماهير التى كانت تأمل فى أن تتم الانتخابات طبقاً لقانون الانتخابات المباشر ، وكان غضب الجماهير وأسفها شديدا على ما لمسته من استهانة وزارة زيور بحقها فى إجراء انتخابات مباشرة ، بعد أن حلت مجلس النواب الذى انتخبه الشعب بكامل الحرية ، ثم أن الفترة الزمنية بين الانتخابات النيابية الأولى والانتخابات التى تقرر لها ١٢ مارس ١٩٢٥ هى فترة لم تزد عن العام إلا بقليل ولهذا فإن ذكريات الانتخابات الأولى وشعبية الوفد فيها كانت لا تزال ماثله فى أذهان الشعب .

وكانت خيبة الأمل التى أصابت الجماهير سبباً فى انخفاض نسبة من تقدم منهم لتسجيل نفسه فى جداول الانتخابات ، وبالرغم من أن هيئة الناخبين أو من لهم حق الانتخاب كان يبلغ المليون والنصف ناخب، فإن عدد المسجلين الذى تقدم فعلا بلغ ٧٥,٧٨٤ فقط (١) ، وهذا يوضح لنا مدى الإحباط الشديد الذى أصيبت به نفوس الجماهير من جراء عزم الحكومة على التدخل فى الانتخابات لتكوين مجلس على أنقاض المجلس السابق الذى تحمست له الجماهير ، ومن المظاهر التى أحست الجماهير من خلالها بتدخل الإدارة ما يلى : —

١ — عدلت وزارة زيور معظم الدوائر الانتخابية وشمل التعديل ١٠٦ دائرة من مجموع ٢١٤ ، وكان الغرض من هذا التعديل هو الاستجابة لرغبات مرشحى حزب الاتحاد ، كما أنها قررت إعادة فتح باب الترشيح فى بعض الدوائر بعد انتهاء الميعاد القانونى(٢) .

---

(١) على الدين هلال المصدر السابق ص ٣٠٥ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى ، المصدر السابق — ١ صص ٢١٥ .

٢ — سهلت وزارة زيور لمرشحيها إقامة الحفلات والاجتماعات الانتخابية في حين أنها ضيقت الفرصة على مرشحي أحزاب المعارضة ولم تتح لهم التمتع بنفس الحق ، بل كان رجال الإدارة يتدخلون في المعركة الانتخابية بحث من الحكومة لصالح مرشحي حزب الاتحاد ، وأخذوا يضرفون الناس عن انتخاب المرشحين المنتمين لحزب الوفد بكل الطرق المتاحة(١) .

من الصعب التوصل إلى معرفة مدى دقة نتائج هذه الانتخابات النيابية الثانية ، حيث أن وزارة الداخلية كانت تصدر بيانات متضاربة وغير واقعية حول النتائج النهائية لتلك الانتخابات ، فمثلا أصدرت الوزارة بياناً كاذباً يوم ١٣ مارس أعلنت فيه أن الأحزاب غير الوفدية قد نالت الأغلبية في الانتخابات ، وعلى ذلك قررت استمرارها في الحكم(٢) .

وحيث أنه لم تخلف وزارة زيور وزارة أخرى تعلن نتيجة الانتخابات الصحيحة فإننا يمكن أن نستدل من فوز سعد زغلول بأغلبية ١٢٣ صوتاً ضد ٨٥ صوتاً نالها عبد الخالق ثروت في انتخابات رياسة مجلس النواب على فوز الوفديين بنسبة تزيد عن ٥٥٪ من مقاعد مجلس النواب على أقل تقدير . وهذا يوضح لنا أن الحكومة التي تفقد مصداقيتها لدى جماهير الشعب تمنى بالهزيمة أمام إرادة الأمة بل يطيح الشعب المصري بكل خططها ولذا ساند الشعب سعد زغلول بقدر المستطاع بالرغم من أنه كان قد فقد الأمل في نجاح أو بقاء الحياة النيابية على عهد وزارة زيور التي منعت الناخبين من دخول لجان الاقتراع ، ووضعت في الجداول أسماء لا وجود لها ، وعدلت في النتائج النهائية وأوعزت إلى بعض العمد والمأمورين ورجال البوليس والإدارة على نصرة مرشحيها(٣) .

---

(١) أحمد شفيق حوليات مصر السياسية ، الحولية الثانية ، مطبعة حوليات مصر القاهرة ١٩٢٩ ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) الأهرام في ١٤ مارس ١٩٢٥ .

(٣) محمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ، مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٦٣

ومرة أخرى تحاول الجماهير أن تعيد ثقتها فى الحياة النيابية ، خاصة وأن كفاحها ضد نظام الانتخابات غير المباشرة بدى وكأنه سوف يثمر بتطبيق قانون الانتخابات المباشرة ، وكانت جماهير الشعب وفى طليعتها أبناء الريف بقيادة العمد والمشايخ فى مختلف المديريات قد أعلنت رفضها القاطع لنظام الانتخابات غير المباشرة المشروط بشروط مالية فى المندوبين الذى حاولت وزارة زيور تطبيقه للانتخابات النيابية الثالثة والتى حدد لها عام ١٩٢٦ ، وسرت فى الأمة فكرة مقاطعة الانتخابات وأعلن الكثير من عمد الريف الإضراب عن ممارسة عملهم ، وهدد الكثير منهم الحكومة بتوقف الحياة فى الريف ، وفعلا نجحت هذه الحركة الشعبية التى عمت الشمال والجنوب فى إجبار الحكومة على التراجع . وتقرر لاشتدادها اجراء الانتخابات النيابية طبقاً لقانون الانتخابات المباشرة وكانت مقاومة الشعب فى الريف مفاجأة للجميع (١).

إلا أنه فى الوقت الذى أثمرت فيه الوقفة الصلبة للجماهير بتراجع للحكومة ، وتعشمت هذه الجماهير أن تتم أول انتخابات مباشرة فى جو من التنافس الشريف بين المرشحين لمجلس النواب ، إذ بالأحزاب السياسية تتفق فيما بينها على أن لا تتنافس ولاتتناحر فى الانتخابات بل توصلوا إلى عقد اتفاقية بتوزيع الدوائر بينهما ونشر بذلك بياناً فى ٣ أبريل ١٩٢٦ م (٢).

فكانت دهشة الجماهير بالغه لما تم الاتفاق عليه بين الأحزاب ، وكانت هناك مجموعة من القضايا التى طرحت نفسها فى ذلك الوقت على الشارع السياسى وحول الانتخابات النيابية بصفة عامة .

فبالنسبة للقضية الأولى : وهى نجاح إضراب العمد والمشايخ عن مزاولة أعمالهم احتجاجاً منهم على قانون الانتخابات غير المباشرة فهذا الأمر له دلالته الكبرى ، فالشعب يدافع عن الحق الذى منحه إياه قانون

---

(١) أحمد شفيق ، المصدر السابق ، الحولية الثالثة ص ص ١٦ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

الانتخابات المباشرة والأمة ترغب فى توسيع قاعدة هيئة الناخبين حتى يتاح لأكبر عدد ممكن المشاركة السياسية فى الأنتخابات ، وتفرض على الحكومة التسليم بهذا الحق ، ولأول مرة نسمع أن العمد والمشايخ فى الريف تقود القاعدة الجماهيرية فى الوقوف فى وجه الحكومة من أجل التمسك بحياة نيابية سليمة ، ولأول مرة أيضاً تتراجع الحكومة أمام مطالب الشعب لممارسة حقه فى أختيار ممثليه لمجلس النواب .

أما القضية الثانية : فهى ما فوجئ به الشعب من مفاجئة تامة فى صدور قرارات عن أحزاب المعارضة بقيادة الوفد فى شكل نصائح للحكومة من أجل اجراء الانتخابات . وكان معلوماً لدى الجماهير أن أحزاب المعارضة بقيادة الوفد سوف تتمسك بقرارها فى مقاطعة الانتخابات التى ستجريها وزارة زيور حيث أن هذه الأحزاب لم تعترف للحكومة بحل البرلمان والدليل على ذلك اجتماع أعضاء مجلس النواب والشيوخ فى فندق الكونتيننتال يوم السبت ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ ، بعد أن كانت الحكومة قد منعتهم من الاجتماع فى قاعة مجلس النواب ، وصدر عنهم قرار باعتبار دورة الانعقاد موجودة ، أى أن المعارضة تعتبر البرلمان موجوداً شرعاً(١) . أما القضية الثالثة : فهى شعور الجماهير ولا شك بالخداع عندما قررت أحزاب المعارضة بقيادة الوفد ليس فقط دخول الانتخابات بل اقتسام الدوائر فيما بينهما دون الاعتبار لإرادة الأمة ، ورغبتها فى انتخابات حرة يختار فيها الشعب النواب من بين المرشحين دون أن تفرض عليه مجموعة محددة من قبل الأحزاب السياسية ، ولذا يمكن القول أن وقفة الشعب فى وجه الحكومة كانت أشد صلابة من موقف الأحزاب السياسية ، وأن رغبة هذه الأحزاب فى الوصول إلى الحكم كانت أقوى من المبادئ وقد تأكد هذا فى الحكومة الائتلافية التى تكونت بعد هذه الانتخابات وتلك عتبه تقع على عاتق سعد زغلول ، ولعل ما ذكرته جريدة السياسة دون قصد ، من أن بعض العمد يتلكأون فى تسليم شهادات الانتخابات إلى الناخبين خير دليل على عدم رضا جماهير الريف وأعيانه على مسلك الأحزاب ، الذى

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤١ .

كان إجحافاً بحقوق الشعب ، وكان رفض الجماهير قوياً مما دفع جريدة السياسة إلى أن توجه نداء إلى الحكومة بأن تتدخل عن طريق مأمورى المراكز للضغط على العمد حتى يتم تسليم التذاكر الانتخابية للناخبين ، أو إنذارهم بتوقيع الجزاء على ما يعارض ذلك(١) .

ومن هنا لا يمكن لنا أن نصف ما جرى فى الانتخابات التى جرت فى ٢٢ مايو ١٩٢٦ على أنه معركة انتخابية بالمعنى الصحيح ، تتبارى فيها الأحزاب من أجل الحصول على أصوات الناخبين ، بل أنها كانت انتخابات متفق على نتائجها مسبقاً لدرجة أنه كان هناك حوالى ٥٧ نائباً لم يرشح ضدهم أى منافس فأصبحوا نواباً بالتزكية(٢) .

بالرغم من أن تدخل الإدارة والحكومة فى الانتخابات كان شبه معدوم بدليل فوز حزب الاتحاد التابع لرئيس الوزراء بخمس مقاعد فقط فى مجلس النواب من مجموع ٢١٤ مقعداً ، إلا أن إقبال الجماهير على المشاركة السياسية فى هذه الانتخابات قد انخفض نتيجة عدم وجود تنافس بين المرشحين حول أصوات هيئة الناخبين ، ونتبين عدم تحمس الجماهير هذا من خلال مقارنة عدد ما كان لهم حق الانتخاب فى أنحاء البلاد الذى بلغ — حسب الإحصاء الذى أصدرته وزارة الداخلية — ٢,٧١٨,١٦٩ (٣) ، بين ما تم تسجيلهم فى جداول الانتخابات فعلا والذى بلغ ١,٧٩٢,١٧١ ، أى بنسبة ٦٦ فى المائة من مجموع المؤهلين للمشاركة بالتصويت ، وانخفضت هذه النسبة عندما تقدم ١,١٣٥,٣٦٤ فقط للإدلاء بأصواتهم أمام صناديق الاقتراع ، أى بنسبة ٦٤ فى المائة من مجموع الناخبين المسجلين(٤) .

ومن هنا نستخلص أن نسبة من شاركوا بالتصويت لم تزد عن ٤٢ فى المائة ممن كان لهم حق الاشتراك فى الانتخابات النيابية الثالثة ، كذلك فى

---

(١) السياسة فى ٢٧ ابريل ١٩٢٦ .

(٢) أحمد شفيق ، المصدر السابق ، الحولية الثالثة ، ص ١٥٦ .

(٣) الأهرام فى ٧ إبريل ١٩٢٦ .

(٤) على الدين هلال ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

الانتخابات النيابية الرابعة انخفضت نسبة الناخبين المسجلين إلى ١,٥٦٦,٣٧٧ بالرغم من أنها قد جرت فى ٢١ ديسمبر ١٩٢٩ وكان ولا بد وأن مجموع هيئة الناخبين قد ارتفع عن عددها فى انتخابات ١٩٢٦ ، أما عدد الذين اشتركوا بالإدلاء بأصواتهم فى انتخابات ١٩٢٩ ، فقد بلغ ١,٢,٦٢٢ فقط أى بنسبة ٦٤ فى المائة ممن سجلوا فى جداول الانتخابات(١) . وهنا يمكن القول بأن نسبة المشاركة السياسية للمصريين لن تزيد فى الانتخابات النيابية التالية بأى حال من الأحوال عن نسبة المشاركة فى الانتخابات النيابية الرابعة ، بل تبدأ النسبة فى الانخفاض وهذا لما أحست الجماهير به من خيبة أمل شديدة لتلاعب الأحزاب السياسية والقصر بالحياة النيابية ، ولعل اشتراك حزب الأحرار الدستوريون مع القصر عام ١٩٢٨ فى ضرب التجربة النيابية أحد الأسباب الرئيسية التى أدت إلى يأس الجماهير فى جدية الحياة النيابية بصفة عامة ، وقد شاهدت السلطة وهى تزيف إرادتها بل أن وزارة محمد محمود ترفض حتى استفتاء الشعب ، فالشعب فى رأيها مضلل لا يمكنه أن يحكم على الأشياء حكماً سليما(٢) .

وبالرغم من أن وزارة عدلى يكن التى أجرت الانتخابات النيابية الرابعة كانت قد تعهدت بإجراء انتخابات خالصة من كل ضغط أو تأثير غير مشروع ، وكذلك أعلنت تعهدها بأن تعود الحياة النيابية إلى وضعها الدستورى السليم(٣) ، إلا أن الجماهير كانت قد فقدت الثقة فى وعود السلطة ، وفى توفير مبدأ المنافسة فى الانتخابات بعد انسحاب الأحرار الدستوريين منها عام ١٩٢٩ .

تأكد للجماهير تشككها فى الحكومات وخاصة تلك الواقعة تحت نفوذ القصر وما شاهدته من اقدام وزارة اسماعيل صدقى على استبدال الدستور

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الدكتور محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، جـ ١ ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٩٢ .

(٣) خطاب قبول تأليف الوزارة فى الوقائع المصرية ، العدد ٨٧ لسنة ١٩٢٩ .

١٩٢٣ بدستور آخر تهدر فيه سلطة الأمة وحقوقها بقدر المستطاع ، وكان ذلك هو دستور ١٩٣٠ وما تبعه من العودة إلى نظام الانتخاب غير المباشر والمشروط بشروط مالية وثقافية فى مندوبين خمسينين لكى تجرى انتخابات نيابية خامسة يكون الهدف منها هو صنع مجلس نواب يتألف أعضاؤه من التابعين للحكومة . ومن سخرية القدر أن ترى الجماهير رئيس الوزراء يشكل حزبا سياسيا ويشغل منصب الرياسة فيه ويدعوه « حزب الشعب » ليكون الحزب الجديد بطل الانتخابات التى تقرر لها ان تتم مرحلتها الثانية فى أول يونيه ١٩٣١ لأنتخاب ١٥٠ لمجلس النواب . ولكن الجماهير لم تقف ساكنة فقد قاومت هذه الانتخابات ، وقامت فى الكثير من المدن مظاهرات ، وأضرب العمال عن العمل وخاصة فى عنابر بولاق والورش الأميرية حيث تظاهروا احتجاجا على مسلك الحكومة ، فقابلتهم الحكومة بمنتهى القسوة والعنف ، وخرجت عليهم قوات البوليس والجيش وأطلق الجند الرصاص على العمال فقتل الكثير منهم(١) . إلا أن الحكومة كانت مصممة على تزيف الانتخابات فأوعزت إلى لجان الانتخاب أن تزور محاضرها ، بحيث تثبت فيها حضور الناخبين كذبا وزورا وفى بعض الدوائر جمعت الناخبين من منازلهم بسياراتها وذهبت بهم قسرا إلى لجان الانتخابات ، وكان بعضهم يقفز من هذه السيارات وهم يصرخون « لانريد الانتخابات » (٢).

ولاغرو وهذا هو أسلوب الحكومة فى تسيير العملية الانتخابية ، من أن تزور النتائج وتعلن الحكومة (وهذا مخالف للحقيقة) نسباً مرتفعة للغاية لمشاركة الشعب فى الانتخابات ، وأن الأمة أقبلت على استعمال حقها الانتخابى فى هدوء وسكينة (٣) . وأعلنت الحكومة أن جملة الناخبين فى أنحاء البلاد وصل إلى ٢,١٤٩,٢٤٣ وأن من تقدم منهم للانتخاب فى المرحلة

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .

(٢) الأهرام فى ١٥ مايو ١٩٣١ .

(٣) الأخبار فى ١٥ مايو ١٩٣١ .

الأولى بلغ ١,٥١٢,٥٩١ فتكون النسبة المئوية للمشاركة فى الادلاء بالتصويت قد بلغت ٦٧,٣ فى المائه(١) . أما عن درجة المشاركة فى الانتخابات فى المرحلة الثانية ، فيذكر الدكتور على الدين هلال أنها كانت ٩٠ فى المائه على أساس ان عدد الناخبين المسجلين بلغ ٤٥,٧٩٤ اشترك منهم ٤٣,٧٠٦ فى الادلاء بأصواتهم. (٢)ولكن محمد زكى عبد القادر وصف هذه الانتخابات بانها كانت أشبه ماتكون بالتمثيلية ؛ اشترك فيها رجال الادارة اشتراكا فعليا ورشوا الناخبين وغير الناخبين وجاء البرلمان طبقاً لهوى الحكومة ولكنه أصبح فى واد والشعب فى واد آخر(٣) .

ومن الجدير بالذكر هنا ان الأحزاب التى اشتركت فى هذه الانتخابات كانت أحزاب أقلية بعد أن امتنع الوفد والأحرار عن الدخول فيها ، وأحزاب الأقلية كالعادة كانت تفتقر إلى الشعبية فى البلاد فهى اما أحزاب القصر (الشعب والاتحاد) أو الحزب الوطنى الذى اتسمت علاقته خلال تللك المرحلة بالود تجاه القصر ، وكان هذا وحده كفيلا بأن تدير الجماهير ظهرها لهذه الأحزاب . وبالتالى لايمكن ان نصدق مشاركة الجماهير بتلك النسبة التى أعلنتها الحكومة فى انتخابات تقتصر على هذه الأحزاب الثلاثة ، ولعل موقف الجماهير فى الانتخابات السابق نحو حزبين من هذه الأحزاب وهما الحزب الوطنى والاتحاد خير دليل على أن الأمة قاطعت هذه الانتخابات بالرغم من كل بيانات الحكومة التى توحى بغير ذلك .

مرة أخرى ينجح الشعب فى انتزاع حقوقه التى ناضل من أجلها ، ويضطر الملك تحت ضغط الأحداث إلى أن يستجيب لرغبة الجماهير باعادة دستور ١٩٢٣ واجراء انتخابات عامة مباشرة ، وهى الانتخابات النيابية السادسة ، ولاح فى الأفق وكأن الجماهير سوف تشاهد منافسة قوية بين

---

(١) الأهرام فى ١٩ مايو ١٩٣١ .

(٢) على الدين هلال ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

(٣) محمد زكى عبد القادر المصدر السابق ، ص ٨١ .

الأحزاب السياسية ، وخاصة وأن الشعب أيد وزارة نسيم التى أخذت تعد العدة لاجراء الانتخابات العامة على اعتبار أن هذه الوزارة قادرة على أن تقود مرحلة التغيير (١) .

وتسلمت وزارة على ماهر المهمة لتجرى الانتخابات فى ٢ مايو ١٩٣٦ . كنا نتوقع ان ترتفع درجة المشاركة السياسية فى هذه الانتخابات طالما وقد تعهدت الحكومة بالنزاهة فى تسييرها ، إلا أن هناك حدثا هاماً وخطيراً وقع قبل الانتخابات النيابية أدى إلى انصراف الكثير من فئات الشعب عن أمر هذه الانتخابات ، وتتبع ما هو أهم وأخطر (من وجهة نظرهم) ، أما ذلك الحدث فكان وفاة الملك فؤاد الذى توفى فى ٢٨ أبريل عام ١٩٣٦ وما صحبها من اجراءات تنصيب الملك الجديد، فانشغلت الجماهير واهتمت بأخبار العرش أكثر من اهتمامها بأخبار الانتخابات ، وخيم على البلاد جو من الانتظار المترقب للتطورات المفاجئة التى ترتبت على وفاة الملك ، فجعل هذا الناخبين والمرشحين يلتزمون بالهدوء حتى تجتاز البلاد الظروف الصعبة التى تمر فيها ، والتزم الجميع الوقار ، وسادت روح بالمسئولية تجاه العرش فمر يوم الانتخابات وكأن لا إنتخابات تجرى فى البلاد ، ولعل هذا من أبرز صفات التكامل والتضامن للشعب المصرى التى سادت الأنتخابات النيابية السادسة فى تلك الظروف(٢) .

بعد الانتخابات أذاعت وزارة الداخلية رسميا أن ١,٢٩٨,١٨٢ ناخبا قد تقدم للاشتراك بالأقتراع فى الانتخابات(٣) : وهى نسبة تصل إلى ٥٩ فى المائة من عدد الناخبين المسجلين الذي بلغ ٢,١٢٠,٤٧٧ (٤) وانخفاض نسبة المشاركة إلى هذا الحد يوحى بأن البلاد فى تلك الأثناء كان شاغلها الأكبر هو أن تستقر الأمور للملك الجديد .

---

(١) يونان لبيب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية ، مركز الدراسات بالأهرام القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٣٧٥ .

(٢) البلاغ فى ٣ مايو ١٩٣٦ .

(٣) البلاغ فى ١٨ مايو ١٩٣٦ .

(٤) على الدين هلال ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

ومرة أخرى تصاب الجماهير بخيبة أمل فى مستقبل الحياة النيابية عندما قررت وزارة الأحرار الدستوريين برياسة محمد محمود اجراء الانتخابات النيابية السابقة على دفعتين فى الوجه القبلى أولا ثم فى الوجه البحرى بعد ذلك ، وهى مناورة قصد منها التأثير على الوجه البحرى بما سوف تناله الوزارة من نجاح فى الوجه القبلى ، وقد فسر محمد حسين هيكل فى مذكراته الغرض من اجراء الانتخابات على دفعتين على أساس تمكين الحكومة من حفظ الأمن والنظام يوم الانتخاب ، إلا أنه يعود فيقرر أن السبب فى ذلك هو أن رئيس الوزراء كان أكثر اطمئنانا إلى الوجه القبلى(1) وذلك بحكم إنتمائه إلى الصعيد .

ولاشك فى أن الحكومة كانت متخوفة من نتيجة الانتخابات فى الوجه البحرى ولذا فضلت انتظار نتائج الوجه القبلى ، حتى ترى ما يجب عمله على ضوء هذه النتائج .

قد كلفت الحكومة ومعها القوى السياسية من حلفائها مدعومة بالادارة فى هذه الانتخابات بمهمة تزييف ارادة الناخبين ، ولذا أحس الكثير من جماهير الشعب بعدم أهمية دورهم فى المشاركة فى هذه الانتخابات ، وبأن النتائج سوف تسفر عن نجاح مرشحى الحكومة ، سواء ذهب الناخبون لصناديق الأقتراع أو تخلفوا عن ذلك .

لعل من بعض الفكاهات التى ترددت فى تلك الأثناء نستطيع أن نؤكد مدى الضغط الذي مارسته الحكومة على الناخبين والذى كان سببا فى خوف الكثير منهم وترددهم فى الذهاب إلى لجان الانتخاب أو عجز من ذهب منهم عن ممارسة حرية التصويت .

فقد سئل ناخب عما اذا كان يعطى صوته شفاهيا أو كتابة فرد قائلا « لاياعم أنا مش ممكن أدى صوتى وهو مكتوب أحسن الحكومة تقطعه » ، كما دخل ناخب آخر إلى مكتب الانتخاب وأبرز تذكرته وسئل عن اسم

---

(1) محمد حسين هيكل ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٩ .

جدة فخشى مسئولية الجواب وجعل يتفرس فى شيخ حارته تاره وفى الجالسين تارة أخري ثم قال « أنا ماليش حد » : (١)

كما أن سقوط زعيم الوفد مصطفى النحاس فى سمنود ومكرم عبيد فى شبرا ، يعد أكبر دليل على تزييف ارادة الناخبين ، فلا تصدق مثلا أن يحصل مكرم عبيد على ٤٣١ صوتا فقط من جملة ١١١٦ مجموع ناخبى دائرة شبرا . (٢)

وبالرغم من أن حكومة محمد محمود حاولت التنصل من تهمة التزوير والضغط فى الانتخابات وأعلنت أن نسبة من شاركوا فى الانتخابات هى نفس نسبة الانتخابات السابقة أى ٥٩ فى المائه ، إلا أن أحمد ماهر الذى دخل كحليف مع الحكومة قد اعترف بممارسات الحكومة ضد حرية الانتخاب وكشف عنها عندما قال : « اننا لاننكر مع ذلك أن بعض رجال الادارة تدخلوا فى بعض الجهات تدخلا معيبا أصاب المرشحين السعديين أنفسهم جانب منه » . (٣) كما نستطيع القول أنه ليس من المعقول أن يحصل حزب الأحرار الدستوريون وحلفائه على نسبة ٧٥,٣ فى المائه من الأصوات فى الوجه القبلى ، وعلى ٨٣,٦ فى المائه من الأصوات فى الوجه البحرى(٤)، فى الوقت الذى لم يحصل فيه الأحرار على أكثر من ٦ مقاعد فى الانتخابات التى جرت عام ١٩٣٦ .

ومهما كان الأمر فان محمد محمود وهو الذى عطل الدستور عام ١٩٢٨ كان بعيداً كل البعد عن الجماهير ، وكان يعلم هو وأنصاره ان الانتخابات النيابية لعام ١٩٣٨ لم تكن حرة بالمرة ، والوزارة التى شكلت بعد هذه الانتخابات برئاسته وان حظيت بأغلبية فى مجلس النواب على حساب اهدار ارادة الأمة الا أنها لاتستند على أى تأييد شعبى .

---

(١) المقطم فى ٣ إبريل ١٩٣٨ .
(٢) البلاغ فى ٣ إبريل ١٩٣٨ .
(٣) البلاغ فى ٢٤ إبريل ١٩٣٨ .
(٤) البلاغ فى ٢ إبريل ١٩٣٨ .

وفى الواقع فان الأسباب التى أدت لابتعاد الجماهير عن أحزاب الأقلية هى نفسها التى أدت إلى فتور تأييدها للوفد ، فلقد كانت كارهة لكل وسائل التدخل الأنجليزية حتى ولو كان هذا التدخل فى صالح حزب الأغلبية كما تفاجأ الجماهير ان حزب الأغلبية يرتكب نفس الأخطاء التى ارتكبتها الأحزاب الاخرى عندما تولت اجراء الانتخابات . فلجأت وزارة الوفد الى تعديل الدوائر الانتخابية بما يلائم انصارها ، وفصلت العمد والمشايخ الذين يؤازرون خصومها ، كما عينت رؤساء اللجان التى تتولى الاشراف على الانتخابات من المواطنين المتحمسين لفوز مرشحى الوفد . (١)

كان لكل ذلك أثره السيء فى نفوس الشعب ، فانخفض اقبال الجماهير على المشاركة فى الانتخابات التى جرت فى ٢٤ مارس ١٩٤٢ حتى وصلت إلى ٥٧ فى المائه فقط من عدد الناخبين المسجلين (٢) . وهذا يؤكد أنه بالرغم من أن كل التصرفات المخالفة التى ارتكبتها حكومة الوفد أثناء الاعداد للانتخابات النيابية لم تكن بجديدة على الأمور الانتخابية فقد لمسناها فى أغلب الانتخابات السابقة ، إلا أن هذه التصرفات من حكومة الوفد خاصة وهو حزب الأغلبية ، كانت صدمة كبيرة للشعب أضعفت من تحمسه للانتخابات النيابية ، خاصة وان المنافسة الانتخابية كانت قد فرغت من مضمونها بمقاطعة الأحرار الدستوريين والسعديين لها .

وكان انعدام هذه المنافسة واضحا من خلال فوز ١١٠ نائبا بالترشيح ، دون أن تجرى انتخابات فى دوائرها ، منهم ١٠٥ نائب وفدى ، وجرت الانتخابات فى ١٥٤ دائرة فقط من ٢٦٤ العدد الكلى للدوائر الانتخابية (٣) وجرى التنافس غير متكافىء الدوائر بين حزب الوفد والحزب الوطنى ، وهو تنافس غير متكافىء بأى حال من الأحوال .

وكان انعدام التنافس بين المرشحين هو نفس السبب الذى أضعف من

---

(١) محمد حسين هيكل ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٤ .

(٢) على الدين هلال ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

(٣) البلاغ فى ٢٥ مارس ١٩٤٢ .

اقبال الجماهير على الادلاء بأصواتها فى الانتخابات النيابية التاسعة فوصل اهمال الجماهير للانتخابات إلى أدنى مستوى له حيث انخفضت المشاركة إلى ٥٤ فى المائه فقد احست الجماهير بعدم فاعلية المشاركة السياسية طالما تدير الحكومة الانتخابات ، وتأتى بالنتيجة التى ترغب فيها . وكان انسحاب الوفد من هذه الانتخابات فرصة كبيرة للحزب السعدى وللأحرار الدستوريين لكى تأتى النتائج بما يضمن لهم الأغلبية الساحقة .

أما فى الانتخابات النيابية العاشرة والأخيرة فقد توفرت بعض الضمانات من جانب الحكومة للوقوف على الحياد فى المعركة الانتخابية حيث أن حكومة حسين سري التى اشرفت على الانتخابات اعتبرت فى نظر الكثيرين حكومة محايدة ، ولذا اطمئنت الجماهير بعض الشيء لموقف الادارة ، كما انه باشتراك جميع الأحزاب السياسية توفرت دواعى التنافس والجدية فى هذه الانتخابات التى جرت فى ٣ يناير ١٩٥٠ .

أضف الى ذلك ان الشعب كان قد بلغ به الغضب مداه من خضوع الحكومات المتتالية التى أعقبت الوفد منذ ١٩٤٤ خضوعا مطلقاً للقصر ، الذي رأى فيه الشعب عقبة فى سبيل استقرار الحياة النيابية ، ولذا نجد فى هذه الانتخابات حماسا نوعا ما فى اقبال الناخبين للمشاركة فيها على أمل ان تأتى بحكومة شعبية تكون منقذا لما أصاب البلاد على يد الحكومات غير الشعبية ، كما كانت الجماهير ترجو أن يقلع الوفد عن كل ما سبب ابتعاد فئات كثيرة عنه .

لكل هذه الأسباب السابقة نلاحظ أنه ولأول مرة منذ آخر انتخابات نيابية سليمة لعام ١٩٢٩ ترتفع درجة المشاركة السياسية من قبل المصريين فى الانتخابات لتصل إلى ٦١ فى المائه من مجموع الناخبين المسجلين (١) ، وهى نسبة سليمة تؤكدها نتائج الانتخابات التى عبرت بصدق عن موقف المصريين من القوى السياسية فى ذلك الوقت ، ولعل هذه هى المرة الأولى

---

(١) على الدين هلال ، المصدر السابق ص ٣٠٥ .

منذ انتخابات عام ١٩٢٤ أمكن فيها لارادة الشعب أن تعبر عن نفسها دون تزييف .

وتولى مصطفى النحاس الحكم بعد هذه الانتخابات ، وسرعان ما اتضح للشعب أن حكومة الوفد غير راغبة فى اثراء الحياة النيابية ، فكانت هذه اخر انتخابات نيابية حيث قام الجيش بالسيطرة على الحكم صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ليعلن على الشعب ان أحد أهدافه السته هى « اقامة حياة نيابية سليمة » ، وبدأت مرحلة جديدة من حياة الشعب المصرى .

ثانياً : دور القضية الوطنية فى الانتخابات النيابية

لعبت القضية الوطنية دورا هاما فى تحديد موقف المصريين تجاه الانتخابات النيابية التى جرت حتى عام ١٩٥٢ ، واعتبرت الجماهير الانتخابات أمرا يتصل اتصالا مباشرا بكفاحها من أجل الأستقلال ووسيلة دستورية لتحقيق هذا المطلب ، من خلال نواب يتم انتخابهم وفق معيار دورهم فى الحركة الوطنية ، وكان سعد زغلول قد تولى قيادة الأمة فى دور من أهم أدوار حياتها القومية ، وجمع حوله منذ أواخر ١٩١٨ جموع الشعب المصري ولم تتغير نظرة الأمة لقيادته فى بداية العهد النيابى كثيرا من تلك النظرة التى سبق النظر بها اليه إبان الثورة ، بل اعتبرته الشخص الوحيد القادر على تحقيق الاستقلال .

وكما شارك الفلاحون مشاركة فعالة فى ثورة ١٩١٩ كانت هيئة الناخبين فى الريف المصرى القوة المؤثرة فى الانتخابات النيابية الأولى وهذا ما أفصحت عنه جريدة الأهرام عندما اشارت إلى مايقع على عاتق الأعيان والعمد من مسئولية لما لهم من دور قيادى بين قومهم . (١)

وكان للصحافة وانتشارها بين الشعب اثرة الكبير فى زيادة وعيه السياسى وربط ذلك بدرجة المشاركة السياسية فى الانتخابات ، لما لهذه المشاركة

---

(١) الأهرام فى ٨ يناير ١٩٤٢ .

من أهمية لمستقبل القضية الوطنية ، فقد نشرت الصحف فى أول العهد النيابى الكثير من المقالات التى توضح للشعب دوره الهام فى نجاح الانتخابات ، وعلى حسن اختيار النواب وخاصة للدورة النيابية الأولى ، وكان ذلك فى صورة نداءات منها « ضمير الأمة والانتخابات » « إلى شباب مصر الناهض » « اليوم يوم الأمة » (١) ، ولقد أدرك سعد زغلول أهمية الدور الذى يلعبه هيئة الناخبين فى الريف فى الانتخابات النيابية ، فأخذ يركز نشاطه أكثر ما ركز من خلال أعضاء الوفد على الريف المصرى وأعيانه وعمده ، وكان هذا من أهم أسباب النجاح الذى لاقاه حزب الوفد فى حملته الانتخابية بخلاف حزب الأحرار الدستوريين والحزب الوطنى ، فكلاهما لم يوجها اهتماما كافيا إلى جماهير الريف بل كان نشاطهما فى الغالب بالمدن .

وكان التفاف الشعب حول سعد زغلول والوفد لدوره القيادى فى الحركة الوطنية له الأثر الأكبر فى الفوز الساحق الذى حققه فى الانتخابات النيابية الأولى ، كما كانت عودة سعد زغلول من المنفى أثناء المعركة الانتخابية سببا فى تعاظم المشاركة السياسية للمصريين بصفة عامة .

وكان افتقار القوى السياسية الأخرى التى نافست الوفد فى الانتخابات لشخصية قيادية مثل شخصية سعد زغلول سببا من اهم أسباب فشلها فى الانتشار بين الجماهير ، وكان خروج الأحرار الدستوريين على قيادة سعد للحركة الوطنية كفيلا لابتعاد الجماهير وخاصة فى الريف المصرى عنهم ، خاصة وان شخصية عدلى يكن لم ترق إلى مستوى شخصية سعد زغلول فى نظر الشعب ، فكان سعد زغلول زعيمهم المفضل .

والغريب فى الأمر أن سعد زغلول الذى لم يقدم إلى المصريين — بالنسبة لقضية الاستقلال — إلا البرنامج الذى كان الحزب الوطنى ينادى به ، إلا أنه قد استطاع الحصول على وكالة الأمة ، بل أنه تمكن من إقناع الشعب بعدم جدوى العناد فى موضوع « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » الذى كان الحزب

---

(١) سلسلة لمقالات الأهرام حتى يوم ١٢ يناير ١٩٢٤ .

الوطنى يتمسك به ، طالما أن بريطانيا أقوى من مصر (١) . هذا وفي الوقت الذى افتقر فيه الحزب الوطنى إلى الشخصية الكبيرة الكفء ، بعد موت مصطفى كامل ثم نفى محمد فريد ، وجهت سياسة الحزب برياسة محمد حافظ رمضان لمقاومة سعد زغلول وسياسته الخارجية ، ولذا تضاءل التأثير السياسى للحزب الوطنى بين الجماهير ، خاصة وأنه اعتمد على الطبقة المثقفة فى المدن الكبرى متجاهلا الفلاحين الذين أصبحوا فى أعقاب ثورة ١٩١٩ على درجة معقولة من الوعى السياسى . (٢)

كما أثبتت الانتخابات النيابية بصفة عامة عدم جدوى استغلال الفوارق الدينية على حساب الوحدة الوطنية وقضية الاستقلال فى التنافس حول مقاعد مجلس النواب ، وفشل الذين كانوا يبنون حساباتهم على أن الجماهير تدخل الدين كعنصر من عناصر إختيار المرشحين ، وفاتهم أن الشعب ينتظر مجلساً للنواب قائم على أساس مصرى شامل بغير تفريق بين مسلم وقبطى ، والعبرة فى الاختيار هى خدمة القضية الوطنية ، ولذا كان فشل الأحرار الدستوريين فشلا ذريعاً ، حيث أعدوا خططهم للفوز فى الانتخابات فيما أعدوا من خلال استخدام الفوارق الدينية حيث أن الوفد يضم فى قيادته الكثير من الأقباط . (٣)

وأثبتت نتائج الانتخابات وفوز ١٤ مرشحاً قبطياً من أنصار سعد زغلول على تمسك الجماهير بروح التآخى بين المسلمين والأقباط ، تلك الروح التى كانت من أهم مظاهر ثورة ١٩١٩ ، وقد دل مسلك الشعب هذا على وعى سياسى أصيل لقضية الوطن الجوهرية ، وكان ذلك دحراً لمن لم يتفهموا واقع الجماهير . (٤)

---

(١) جاكوب لاندو ، الحياة النيابية والأحزاب فى مصر ، ترجمة سامى الليثى ، مكتبة مدبولى القاهرة (بدون تاريخ) ص ١٣٦ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) طارق البشرى ، المسلمون واقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠ ، ص٢٠٤ .

(٤) الأهرام فى ١٦ يناير ١٩٢٤ .

واستمر تأييد الشعب للقيادة الوطنية ملحوظاً فى الانتخابات النيابية الثانية، وكانت قيادة سعد زغلول غامرة شاملة وغدا الوفد فى نظر الجماهير ليس مجرد حزب بل أصبح فكرة تنطوى تحتها أغلبية جماهير الشعب ، ورأت الجماهير كيف أن سعد زغلول ممثل الفكرة الوطنية والمطالبة بالاستقلال يقف صامداً فى وجه الاحتلال ويرفض إنذاراتهم ويستقيل من الحكم تحت الضغط الانجليزى ، فناصرته رغم تدخل وزارة زيور فى حرية الانتخابات ، وكان الشعب عنيد فقابل حزب الاتحاد التابع للحكومة بالسخط والاستنكار ، وأثبتت النتائج أن إرادة الأمة تنتصر فى النهاية ، ففاز الوفد رغم التدخل بنسبة تزيد على ٥٥ فى المائة على الأقل من مقاعد مجلس النواب لعام ١٩٢٥ ، وإذا قارنا هذه النسبة بالنسبة التى حصل عليها الوفد فى عام ١٩٢٤ وهى ٩٠ فى المائة ، نجد أن هناك نسبة لا تقل عن ٣٥ فى المائة من مقاعد مجلس النواب قد خسرها الوفد فى عام ١٩٢٥ نتيجة للتزييف الذى مارسته وزارة زيور لإرادة الشعب .

ولقد أكدت الانتخابات النيابية لعام ١٩٢٦ قيمة العامل الشخصى فى السياسة ، وأن شخصية الزعيم تؤثر فى نفوس الشعب وفى حركته أشد تأثير ، وكانت زعامة سعد زغلول والمنزلة التى نالها فى نفوس المصريين كفيلة لتحقيق فوز الوفد بالرغم من انخفاض درجة إقبال الناخبين على صناديق الاقتراع نتيجة اتفاق الأحزاب حول تقسيم مقاعد مجلس النواب ، وبالتالى انعدام مبدأ التنافس بين المرشحين . فقد حصل حزب الوفد على ٦٨ فى المائة من أصوات الناخبين الذين شاركوا فى الانتخابات النيابية الثالثة . (١)

وهذه النسبة الكبيرة التى حصل عليها الوفد رغم دوره السلبى فى إفساد حرية الاختيار أمام الجماهير ، يدل على أن الشعب المصرى كان ولا يزال يعتبر سعد زغلول هو الشخص الوحيد القادر على جمع الجمهور حوله تحت لواء تحقيق الاستقلال التام .

---

(١) على الدين هلال ، المصدر السابق ، ص ٣٠١ .

ورغم وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧ فقد تمتع حزبه بشعبية قوية بين هيئة الناخبين ، ووجد حزب الوفد أن الجماهير ما زالت مستعدة لأن تضحى من أجله لنصرته ونصرة قضية الاستقلال التام إذا تمسك خلفاء سعد زغلول بأسلوبه فى الكفاح ضد الاحتلال ، ونجح مصطفى النحاس فى إقناع الجماهير بثبات الوفد على مبدأ الزعيم سعد ، ولذا توفرت أهم أسباب نجاح الوفد فى انتخابات ١٩٢٩ ، فقد حصل فيها على ٦٠,١ فى المائة من أصوات الناخبين ، ولعل الجماهير أرادت بهذه النسبة أن تؤكد وقوفها بجانب خلفاء سعد وفى قيادة الحركة الوطنية من أجل الاستقلال ، ولنفس السبب قاومت انتخابات ١٩٣١ التى أراد من ورائها اسماعيل صدقى صنع مجلس نواب يتألف أعضائه من عملاء للقصر والاحتلال ومن خلال استطلاع للأهرام فى انتخابات ١٩٣٦ اتضح أن معظم الناخبين قد انتخبوا الوفد على أمل أن يحقق جلاء الاحتلال الإنجليزى عن أرض الوطن ولذا كان فوز الوفد بنسبة ٦٢,١ فى المائة من أصوات الناخبين . (١)

بعد إبرام معاهدة ١٩٣٦ بدأت مرحلة جديدة فى التنافس بين الأحزاب السياسية للحصول على تأييد الجماهير فى الانتخابات ، فلم يعد الوجود الانجليزى هو الميدان ،حيث كان هذا الوجود من أهم عوامل التأثير المباشر فى اتجاهات الناخبين ،أما وقد أبرمت المعاهدة بين مصر وانجلترا ووصفها زعيم حزب الأغلبية « بمعاهدة الشرق والاستقلال » فقد جعلت إمكانيات تدخل الإنجليز فى المسائل المصرية الداخلية محدودة للغاية وإلا اتهموا بخرق المعاهدة (٢) . ولذا بدأ الوفد يعانى من المرحلة الجديدة ، وبدا وكأنه قد فقد سبب قوته بل من أهم أسباب وجوده بين الجماهير بعد توقيع المعاهدة وما صاحبها من اعتقاد من أن القضية المصرية قد حلت . (٣)

ونتيجة للتطور السياسى الجديد ، وظهور خلافات وانشقاقات داخل

---

(١) الأهرام فى ٣ مايو ١٩٣٦ .

(٢) يونان لبيب رزق ، المصدر السابق ص ٣٨٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٩١ .

صفوف حزب الوفد ، وخروج عناصر ذات شعبية كبيرة بحكم ماضيها فى الجهاد الوطنى ، وبحكم تواجدها فى مراكز القيادة منذ ظهور الوفد نفسه ، أخذت الجماهير تحس بالحيرة فى الوقوف على حقيقة الدور الجديد الذى يلعبه حزب الأغلبية فى قيادة الحركة الوطنية ونجح الأحرار الدستوريون فى استغلال موقف الحيرة هذا الذى أصاب الجماهير فى انتخابات عام ١٩٣٨ لإبعاد بعض الناخبين عن الوفد .. زادت حيرة الجماهير عندما لاحظت أن الحزب الكبير أصبح فى حالة تهادن مع الإنجليز وأصبح غير قادر على قيادة الحركة الوطنية بنفس قوة الدفع التى كانت عليها قبل عام ١٩٣٦ ، كما أخذت الجماهير تشعر بالمرارة عندما اتبع أسلوب التدخل فى انتخابات عام ١٩٤٢ من جانب حزب الوفد ، وأن الوفد أخذ يتبع سياسة إرضاء القصر فكان لكل هذا أثره السيء فى نفوس الشعب أدى إلى تدهور سمعة قيادة الوفد وإلى مزيد من ابتعاد الجماهير وعزوفهم . (١)

فكانت نتائج الانتخابات النيابية التالية خير دليل على ذلك الانفصال الذى حدث بين الوفد وبين القاعدة الجماهيرية ، عندما حصل حزب الوفد على ٥٨,٣ فى المائة من أصوات الناخبين ، فى انتخابات عام ١٩٤٢ التى جرت فى عهد حكومة الوفد نفسه ودون منافس حقيقى فيها ، ثم انخفاض نسبة تأييد الجماهير للوفد فى انتخابات عام ١٩٥٠ لتصل إلى ٥٤,٥ فى المائة من مجموع أصوات الناخبين ، وخاصة فى الريف المصرى الذى بدأ يعانى من تغلغل عناصر إقطاعية لا تنتمى إلى تقاليد الوفد ،وهذه النسبة من الأصوات تعتبر ملياً أقل مستوى انخفضت إليه شعبية الوفد بين القاعدة الجماهيرية منذ بداية الحياة النيابية فى عام ١٩٢٣ .

---

(١) على الدين هلال ، المصدر السابق ص ١٨٤ .

نتائج الدراسة :

من خلال هذه الدراسة الموجزة لموقف المصريين من الانتخابات النيابية فى الفترة من ١٩٢٣ إلى ١٩٥٢ نستطيع أن نصل إلى النتائج الثلاث الآتية :

أولا : —

كان الوعى السياسى ملحوظاً بدرجة كبيرة لدى الشعب المصرى فى الانتخابات النيابية من خلال مساندته للزعامة التى تقود نضاله ضد الاحتلال الأجنبى ، وتسعى لتحقيق الاستقلال ، وتقف بصلابة فى وجه تصرفات القصر اللادستورية ، وكانت درجة المشاركة السياسية فى الانتخابات تعبر بصدق عن إرادة الجماهير وآمالها ، فكانت تناصر فقط من ترى فيهم ممثليها الحقيقيين ذلك عندما كانت تتوافر لها ضمانات حرية الاختيار وكانت الانتخابات النيابية المظهر الدستورى المتاح للتعبير عن الإرادة الشعبية ، فكانت هذه الإرادة تنتصر عندما تجرى انتخابات حرة ، وكانت تقهر عندما تجرى الانتخابات فى جو من الإرهاب والتزييف .

ثانياً : —

أساء الكثير من قادة الأحزاب السياسية فهم سلوك الشعب المصرى تجاه الانتخابات ، وأساءت بعض الوزارات فهم طبيعة الحكم ، واعتبروه حقهم وليس تكليفا من الشعب ، ونظر بعض الحكام إلى الشعب وكأنه لم يبلغ سن الرشد بعد ، ولهذا عملوا على تعزيز مراكزهم باتخاذ وسائل لا تتفق وإرادة الشعب ، وكانت الانتخابات النيابية إحدى أهم المجالات التى مارست فيها الكثير من الوزارات أساليب التدخل بكل أشكاله حتى لا تعطى الإرادة الجماهيرية الفرصة للتعبير عن نفسها .

ولم يفهم بعض الحكام أن الأمة تؤيد الأحزاب التى نشأت من القاعدة الشعبية ، وأهمية هذه القاعدة الشعبية للأحزاب نفسها ، وأن الجماهير تنصرف عن الأحزاب التى خرجت من كواليس القصر والحكم ، أو الأحزاب التى

تجاهلت نضال الشعب ، ولعل انتخابات ١٩٢٥ تثبت تلك الحقيقة : كما يتضح لنا فى ضوء الانتخابات الخمس التى استهانت فيها الحكومات تماماً بإرادة الجماهير أن رؤساء اللجان إحدى وسائل تزييف الارادة ، فالناخبون الذين لا يعرفون القراءة والكتابة يكادون يبلغون ٧٠ فى المائة من مجموع الناخبين ، وهؤلاء أفضوا إلى رؤساء اللجان بأسماء من يريدون انتخابه : فإذا كان رؤساء اللجان الانتخابية هذه موجهين أصلا من قبل الحكومة إيقنا ما للجان الانتخابية من أثر فى توجيه نتيجة الانتخاب وكل وزارة كانت فى الحكم كان فى مقدورها الحصول على الأغلبية فى مجلس النواب ، ولا يهم أن هذه الأغلبية لا تعبر عن إرادة الشعب أو أن هذه الأغلبية لا تمثل موقفه الحقيقى من الانتخابات ،وهذا يؤكد أن ٥٠ فى المائة من الحكومات التى أجرت الانتخابات النيابية العشر لم تراع بأى شكل من الأشكال حق الاختيار الذى كفله الدستور للشعب .

ثالثاً : —

لم تعكس المجالس النيابية العشرة التى تكونت فى الفترة من عام ١٩٢٣ إلى عام ١٩٥٢ موقف المصريين من انتخاباتهم ، فكان نصف هذه المجالس على الأقل ضد إرادة الشعب ،وكان أبرز هذه المجالس غير الشعبية مجلس النواب الذى تم انتخابه فى ظل دستور صدقى فى عام ١٩٣١ ، ومجلس النواب التى جرت انتخاباته باليد الحديدية لوزارة محمد محمود عام ١٩٣٨ .

كما انعكس على بعض المجالس النيابية إرادة القصر الذى كان له دوره فى إفساد الحياة النيابية ، كما كان الوجود الإنجليزى أحد عوامل اضطرابها وترك آثاره السلبية عليها ، فكثيراً ما أدى تدخل القصر والإنجليز الذى كان يبدو حيناً ويخبو أحياناً إلى عدم استقرار المجالس النيابية من خلال الضغط لإخراج الحكومات الشعبية من الحكم ، والإتيان بحكومات تراعى مصالح القصر والوجود الاحتلالى ، ولذا كثر تعدد الانتخابات النيابية فى فترات زمنية متقاربة ، مما ساعد على تولد نوع من اللامبالاه والسلبية تجاه الحياة النيابية لدى بعض الناخبين .

فبالرغم من النضج السياسى لغالبيتها الذى كان نتيجة طبيعية لتلك المشاركة الشعبية الواسعة فى ثورة ١٩١٩ ، فقد لمسنا فى الانتخابات النيابية أن الناخب العادى كان فى بعض الأحيان يعجز عن تقدير المرشح المناسب لشغل مقعد بمجلس النواب ، ذلك المكان الخطير ، الذى يتطلب فيمن يشغله صفات خاصة ، كان توافرها فى الكثير من المرشحين أمراً غامضاً على البعض من عامة الشعب ، ولذا فغالباً ما كان انتخاب نائباً معيناً يتم بدافع من الحزبية أو العاطفة القبلية ، أو لمجرد التخلص من واجب دعته إليه السلطات .

ولعل الحكومات كانت راضية عن عدم إدراك بعض الناخبين لأهمية اختيار النائب ، وإلا لحاولت تأهيل وترشيد هيئة الناخبين من عامة الشعب لدورهم السياسى الهام فى ممارسة حق الانتخاب كهيئة قادرة على فهم الغرض المقصود منه .

كلمة أخيرة فى هيئة الناخبين

كما أننا يجب أن نقرر أن غالبية هيئة الناخبين كانت مظلومة بين أفعال الانجليز والقصر والأحزاب ، وكانت حائرة فى فهم اللعبة السياسية الدائرة بين القوى الثلاث ، واشتدت حيرتها بعد موافقة الأحزاب السياسية — ما عدا الحزب الوطنى — على المعاهدة المصرية الإنجليزية لعام ١٩٣٦ ، وشعرت فئات كثيرة من الشعب أن قيادات الأحزاب لا يهمها إلا الوصول إلى الحكم والبقاء فيه ، خصوصاً وقد تلاشت أسباب نشأتها بعد إقرار المعاهدة ، ومن هنا ظهرت بوادر اتجاهات أيديولوجية جديدة لأحزاب وجماعات خرجت على المسرح السياسى لكى تزيد اللعبة السياسية تعقيداً أمام الشعب المصرى وتنذر بمرحلة تغيير جديدة بدأت فى يوليو ١٩٥٢ .

وضعية الكويت الدولية
بالنسبة للدولة العثمانية

دكتورة . ميمونه خليفة الصباح
جامعة الكويت

الارتباط الأسمى بالدولة العثمانية :

تعتبر الكويت أقرب امارات الخليج العربي للوجود العثمانى القائم فى العراق إلا أنه لم يثبت وجود سيطرة عثمانية بفعلية عليها . وقد اقتصر الأمر على مجرد نوع من التبعية الاسمية ، وذلك أن المستوطنين الاول فى الكويت من العتوب بزعامة آل الصباح لم يجدوا مناصا من تأمين مركزهم بالاعتراف بشيء من الولاء للوالى العثمانى فى العراق(١) . وذلك فى بداية مرحلة استقرار العتوب فى الكويت(٢) . وبذلك أقرت الكويت للدولة العثمانية نوعا من السيادة الاسمية دون أهمية تذكر لتلك السيادة ولا تدخل من جانب الدولة العثمانية فى الشئون المحلية (٣) .

وكان التحرر من التبعية العثمانية عاملا سائداً ومؤكداً فى سياسة شيوخ الكويت (٤) وحتى حين يتعرضون للخطر الخارجى فانهم لا يلجئون إلى الدولة العثمانية وانما يعتمدون على أنفسهم فى رد ذلك الخطر ،وهذا ما حدث حين تعرضت الكويت للهجمات الوهابية فى أواخر القرن الثامن عشروبداية القرن العشرين .

---

(١) د . جمال زكريا قاسم – الخليج العربى (دراسة لتاريخ الأمارات العربية (١٨٤٠ – ١٩١٤ ص ٢٥٥ القاهرة ١٩٦٦ .

(٢) د . مصطفى النجار – التاريخ السياسى لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربى – ص ٣٨ (منشورات مركز دراسات الخليج) – البصرة – عام ١٩٧٥ .

(٣) سيد نوفل – الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربى – ص ١٥٢ – ١٩٥٣ .

(٤) F.O./78/5113 India Office to foreign Office. 24 March 1897

ولتأكيد استقلال الكويت عن الدولة العثمانية فاننا نجد أن هناك حتى من المسئولين العثمانيين أنفسهم من يعترف بهذا الاستقلال وذلك ممثلا فى مدحت باشا (والى بغداد منذ ١٨٦٩م) الذى اعترف باستقلال الكويت على الرغم من أنه كان يعمل منذ توليه ولاية بغداد على تنظيم علاقة العراق العثمانى بالخليج العربى بحيث يضمن سيادة الدولة العثمانية على الكويت وبقية امارات الخليج العربى والجزيرة العربية . وقد جاء اعتراف مدحت باشا فى مذكراته (ترجمة جاله)(١) حين ذكر فى معرض وصفه لأحوال الكويت .«ومع أن جميع أهلها مسلمون الا أنها لم تكن مرتبطة بأية جهة ، وبالرغم من محاولات نامق باشا الوالى السابق لالحاقها بالبصرة(٢) ، وتشبثه بادارتها عن طريق تكليف أهلها بقبول ذلك ، الا أنها لتمتعها بادارة مستقلة مستثناه مجردة من جميع التكاليف ، وخشية من تحميلهم الضرائب ورسوم الجمارك لم يوافقوا على تغيير حالهم وفضلوا البقاء على وضعهم . . وبالنظر لمساعدة موقعهم الجغرافى فانهم يؤلفون مملكة أشبه ما تكون بالجمهورية حيث يحكمون أنفسهم بأنفسهم منذ القدم . . . وكانت سفنهم تبحر للتجارة غالبا تحت الراية الخاصة بمملكتهم(٣) إلا أنهم يضطرون فى بعض الأحيان إلى رفع العلم (الهولندى) تارة والأنجليزى تارة أخرى لتأمين سلامتهم » .

وبالاضافة إلى هذا الاعتراف من أحد كبار المسئولين العثمانيين (مدحت باشا - والى بغداد) فاننا نجد عدم وجود دلائل لتبعية الكويت للدولة العثمانية كدفع الضرائب والخراج(٤) فضلا عن عدم وجود حاميات عسكرية

---

(١) مذكرات مدحت باشا (ترجمة جاله) من وثائق وزارة الخارجية الكويتية .

(٢) كان العراق يشكل ولاية واحدة ولكن فصلت ولاية البصرة عن بغداد عام ١٨٧٥ م واعيد توحيدها عام ١٨٨٠ ثم فصلتا مرة أخرى عام ١٨٨٤ وكانت ولاية الموصل قد فصلت قبل ذلك عام ١٨٧٨م لذا يجب مراعاة الفترة الزمنية بين قول ولاية بغداد أو ولاية العراق .

(٣) قد يقصد بالراية الخاصة ، الراية العثمانية مع وضع كلمة « كويت » على أحد جانبيها تمييزا لها أو هى الراية الخاصة بالفعل أى الراية الحمراء تتوسطها كلمة « كويت » .

(٤) F.O. 78/5113 Viceroy to ForeignOffice.telegraphic 12 Feb. 1899

أو مراكز عسكرية عثمانية (١) . أو موظفين عثمانيين رسميين فى الكويت بل أن الشيخ مبارك رفض فى وقت لاحق محاولة الدولة العثمانية لتعيين مدير عثمانى لميناء الكويت(٢) . كما أن شيوخ الكويت أجاروا الثائرين على السلطات العثمانية(٣) . كما سنرى– وهذا دليل واضح لاستقلالها عن الدولة العثمانية – كما لايوجد أى اتصال فعلى بين الكويت والدولة العثمانية . وظل أمراء الكويت بمنأى عن السيطرة العثمانية يشكلون وحدة مستقلة حرصت على حريتها وازدهار تجارتها(٤) .

إلا أن هذا الاستقلال لم يمنع وجود تعاطف وموده من شيوخ الكويت للدولة العثمانية على أساس تقارب روحى انطلاقا من كونها دولة الخلافة ومن كون السلطان يمثل رأس العقيدة الاسلامية . وهذا مانلمسه من خلال تتبعنا للأحداث .

التقارب بين الكويت والدولة العثمانية :

استمرت العلاقات الودية بين الكويت والدولة العثمانية بل زاد تعاطف وتقارب الكويت معها فى عهد الشيخ جابر بن عبد الله الصباح فبعد رفعه للعلم العثمانى منذ عام ١٨٢٩م أكد تعاطفه مع الدولة العثمانية بشكل عملى حين ساهم معها بفاعلية عام ١٩٣٦م فى القضاء على خروج أهل الزبير على السلطة العثمانية كما اشترك فى العام التالى ١٨٣٧م مع على رضا فى الاستيلاء على المحمره . وكان هذا التطور الكبير فى تعزيز العلاقات الكويتية بالدولة العثمانية إلى جانب مالمسته الأخيرة من قوة الكويت البحرية من الأمور التى

---

(١) F.O. 78/5114 From Sir O'Connor to the Marquis Salisbury, N. 440 9 Sept. 1899. Secret.

(٢) F.O. 78/5114 Foreign Office to Viceroy. No. 6 Secret., 9 ept. 1899.

(٣) د . جمال زكريا قاسم – المصدر السابق – ص ٢٦٣ – ٢٦٤ .

(٤) البيان الثالث لحكومة الكويت (بمناسبة مطالبة عبد الكريم قاسم بضم الكويت) . الصادر بتاريخ ١٥-٧-١٩٦١ .

دعتها إلى أن تطلب من الشيخ جابر حماية ميناء البصرة . وقد قبل الشيخ جابر حماية البصرة وذلك عام ١٨٤٥م فأجرت له الدولة العثمانية مقابل ذلك راتبا سنويا كان يدفع له من خزينة ولاية البصرة بالاضافة إلى مائة وخمسين كارة من التمر(١).

توطدت العلاقات الطيبة التى أقامها الشيخ جابر مع الدولة العثمانية فى عهد خلفه الشيخ صباح (١٨٥٩ — ١٨٦٦م) بل توثقت بصورة أكبر الا أن ذلك لم يمنع أن تستبدل الكويت الراية العثمانية التى كانت ترفعها على سفنها بالرايات الأجنبية . ولم يكن ذلك بدافع عدم الولاء . وانما كان اجراءاً وقائيا اقتضته ظروف الكويت الاقتصادية بعد أن تلقت السفن الكويتية معاملة غير طيبة فى بومباى نتيجة رفعها الراية العثمانية مما دفعها إلى تغيير أعلامها بأعلام أجنبية ولكن يجب أن نؤكد هنا أنه فى الوقت الذى لم يكن فيه استبدال الراية العثمانية براية أجنبية يعنى عدم الولاء للدولة العثمانية فان رفع الراية العثمانية لم يكن يعنى اعترافا من الكويت بالتبعية العثمانية وكانت الكويت تعمل على نموها السياسى وازدهارها الاقتصادى برغبة أكيدة ، لتأكيد شخصيتها المستقلة عن كافة الأطراف حتى عن الدولة العثمانية . لذلك فانه لم يحدث أن طلبت المساعدة قط من الدولة العثمانية فى وقت الأزمات والأخطار التى تتعرض لها حتى أنها صدت الهجمات التى تعرضت لها بنفسها . كما أضحت الكويت ملجأ للعراقيين والعرب الفارين من الأتراك(٢) . لذا لقيت محاولات نامق باشا والى بغداد عام ١٨٦٦م لتحويل سيطرة الباب العالى الأسميه على الكويت إلى سيطرة فعلية معارضة شديدة من جانب آل الصباح مما استدعى نامق باشا إلى طلب سفينتين مسلحتين من القسطنطينية للوقوف فى وجه معارضة حكام الكويت(٣) .

---

(١) Brydges, Wahabauby Vol. II, p. 19, London 1834

(٢) سيف مرزوق الشملان — من تاريخ الكويت (من مذكرات مدحت باشا) ص ١٣٥ ، ص ١٣٦ .

(٣) د . مصطفى النجار — المصدر السابق — ص ٤٨ .

ومع ذلك فقد اعترف الشيوخ من حكام الكويت فى كثير من الأحيان بنوع من التبعية للدولة العثمانية والتى لم تكن تعنى أكثر من التبعية الاسمية .

ويفسر بعض المؤرخين تقرب حكام الكويت فى تلك الفترة من الدولة العثمانية وتعاطفهم معها ، على انه اعتراف منهم بالتبعية العثمانية الفعلية ، ودليلهم على ذلك تعاطف الشيخ جابر بن عبد الله الصباح مع الدولة العثمانية ورفعه الرايه العثمانية على قصره عام ١٨٢٩م فى مواجهة محاولة بذلها الانجليز لمد نفوذهم إلى الكويت (١).

وتناسى اولئك المؤرخين ان رفع الكويت للرايه لم يعن اعترافا بالسيادة العثمانية بل انها وبقيه امارات الخليج العربى (كما يذكر كولونيل كامبل Col. Camball المقيم السياسى البريطانى فى الخليج) كان يصعب على سفنها ان تبحر تحت اعلامها الخاصة نظرا لعدم وجود اعتراف دولى بهذه الاعلام. كما ان علم الدولة العثمانية لم يكن يقترن فى الاذهان بالدولة العثمانية بل كان يمثل الرايه الاسلامية وهى مظهر روحى لاحترام دولة الخلافة الاسلامية(٢).

واكد كامبل استقلال الكويت عن الدولة العثمانية حيث استدل من واقع الامور على ان سكان الكويت قاوموا بنجاح جميع المحاولات التى بذلتها الدولة العثمانية لوضع الكويت تحت سيادتها وتحت نفوذ القضاء العثمانى وانهم حافظوا على استقلالهم . واكد كامبل على انه حقيقة ان سكان الكويت يعترفون بالسيادة العثمانية الا أن ذلك لا يتعدى كونه اعترافا اسميا(٣).

ونضيف إلى الحجج المقنعة التى أوردها كامبل لتأكيد استقلال الكويت حجة أخرى قد تكون أكثر إقناعاً وهى أنه من دلالات استقلال الكويت عن الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر انتقال نشاطات وكالة شركة الهند الشرقية إلى الكويت إبان حصار الفرس للبصرة فى الفترة بين ١٧٧٥—١٧٧٩م

---

(١) حافظ وهبه — جزيرة العرب فى القرن العشرين . ص ٨٣ — القاهرة — ١٩٦٧ .

(٢) Whigham : The persian problem. PP. 101–103. London 1903

(٣) Frazer Iovat : India under Curzon and after, PP. 97–98. London.

ثم التجاء متسلم البصرة مصطفى أغا وأخوه معروف أغا وثويني باشا إلى الكويت على أثر محاولة الأولى الاستقلال بالبصرة عن ولاية بغداد بعد مواجهة هذه المحاولة بحملة والى بغداد عام ١٧٨٠ م (١) .

وأخيراً انتقال الوكالة البريطانية إلى الكويت فى ٣٠ أبريل عام ١٧٩٣ حيث ظلت بها حتى أغسطس عام ١٧٩٥ م نتيجة لخلافات بينهم وبين الموظفين العثمانيين (٢) . ونجد أن كل هذه الدلالات تتجدد فى القرن التاسع عشر حين تصبح الكويت ملجأ للفارين من الأتراك ، ثم انتقال الوكالة الإنكليزية مرة أخرى إلى الكويت فى ٢٥ ديسمبر ١٨٢١ م عندما فرض باشا بغداد رسوماً مجحفة إلى جانب بعض المضايقات الأخرى (٣) . وللحدث الأخير دلالتان : الأولى أن موظفى الوكالة ارتاحوا للتعامل مع الكويت أثناء انتقال نشاطهم إليها خلال احتلال الفرس للبصرة ثم حين انتقلت الوكالة للمرة الأولى بين عامى ١٧٩٣–١٧٩٥ م والثانية والأهم : عدم خضوع الكويت لأية سلطة عثمانية وإلا كيف تنتقل الوكالة وهى بعثة أجنبية من ولاية عثمانية إلى أخرى .

محاولات مدحت باشا لادخال الكويت فى ظل التبعية العثمانية :

لم يأخذ الأهتمام العثمانى بالكويت حجمه الطبيعى الا عند تولى مدحت باشا ولاية بغداد عام ١٨٦٩م . فراح يعمل على تأكيد نفوذ الدولة العثمانية فى الكويت بشكل فعال ومفيد للدولة العثمانية . وقد تبلورت جهوده فى العام التالى لولا يته عندما استصدر فرمانا يقضى باعلان الكويت سنجقا مستقلا استقلالا ذاتياً(٤) ، على أن تتبع ولاية بغداد وتشكل قضاءاً عثمانيا تتوارثه

---

(١) Factory Records. Persia and persian Gulf. Vol 18 serial No : 1532 letter dated 17th April 1789.

(٢) Factory records. Persia Gulf. Vol 19 Letter No : 1652. 18th July 1785

(٣) د . فتوح الخترش : التاريخ السياسى للكويت فى عهد مبارك – دراسة وثائقية مقارنة بالمؤرخين المحليين ، الطبعة الاولى – الكويت – منشورات ذات السلاسل – ١٩٨٥ .

(٤) Hogarth, David. Geolge Penetration of Arabia. p. 240.London

أسرة آل الصباح(١) . فقد كتب مدحت باشا بهذا الشأن كتابا إلى الصدر الأعظم يصف فيه الكويت بأنها تبعد عن جنوبي البصرة مسيرة ساعة ، وأن عدد سكانها يتراوح ما بين ألفين وثلاثة الآف عائلة وأنه كان يعتبر أحد مضافات البصرة ولكن بعد الشقة أدت إلى تركه ، فاكتسب حكم جماعة مستقلة مع توالى الزمن ، وعرف بتكوينه وحدة مستقلة أشبه بالجمهورية ، وذكره فى الخرائط على أنه مستقل وأهله من السنة ، وجلهم يشتغلون بالتجارة ، ويملكون نحو سبعمائة أو ثمانمائة سفينة وان اباءهم عن الارتباط بالبصرة لداع ما ، جعلهم ينفردوا ويستقلوا نوعا ما اداريا بوضع سوف يؤدى بهم إلى ما حل بالبحرين بعد ما تسلط عليها الانكليز . وما سيؤدى اليه الوضع بساحل الحسا وقطيف من دون ريب ، « فان تسنى لنا وضعها تحت ادارة صحيحة من قبلنا ولعل القوة التى نحن بصدد انشاءها فى البصرة تسهل علينا تخليص ما يلى الكويت جنوبا ، ولربما وجد تبرير لوضع البحرين ، فبادرنا لوضع الكويت تحت الانضباط والإدارة العثمانية ، وسعينا إلى الاتصال والمخابرة وايجاد وسائلها ، فمن ذلك قطعنا لتسهيل حصول المقصود العوائد المخصصة من البصرة لشيخ الكويت وذلك (١٥٠) كارة من التمر أى ما يساوى من حيث القيمة ١٦٠,٠٠٠ غرش(٢) ... » ويضيف مدحت باشا أنه عندما أرسل لحكام الكويت رسولا للاجتماع بشيوخ الكويت اتضح لديه من كلامهم « أنهم يفخرون بالتبعية العثمانية ولكنهم يخشون الوقوع بسببها تحت التكاليف من أمثال الرسوم والجمارك ، » وأنهم يقرون بأن الدولة العليه فى غنى عنهم ، وما مقصدها الا حمايتهم والتصاحب (المساندة لهم) فبادر عبد كم وشرح لهم مقتضى الوضع طويلا وعرضا ، وأن القضية المذكورة أكثر أهاليها من الشافعية وبينهم من المالكية والحنابلة(٣) ، ينبغى

---

(١) جريدة الاصلاح (بيروت) العدد ٦٨ انجلترا والكويت ١٥ يوليو سنة ١٩١٣ .

(٢) من والى بغداد إلى الصدر الأعظم (ص ١ م ١) فى ٨ ذى القعدة ١٢٨٦هـ ١٨٦٩م (ملحق رقم ١) .

(٣) خلافا لما يذكره مدحت باشا فى كتابه فان اهل الكويت من المالكية وهو مذهب الكويت الرسمى .

أن يكون حكامهم (قضاتهم) ونواب هؤلاء من الشافعيه ، ويجب أن يحصلوا على اجازة من الدولة بشأن ذلك. وقد رفعوا عريضة يطلبون براءات لخطباء جوامعهم وعددهم خمسة ، « فسطرنا ما لزم من بيوريلدى (أمر) وسلمناهم اياها . وأبلغنا وزارة الداخلية الجليلة برقيا بعث البراءات ، .وقررنا ارسال مائة نفر من الانضباط لتوكيد ارتباطهم بالدولة وعلقنا ارسالنا بمجيء القائمقام اللاحق وعودته قريبا من الحجاز — والأمر لحضرة من له الأمر » .

وقد كتب الصدر الأعظم إلى السلطان مشيرا إلى ما جاء فى كتاب مدحت باشا مؤيدا هذه الاجراءات ويستأذنه باتخاذ التدابير الواردة بها بشأن ربط الكويت بالدولة العثمانية ووجوب الزامها باظهار التابعية العثمانية ورفع العلم العثمانى على المبانى الرسمية(١) . ولقد استحسن السلطان هذه الاجراءات ووافق على اتخاذ اللازم بصددها وذلك فى كتاب من رئيس كتابه إلى الصدر(٢) . هذا وقد كان مدحت باشا يقدر موقف حكام الكويت وجنوحهم إلى الاستقلال لذلك عمل على اعفائهم من الضرائب بل قرر استمرار صرف الرواتب السنوية لهم من خزينة الدولة(٣) . وبالفعل طبقت مقترحات مدحت باشا الخاصة بربط الكويت بالدولة العثمانية ما عدا ارسال القوات العسكرية فان هذا الأمر لم يتم ولا نعلم السبب لعدم تنفيذه . وعلى الرغم من النتائج الايجابية لاجراءات مدحت باشا على صعيد توثيق علاقة الكويت بالدولة العثمانية الا أنه لم ينتج عنها تحويل فى تبعية الكويت الاسمية للدولة العثمانية إلى تبعية رسمية فحتى لقب القائمقام كان يستعمل من قبل الدولة العثمانية وحدها ولم يكن حكام الكويت يستخدمونه ، وليس له أى مدلول فى الكويت . وعلى أثر تطبيق الدولة العثمانية للاجراءات التى اقترحها

---

(١) كتاب من الصدر الأعظم إلى السلطان العثمانى بتاريخ ٢٥ ذى الحجة ١٢٨٦هـ .

(٢) كتاب من رئيس كتاب السلطان ردا على كتاب الصدر الأعظم بتاريخ ٢٦ ذى الحجة ١٢٨٦هـ .

(٣) د . جمال زكريا قاسم — المصدر السابق — ص ٢٥٦ .

مدحت باشا بخصوص الكويت. باشر الأخير اتصالاته بشيخ الكويت عبد الله (الثانى) للاستعداد للحملة الشهيرة إلى الاحساء عام ١٨٧١م والتى كانت جزءاً من خططه وتطلعاته لتقوية النفوذ العثمانى فى الخليج وتبدأ بضم الكويت الى ولايته فى العراق مباشرة وادخال التنظيمات العثمانية اليها . وقد اقترنت هذه السياسة التى اتبعها مدحت باشا فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بظروف مواتية لتنفيذها ، فقد تم فتح قناة السويس عام ١٨٦٩م وبواسطتها أوجد خط ملاحى مباشر بين القسطنطينية والبصرة وأنشئت دار لبناء السفن فى البصرة .

وعلى الرغم من أن الأهداف المعلنة لحملة مدحت باشا هى نصرة الأمير عبد الله الفيصل آل سعود على أخيه سعود وحماية طرق مواصلات الدولة العثمانية ما بين الاحساء والقطيف من جهة والاحساء والبصرة من جهة أخرى ، وتحسبا من أن ينجح سعود الفيصل فى العمل ضد قواتها بحرا(١) الا أنه الى جانب هذه الأهداف كانت للحملة أهداف أساسية أخرى ، وهى تأكيد نفوذها على مساحات واسعة من الخليج العربى لا سيما بالنسبة للكويت الجارة القريبة ذات الموقع الاستراتيجى .

وبهذه المحاولات من مدحت باشا للتوسع فى الخليج دخلت الدولة العثمانية فى نزاع مع الحكومة البريطانية فجرت مراسلات طويلة بهذا الشأن بين الحكومتين ، نفت فيها الدولة العثمانية أن تكون لها نوايا توسعية أبعد من حدود نجد ، وعليه اعترفت الحكومة البريطانية عام ١٨٧٨ ، بالسيادة العثمانية على ساحل نجد الذى حددته بوكره وبدعه(٢) .

فكان موقف الحكومة البريطانية من حملة مدحت باشا وأهدافها التوسعية موقفا سلبيا اعترفت فيه بالسيادة العثمانية على الكويت واجزاء واسعة فى

---

(١) Lutsky, Modern History of the Arab countries, p.114. (Moscow, 1969).

(٢) Altchison, Collection of treaties engagements and sanads Relating to India and Neighbouring countries Vol. X. P 115.

المنطقة حيث عدد بريدو (Prideaux) نائب المقيم السياسى فى الخليج الموانىء المهمة الواقعة فى ظل الحماية العثمانية على أنها الكويت والقطيف والعقير .

واذا عدنا إلى حملة مدحت باشا نتبين أنه قدر أهمية الكويت القصوى لسياسته التوسعية فى منطقة الخليج فى الوقت الذى كان متأكدا فيه من اصرار شيوخ الكويت على الاحتفاظ باستقلالهم وعدم استعدادهم للتنازل عنه بأى شكل من الأشكال لذا أولى مدحت باشا هذه الناحية الأهمية اللازمة لاسيما ما يتعلق بالمحازير الكبيرة بالنسبة لموقع الكويت من متصرفية البصره .(١) لذلك انتهز مدحت باشا فرصة وجوده بالبصرة فى طريقه إلى الاحساء فدعا الشيخ عبد الله (الثانى) ولفت نظره إلى الأحوال والتطورات الزمنية والمخاطر التى يتعرض لها موقع مملكتهم ، ودعاه إلى الارتباط بالبصره متعهدا له بسند رسمى بأن لايتحملوا لقاء ذلك أية ضريبة أو رسوك جمركية ، وأن يبقى الشيخ على رأس حكومته ، على أن يتولى القضاء والافتاء وغير ذلك من الوظائف العامة رجال من أهل الكويت أنفسهم بمقتضى الأصول والقواعد الجارية فى مملكتهم ، مع ابقاء القواعد الحكومية فيها على أصلها دون تغيير ، وعلى أن تصدر البرآت (فرمان) من دار السعادة (أسطنبول) بتعيين أولئك المأمورين واقامة الشعائر فى الجوامع . وبعد اجراء المعاملات اللازمة لمربوطيتهم (الكويتيون) بالدولة العثمانية ، تركوا رفع الأعلام الأجنبية على سفنهم ورفعوا محلها العلم العثمانى(٢) .

ثم مر محمد نافذ باشا (وهو القائد الذى أرسله مدحت باشا على رأس الحملة) على الكويت سنة ١٨٧١م فى طريقه إلى الأحساء وطلب من الشيخ عبد الله الصباح مساعدته فى حملته ، ففعل الشيخ وأعلن وقوفه إلى جانب الدولة العثمانية ورفع العلم التركى ، وحث الحكام العرب الآخرين فى

---

(١) كانت البصرة فى ذلك الوقت متصرفيه تابعة لولاية بغداد .

(٢) مذكرات مدحت باشا (ترجمة جاله) (من وثائق وزارة الخارجية الكويتية) .

الخليج العربى على أن يحذو حذوه(١) . وقد قاد الشيخ عبد الله الحملة البحرية بثمانين سفينة ، وجهز قوة برية بقيادة أخيه الشيخ مبارك(٢) .

وبعد أن انتصرت حملة مدحت باشا على الأحساء ونجحت فى تحقيق أهدافها ذهبت حملة أخرى بقيادة شيخ الكويت عبد الله نحو قطر . وذلك بعد أن درس امكانيات هذه الحملة وخطط لها واستأذن صديقه الصدر الأعظم على باشا فنالت موافقته(٣) ، ذلك لأن تقدم القوات العثمانية نحو قطر كان سيخلق نوعا من الصدام مع بريطانيا التى كانت قد عقدت معاهدة ١٨٦٨ مع قطر . وكانت تنظر إلى التوسع العثمانى فى مياه الخليج العربى كخطر كبير يهدد مركزها ونفوذها فى المنطقة(٤) .

وقد نجحت تلك الحملة فى تحقيق اغراضها السياسية دون أن تصطدم بالقوات القطرية بل انها على العكس من ذلك وجدت ترحيبا من الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى الذى أعلن انضمامه للأتراك على رأس ٣٠٠ رجل من قواته وعمد إلى رفع العلم العثمانى على قطر(٥) .

وهكذا قدمت الكويت مساعدات عسكرية بحرية وبرية كبيرة لحملة محمد نافذ باشا التى أرسلها مدحت باشا إلى الأحساء ، وذلك بقيام الشيخ عبد الله الصباح بقيادة القوات التركية الكويتية فى حملتها على قطر فلعب دوراً سياسيا كبيرا — إلى جانب قيادته للحملة — ونجح بحنكته ودبلوماسيته فى جعل الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى يقبل بالتبعية العثمانية ويعلن ولاءه للباب العالى(٦) .

---

(١) وثيقة رقم ٢٣—مجموعة م ف٢— من وثائق حكومة الهند الموجودة بالمكتبةالعامة .

(٢) رسالتى للماجستير ص ١٢ .

F.O.195, 1944,Letter no. 44. from Harbert to India office, 7 th(٣)
Nov., 1871.

(٤) محمد عرابى نخله — تاريخ الأحساء رسالة ماجستير (غير منشورة) .

(٥) د . عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ١٧٤ .

(٦) الوثيقة السابقة (رقم ٢٣) .

وفى عام ١٨٧٨ اقترحت حكومة الهند أن تعترف الحكومة البريطانية بسيطرة السلطان على الأراضى الواقعة جنوب البصرة والعقير ولكن بشرط أن تستمر السيادة البريطانية على مياه ذلك الساحل(١) . وقد وافق اللورد (سولزبرى (Salisbury) وزيرالخارجية البريطانية على هذه الفكرة وأصدر أوامره إلى السير هنرى لايارد ((Sir Henry Layard) السفير البريطانى فى الآستانه بعرض هذه الفكرة على الباب العالى بشرط موافقة السلطان على حق السفن الحربية البريطانية بتفتيش السفن المحملة بالعبيد ومطاردة القراصنة حتى فى المياه الاقليمية العثمانية(٢) . وفى عام ١٨٨١ مصدرت أوامر إلى ضباط البحرية البريطانية بالعمل لمنع القراصنة حتى فى المياه التركية . وكانت هذه الأوامر تشمل ساحل الكويت وقطر والحساء . وقد أبلغ ناظر الخارجية التركية بذلك رغم أنه لم يبرم أى اتفاق رسمى بالموضوع حيث أن الباب العالى لم يقبل باعتراف محدود بالسيادة وطالب بكل الساحل العربى(٣) . وفى ذات العام وبعد أن حصلت بريطانيا على ما أرادت أبلغت سفيرها فى القسطنطينية بأنها لاتوافق على الاعتراف بأية حقوق لتركيا على الساحل العربى جنوب القطيف وأنها تود لو انحصرت ممارسة الحكومة التركية لسلطانها داخل هذه الحدود . أما الشيوخ المحليون فى البلاد الواقعة جنوب القطيف فان الحكومة البريطانية تعتقد أنهم مستقلون ، ولا شك أن موقف بريطانيا الأخير ناتج عن تخوفها من تقدم الأتراك نحو عمان .

وكانت الدولة العثمانية بعد حملة الاحساء تعتبر الكويت قائمقامية تتبع ولاية البصرة بعد أن فصلت البصرة عن بغداد عام ١٨٧٥م وأصبحت ولاية قائمة بذاتها . ويسمى شيخها (الشيخ عبد الله) قائمقام الكويت . ولما توفى

---

(١) F.O. 78/5113, From covernment of India to India office, 17th Sept 1878.

(٢) F.O. 78/5113 Salisbury to sir Henry Layard, No.12, 5 January 1879.

(٣) الوثيقة رقم ٢٣ – مجموعة م ف ٢ – من وثائق حكومة الهند .

الشيخ عبد الله وخلفه أخوه الشيخ محمد كان يسمى (قائمقام) الكويت وكذلك الشيخ مبارك فيما بعد(١) . إلا أن هذا اللقب كان يستعمل من جانب الأتراك فقط ولم تكن للدولة العثمانية أى سلطة حقيقية على الكويت ، كما أنها لم تكن تابعة للدولة العثمانية فعليا بل ان الكويت أصبحت ملجأ للعرب من الأتراك(٢) . ولا نبعد عن الواقع اذا قلنا ان هذا الالتجاء بدأ منذ عهد الشيخ عبد الله الأول عندما التجأ اليها (بريد جز) وهو مؤرخ انكليزى وأحد موظفى حكومة الهند البريطانية(٣) . كما إلتجأ إلى الكويت مصطفى أغا الكردى (السابق ذكره) ولاننسى ابن الزهير الذى لجأ إلى الكويت فى عهد الشيخ جابر أيضاً فرفض الأخير تسليمه إلى الثاقب .

ومن خلال تحليلنا للاحداث الآنف ذكرها نجد ما يؤكد استقلال الكويت فحتى الارتباط الإسمى الذى حصل من جانب الدولة العثمانية وحدها أثناء حملة مدحت باشا على الأحساء لا يثبت لها أى حق دولى فى الكويت — أسفرت مداولات مدحت باشا عن اعطائه سندا من جانبه إلى الشيخ عبد الله الصباح بوصفه رئيسا لحكومة مشيخة الكويت يتعهد فيه بأن لا تستوفى الدولة العثمانية أية ضرائب أو رسوم جمركية أو تكاليف أخرى من الكويت لقاء تسميتها قضاء وتسمية شيخها قائمقام ورفع العلم العثمانى على السفن بدلا من أعلام الدول الأجنبية الأخرى — فان هذا التعهد من جانب مدحت باشا عن الدولة العثمانية لا يلزم الكويت بشىء ولا يؤثر على استقلالها ووضعها الخاص لأن شيخ الكويت المعترف به من قبل الدولة العثمانية كرئيس لحكومة الكويت لم يصدر منه أى تعهد يلتزم بموجبه بأية مسئولية وحق للدولة العثمانية فى الكويت . هذا فضلا عن أن علاقة الدولة العثمانية بالكويت

---

(١) سيف مرزوق الشملان من تاريخ الكويت (من مذكرات مدحت باشا) ص ١٣٥ — ١٣٦ .

(٢) عبد العزيز الرشيد — تاريخ الكويت — ص ٨٦ .

(٣) رسالة الباحثه للماجستير — ص ١٢ .

لم تتجاوز تسميتها فى السالنامه(١) قضاء وتسمية شيخها قائمقام . كما ان الحفاوة فى الاستقبال الرسمى الذى كان يحظى به شيخ الكويت فى زيارته البصره فى عهد الدولة العثمانية ، بشتراك الوالى وموظفى الولاية واشرافها ووجهائها والذى لا يقام عادة الا لرؤساء الحكومات ويخرج شيخ الكويت من كونه قائمقام ، اذ ان القائمقام لا يلاقى تلك الحفاوة والاستقبال الرسمى لدى زيارته مركز الولاية(٢) .

وذلك إلى جانب ان اثار الارتباط الاسمى بالبصرة الذى تم من قبل مدحت باشا لم تتعد مايلى : —

أ — اصدار (برآت — فرمان) بتعيين الشيخ قائمقام لقضاء الكويت ولا يصل الأمر هنا إلى التدخل فى اختيار الشيخ أو وريث العرش ، وانما ينحصر فى اصدار الفرمان باسم من تختاره الأسره .

ب — اصدار (برآت) بمنح الشيخ مبارك (فيما بعد) رتبة ميرميرات(٣) ، وهى رتبة عثمانية .

جـ — اصدار (برآت) بمنح الشيخ مبارك وسام الامتياز الذهبى .

د — ذكر الكويت قضاءاً تابعا للبصرة فى ((السالنامه العثمانية)) .

على ان التحريات أثبتت بأن تسمية الكويت قضاء تابعا للبصرة لم يؤثر على استقلال الكويت بادارته ولم يؤد ذلك الارتباط الاسمى لأية سلطة للدولة العثمانية على الكويت ويستدل على ذلك بما يأتى : —

١ — لم يعثر فى سجلات الدولة العثمانية ما يؤيد استيفاء أية ضريبة أو رسوم جمركية أو أى نوع من التكاليف الأميرية عند تاريخ ولاية مدحت باشا فى عام ١٨٦٩ وحتى قيام الحرب العالمية الأولى .

---

(١) السالنامه : — هى سجل الموظفين العثمانيين .

(٢) تقرير سرى أعدته وزارة الخارجية الكويتية عن وضع الكويت التاريخى بالنسبة لتركيا معتمدة فيه على مذكرات مدحت باشا نفسه .

(٣) ميرميرات : رتبة شرف عثمانية تعنى فى العربية أمير امراء .

٢ ــ لم يعثر على أى قيد رسمى أو برآت سلطانى يبحث عن تشكيلات الادارة والموظفين الرسميين فى الكويت بعد تسميته قضاء كما هو معروف ومعمول به فى تشكيلات موظفى الأقضية فى الدولة العثمانية ، وذلك عدا ذكر اسم الشيخ مبارك الصباح والقاضى عبد الله العدسانى فى السالنامه العثمانية .

٣ ــ لم يرد ذكر ارسال أى فرد أو جماعة من قوات الدولة العثمانية العسكرية أو المدنية إلى الكويت طيلة تلك الاعوام وحتى قيام الحرب العالمية الاولى .

٤ ــ لم يعثر على أى قيد يثبت ارسال اى مبلغ من المال من الدولة العثمانية من الاستانه أو من البصرة لادارة قضاء الكويت طيلة ذلك العهد .

٥ ــ ذكرت الكويت كقضاء تابع للبصرة فى السالنامه دون تصنيفه كما تقضى بذلك الاصول ، اذ أن ذكر القضاء مجردا من صفته مما يؤيد ان الارتباط كان اسميا (١) . كما ان إنتقال الوكالة الانكليزية التابعة لشركة الهند الشرقية المؤقت إلى الكويت من عامى (١٧٩٣ ــ ١٧٩٥) يدل على انها لم تكن خاضعة فعليا للسيادة العثمانية وذلك بالرغم من أن تاريخ هذا الانتقال كان سابقاً لحملة مدحت باشا الا أنه وما تبعه من لجوء المختلفين مع الدولة العثمانية والفارين منها يدل على أن الكويت كانت على الدوام مستقلة عن الدولة العثمانية .

الشيخ مبارك والدولة العثمانية :

وعلى أية حال فقد استمرت السيادة العثمانية الاسمية على الكويت فترة طويلة احترمت خلالها الدولة العثمانية استقلال الكويت وسط تلك المنطقة التى كانت تحكمها مباشرة أو بالواسطة إلى أن استولى الشيخ مبارك على

---

(١) تقرير سرى أعدته وزارة الخارجية الكويتية عن وضع الكويت التاريخى بالنسبة للدولة العثمانية .

الحكم بعد قتله لشقيقيه الشيخ محمد الحاكم والشيخ جراح عام ١٨٩٦م والتجاء أبناء القتيلين ويوسف الابراهيم إلى والى البصره (حمدي باشا) الذى كاتب الشيخ مبارك بشأن هذه القضية فلم تسفر مكاتباته عن حل يتفق عليه طرفا النزاع ورفض حمدى باشا الاعتراف بالشيخ مبارك رغم محاولة الأخير شرائه بمبلغ ١٠,٠٠٠ ليرة تركية(١) .

وقد ارسل حمدى باشا الشيخ عبد الله الابراهيم (شيخ الزبير) إلى الكويت للحصول على شهادة من أهالى الكويت تثبت أن الشيخ مبارك هو الذى قتل أخويه الشيخين محمد وجراح) ليكتب بذلك إلى اسطنبول مبينا لها تمرد الشيخ مبارك ويستأذنها بارسال قوة الكويت لارغام الشيخ مبارك على التخلى عن الحكم(٢) . ونتيجة لهذا الموقف من والى البصرة حمدى باشا ضد الشيخ مبارك بذل الأخير محاولات أخرى حثيثة من أجل تأمين الاعتراف به كشيخ وان ينصب قائمقام على الكويت لذا توجه بنظره إلى صديقه والى بغداد المشير (رجب باشا) الذى دافع عنه مدعيا ان قتل مبارك لأخويه شيء عادى وكثيراً ما يحدث بين الاعراب وانلا صحة لما أشيع عنه، فأخذ الباب العالى بأقواله وأصدر تعليماته إلى حمدى باشا بالاعتراف بالشيخ مبارك الذى قيل أنه قدم هبات لشيخ الاسلام العثمانى والشيخ أبو الهدى ، كما قبل عارف باشا (والى الأحساء) هدية قدرها ٧٠٠٠ ليرة تركية(٣).

وبهذا اعترفت تركيا بالوضع الجديد فى الكويت فرحب الشيخ مبارك بهذه الاجراءات العثمانية واستمر فى رفع العلم العثمانى على امارته وارتضى منصب قائمقام الكويت الذى منحه اياه السلطان عام ١٨٩٧م وذلك فى محاولة من الشيخ مبارك لكسب السلطات العثمانية إلى جانبه لاضفاء صفة

---

(١) Mimorandum respectin Affairs in the Kuwait by J.C. WHyte
عن الوثيقة رقم ٢ من وثائق حكومة الهند – مجموعة م ف ٢ – بتاريخ ٢٢–٣–١٨٩٧م .

(٢) حسن الشيخ خزعل – تاريخ الكويت السياسى ج ٢ ص ١٦ . بيروت ١٩٦٧ .

(٣) الوثيقة رقم ٢ من المجموعة م ف ٢ – من وثائق حكومة الهند الموجودة فى المكتبة العامة .

الشرعية على حكمه(١) ، ولتهدئة الشعور فى امارته ، ولكى يفوت على يوسف الابراهيم الاستفادة من تلك الاوضاع فى القضاء على حكمه واعادة أبناء أخويه إلى الحكم لاسيا وأن يوسف الابراهيم قد قام بعدة حملات على الكويت لاستخلاصها من الشيخ مبارك .

وكان الشيخ مبارك حتى قبل صدور الفرمان السلطانى بالاعتراف به كقائمقام على الكويت يظهر الولاء والطاعة للدولة العثمانية مما جعله يتخوف من زيارة السفينة البريطانية (سفنكس) للكويت فى يوليو ١٨٩٦م لذا رفض السماح بزيارة السفينة وراوغ فى الاجابة على أسئلة قائدها بشأن رفعه للعلم التركى مما أعطى انطباعا لقائد السفينة الكابتن بيكر (Commondor Baker) بأن الكويت بالرغم من انها مستقلة نظريا الا انها واقعة تحت النفوذ التركى ، بل ان لوريمر يذكر انقائد السفينة تشكك من ان يكون هذا النفوذ التركى قد ازداد بشكل خاص منذ تولى الشيخ مبارك الحكم .

وبالرغم من كل هذا الولاء الذى أكده الشيخ مبارك للدولة العثمانية الا أن الأخيرة لم تطمئن الى ولائه . وكان ذلك ناتج عن الطريقة التى وصل بواسطتها الشيخ مبارك للحكم وتشككها فى أن يكون لبريطانيا يد فى ذلك(٢) لا سيما وان المستر (ستافريدس (Stafrides) المستشار القانونى للسفارة البريطانية فى القسطنطينية أظهر فى تقرير وجهه الى حكومته ان الشيخ مبارك اغتصب الحكم بتحريض من المقيم السياسى البريطانى فى الخليج ، إلا أن الأخير أنكر ذلك الاتهام بشدة ونفى ان يكون له أى علاقة بتسلم الشيخ مبارك للحكم(٣) . كما ان المستر هوايت Whyte (مساعد القنصل البريطانى فى بوشهر) ذكر أن دافع الشيخ مبارك الحقيقى لقتل أخويه هو الاستيلاء على السلطة والثروة أما ان يكون القتل بتحريض من المقيم السياسى فيذكر

---

(١) د . مصطفى النجار – التاريخ السياسى لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربى ص ٧٠ – ٧١ – منشورات مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة – ١٩٧٥ .

(٢) F.O. 78/5113, India office to Foreign office, 24 March 1897.

(٣) وثيقة رقم ١٢ – المجموعة م ف ٢ – وثائق حكومة الهند الموجودة فى المكتبة العامة فى المباركية .

هوايت أنه أمر لم يسمع به(١) . ونحن نستبعد أن يكون للمقيم البريطانى يد فى قتل الشيخ مبارك لشقيقيه الشيخين محمد وجراح لاسيا فى ذلك الوقت الذى الذى لم تكن بريطانيا مهتمه فيه بالحصول على نفوذ فى الكويت ولم تسع إلى ذلك الا فى فترة لاحقه .

إلا أن هذه الاتهامات دعت الدولة العثمانية إلى التشكك فى موقف الشيخ مبارك من جهة ومن أهداف بريطانيا فى الكويت من جهة أخرى لذلك فانها لم تظهر للشيخ مبارك ما يطمئنه على اعترافها باستقلاله الذاتى .

وعندما يئس الشيخ مبارك من تأمين جانب الدولة العثمانية والاطمئنان على مركزه فى الكويت اندفع نحو الانكليز بشدة طالباً حمايتهم(٢) .

الدولة العثمانية تحاول الأبقاء على آرتباط الكويت بها :

الا ان الدولة العثمانية عندما رأت اندفاع الشيخ مبارك نحو بريطانيا واستجابة الاخيرة له واستعدادها لوضع نفوذها فى الكويت بموجب اتفاقية تؤكد بها هذا النفوذ وتقوض اى تبعية عثمانية هناك قدرت مدى خطورة هذه الخطوات وعملت جاهدة للتصدى لها . وذلك بمحاولة كسب ود الشيخ مبارك واستعادته إلى جانبها ودفعه للتحول عن الانكليز وعدم اتاحة الفرصة لهم لاستغلال الظروف وتثبيت نفوذهم بالكويت . فكتب الصدر الاعظم إلى السلطان فى ٧ محرم ١٣١٧هـ الموافق ٢٣ نيسان (ابريل) ١٨٨٩م يستأذنه لايفاد نقيب اشراف البصره (رجب النقيب) إلى الشيخ مبارك من أجل اسداء النصح والموعظه اليه كى لايقع فى شرك الاجانب (الانكليز) الذين يسعون لفصل الكويت عن الدولة العثمانية . ويقنعه بالعمل على احباط مبادرتهم فى الكويت التى هى من اعمال البصره (وفقا لادعاء الصدر الاعظم) بناء على منطوق الادارة السنية الملكية (ارادة السلطان) والتبليغات السابقة(٣)

---

(١) وثيقة رقم (٢) من المجموعة م ف ٢ — وثائق حكومة الهند .

(٢) F.O. 78/5113, India office to foreign office 24 th March 1897.

(٣) كتاب من الصدر الأعظم إلى السلطان بتاريخ ٧ محرم ١٣١٧هـ — الموافق ٢٣ نيسان — أبريل ١٨٩٩م — الباب العالى — دائرة الصداره — الأوراق الواردة للديوان الهمايونى — رقم ٧٨ — ص ٥ .

وقد أجاب رئيس كتاب السلطان على الصدر الأعظم نيابة عن السلطان فى ٢١ محرم ١٣١٧ هـ الموافق ٧ مايو ١٨٩٩ م بكتاب أظهر فيه موافقة السلطان على ما جاء بكتاب الصدر الأعظم(١). ثم تدارس المجلس المخصوص(٢) فى جلسته المنعقدة فى ١٤ شعبان ١٣١٧ هـ الموافق ١٨٩٩ م الموضوع وقرر طلب الإذن من السلطان لتبليغ ولاية البصرة بخصوص اختيار نقيب الأشراف لإيفاده إلى الشيخ مبارك ليجتهد بنصحه وإقناعه للميل إلى جانب الدولة العثمانية وقد حظيت الفكرة باستحسان السلطان الذى أيد هذه الفكرة منذ البداية . وتبين مضبطة المجلس المخصوص أن نجل نقيب أشراف البصرة كان موجوداً فى اسطنبول وقد أكد استعداد والده للقيام بهذه المهمة بإخلاص وأنه متأكد من نجاحها . وقرر المجلس المخصوص فى نفس الجلسة اتخاذ التدابير اللازمة بهذا الشأن وتقدير مبلغ مناسب لنقيب الأشراف لمصاريف مهمته (خرج راه) . ورفعت مذكرة من المجلس المخصوص إلى السلطان وقد بينت مضبطة المجلس المخصوص خطورة مبادرات الإنكليز فى الكويت التى ازدادت حرارة وأكدت المضبطة أن إنكلترا تصرف جهدها لإثارة الشيخ مبارك وتحريضه للخروج عن الدولة العثمانية ، لذا فإن المجلس يوصى باتخاذ كافة التدابير لإزالة مفعول التحركات البريطانية وأغراضها . وأنه حفظ الكويت ضد كل تجاوز أجنبى هو فى غاية الأهمية واللزوم نظراً لموقع الكويت مدنياً وعسكرياً البالغ الأهمية . وأن إيفاد نقيب أشراف البصرة إلى الكويت مبنى على الخوف من تحقيق الخطط الأجنبية (لا سمح الله) والتى سيورث تحقيقها أضراراً جسيمة بينما إيراث المقاعد الأجنبية العقم يوجب ويقتضى توحيد كلمة المسلمين المرتبطين بمقام الخلافة بالروابط الدينية . ويوجب فيما يتعلق بالدولة والدين

---

(١) كتاب من رئيس كتاب السلطان (تحسين) إلى الصدر الأعظم بتاريخ ٢١ محرم ١٣١٧هـ — الموافق ٧ مايو ١٨٩٩م واردفه بكتاب آخر يوصى فيه استحسان السلطان بقرارات النقيب وذلك بتاريخ ٢ شعبان ١٣١٧هـ — ٢٣ نوفمبر ١٨٩٩ م .

(٢) المجلس المخصوص مكون من الصدر الأعظم وبعض الوزراء وكبار المسئولين بالدولة ويكونون بمثابة مستشارين للسلطان فى الأمور المهمة .

الاتفاق فى العمل فى صف واحد مع التأكيد على إبراز الآثار الدينية والحمية الإسلامية ، وشدد المجلس على وجوب العمل على ترسيخ هذه المعانى للشيخ مبارك وأنه إذاسعى فى تقديم الخدمات المبرورة المشكورة وعمل بالطوع ضمن إطار النجاة والسلامة ، ونال السعادة المادية والمعنوية وأنه (الشيخ مبارك) ، بصفته موظف على رأس قسم إدارى يجب عليه مراعاة أهداف الدولة وتحقيق ما ترضاه وذلك إلى جانب حماية حقوق الأهالى وتأمين وسائل راحتهم فهم وديعة البارى عند مقام الخلافة (حسب تعبير المضبطة) وأن الحمية الإسلامية تقضى عليه اظهار ذلك والعمل لما فيه نفع وفائدة الدولة بالحيلولة دون الأهداف الخارجية والمقاصد الأجنبية وأن كل خطوة له فى هذا الاتجاه ستعود عليه باللطف والخير من الدولة ، والرضا من البارى والسلطان . وأوضح المجلس المخصوص أن على الرسول أن يذكر الشيخ بكافة هذه الأمور بلسان مناسب وكلام موثر وأن يبين له أن هذا سيعود عليه بالمكافآت والذكر الحميد ، وأن على الرسول أن يعمل ما فى وسعه من أجل استمالة الشيخ مبارك وجلب قلبه لتقوية أواصر ارتباطه بالسلطنه وطاعته لها ، وأن يأخذ عرضاً « كتاباً » من يده يفيد كل المعانى السابقة فإذا استجاب الشيخ لدعوته وعمل بموجبها فليمنحه وسام(1) .

أجاب رئيس كتاب السلطان على مذكرة المجلس المخصوص بمذكرة باسم السلطان يبين فيها استحسان السلطان لكافة الإجراءات المقترحة لإيفاد نقيب البصرة إلى الشيخ مبارك من أجل إحباط مؤامرات الانكليز فى الكويت وإزالة مفعولها ويبين رئيس الكتاب أن السلطان يؤكد على وجوب التركيز على إثارة الحمية الدينية لدى الشيخ للتأثير عليه(2) .

---

(١) صورة مضبطة جلسة المجلس المخصوص المنعقدة فى ١٤ شعبان ١٣١٧هـ - فبراير ١٨٩٩ - ص ٤ (ملحق رقم ٢) .

(٢) كتاب من رئيس كتاب السلطان بتاريخ ٧ رمضان ١٣١٧هـ - ديسمبر ١٨٩٩م رقم ٧٢١٦ يوافق فيه على ماجاء فى مضبطة المجلس المخصوص المنعقد فى ١٤ شعبان ١٣١٧هـ - فبراير ١٨٩٩م .

وقد نفذت هذه المقترحات كما جاء فى برقية من والى البصرة إلى نظارة الداخلية بين فيها انه اوفد رجب النقيب إلى الشيخ مبارك وان الاول قد عاد إلى البصرة وافاد بأنه انجز المهمه وفقاً لمنطوق الارادة السنيه الصادرة عن الخليفه واخذ العرض حال من الشيخ مبارك وان النقيب تقدم باسترحام لمنح الشيخ رتبة ميرميران (امير امراء) مع منحه وسام يتناسب مع وضعه ، واعادة اعطاء التمور التى منعت وقطعت عنه وقدرها ٢٨٠ « طونيلاتو »(١) ، لأن لذلك فائدة عظيمة لكسب صداقته ماديا ومعنويا(٢) .

وقد ارفق ناظر الداخلية مذكرة والى البصرة بكتاب منه الى الصدر الأعظم(٣) الذى كتب إلى نظارة الماليه . فأجابه ناظر الماليه بكتاب بين فيه انه كان يؤدى إلى قائم مقام الكويت المتوفى الشيخ محمد الصباح ١٠٨ « طونيلاتو » من التمور من حاصل سنجق البصرة بشرط احتفاظ الدولة بكامل حقوقها فى الكويت مع تأسيس ادارة حسنة فيها واستتباب وسائل الامن والاستقرار . واتضح ان قيد هذه المنحه قد شطب نتيجة وفاة الشيخ محمد(٤) وبينما بين والى البصره نقلا عن نقيب الاشراف ان الشيخ مبارك يسترحم اعادة مبلغ ٢٨٠ طونيلاتو من التمور التى كانت تمنح لاسلافه وقطعت عنه اوضح ناظر المالية ان الذى كان يجرى لشيوخ الكويت وآخرهم الشيخ محمد الذى قطعت بوفاته هو ١٠٨ وبعد البحث تبين ان الخطأ فى الرقم ناجم عن ادارة البرق كما جاء فى كتاب من والى البصرة ، الذى اقترح ان لايكون مايخصص للشيخ مبارك اقل من اسلافه واشار إلى

---

(١) ٢٨٠ طونيلاتو يساوى مايعادل ٣٠٠ — ٥٠٠ ليره عثمانيه ومن ناحية الوزن فانه يساوى ألف كغم .

(٢) برقية من والى البصرة إلى نظارة الداخلية دائرة الأمور الداخلية — الباب العالى . مكتب المكتوبى بتاريخ ١٢ شوال ١٣١٧هـ — ٣١ يناير ١٩٠٠م .

(٣) كتاب من ناظر الداخلية إلى الصدر الأعظم — الباب العالى — دائرة الأمور الداخلية — مكتب مكتوبى رقم ٤٨١٨ ص م فى ١٥ شوال ١٣١٧هـ الموافق ٣ فبراير ١٩٠٠م .

(٤) كتاب من ناظر المالية إلى الصدر الأعظم — نظارة الأمور المالية — المحاسبة العمومية — عدد ٢٤٠ ص ٥ م ٤ فى ٨ ذى الحجه ١٣١٧هـ الموافق ٢٦ مارس ١٩٠٠ م

ان الأخير يطلب تخصيص ٥٠ « طونيلاتو » من التمور على ان يدفع الباقى نقداً(١) . وقد قرر المجلس المخصوص اعادة مخصصات الشيخ مبارك(٢) . وذلك فى نطاق محاولات الدولة العثمانية الرامية إلى كسب وده وصرفه عن مبايعة الانكليز ودفعه للعمل على عدم تمكين الانكليز من وضع اقدامهم فى الكويت .

وكان الشيخ مبارك من الدهاء بحيث تمكن من اختيار مواضع قدميه بدقه والمسير بالاتجاه الذى تتأكد فيه مصالحه وترسيخ حكمه فأخذ يراوغ الدولة العثمانية بحنكه وذكاء ففى الوقت الذى كان قد وقع فيه اتفاقية الحماية مع الحكومة البريطانية فى ٢٣ يناير ١٨٩٩م التى ضمن من خلالها دعم بريطانيا له فى مواجهة أى محاولة من الدولة العثمانية لازاحته عن الحكم ، فانه اظهر استجابة كبيرة لدعوة الدولة العثمانية الرامية إلى احتوائه وكسب وده وتأكيد ارتباطه بها من ناحية ،وصرفه عن الانكليز وتحويله عن الاستجابه لخططهم ومساعيهم لتأكيد نفوذهم فى الكويت من ناحية أخرى . فكتب العرض حال المؤكد لولائه للدولة العثمانية وخضوعه لخليفة المسلمين وراسى العقيدة الاسلامية ، واسترحمها باستعادة ماكان جارى لاسلافه من تمور ، والتى كانت مشروطه بحفظ حقوق الدولة العثمانية فى بلادهم . بل ان الشيخ مبارك ذهب إلى أكثر مما تطلبه الدولة العثمانية لتأكيد ولائه لها والحرص على كسب رضاء السلطان عنه فقام ببناء مسجد فى الكويت على نفقته الخاصة بلغت تكلفته (٣٦٠٠) ثلاثة آلف وستمائة ليره عثمانية واستأذن السلطان

---

(١) كتاب من والى البصره (محسن باشا) – الباب العالى – دائرة الصدارة العظمى – مكتب المكتوبين ص ٥ م ٥ بتاريخ ٥ نيسان – أبريل ١٩٠٠ .

(٢) كتاب مرفوع من المجلس المخصوص إلى السلطان – الباب العالى – المجلس المخصوص رقم ٧٨ ص ٥ م ١ فى ٧ محرم ١٣١٨ هـ – ٢٣ نيسان – أبريل ١٩٠٠ موقع من قبل ناظر الخارجية أحمد توفيق رئيس شورى الدولة ، ناظر البحرية ، قائد القوات المسلحة ، وزير العدل ، شيخ الاسلام ، وزير المالية ، مستشار الصدارة ناظر التجارة والناقص ، ناظر المعارف الصدر الأعظم (يأتى توقيعه فى الوسط) ناظر الأوقاف ، مشير الطوبخانه ، وزير الداخلية .

فى ان يسميه باسمه فحازت هذه المبادرة على رضاء السلطان وموافقته(١). هذا فى حين كان مستجيباً تماما لمشاريع بريطانيا الرامية للسيطرة على كافة المصالح فى الكويت والدائبه فى العمل على تأكيد نفوذها هناك فكان يوقع معها الاتفاقية تلو الاخرى لاحتكار المصالح الحيوية فى الكويت والسيطرة عليها . والتى تقيد الشيخ بوجوب الرجوع اليها واستأذانها فى كل تصرف له بشئون بلاده واتصالاته بالاطراف الخارجيه ، بحيث لاتسمح لاى طرف اجنبى بمشاركتها النفوذ والمصالح فى الكويت حتى لو كان هذا الطرف الدولة العثمانية التى سبقتها إلى الاهتمام بالكويت وضمها اليها بنوع من السيادة الاسميه بينما كانت بريطانيا تعترف للدولة العثمانية فى وقت سابق بالسيادة على الكويت .

محاولات الدولة العثمانية تأكيد نفوذها فى الكويت :

حتى ان الشيخ مبارك راح يتصدى بقوة لمحاولات الدولة العثمانية الرامية لتأكيد وتثبيت نفوذها وسيطرتها فى الكويت بايجاد ادله عينيه لذلك النفوذ . وكانت الدولة العثمانية تستجيب بهذا الخصوص لنصائح وتشجيع المانيا وروسيا وفرنسا من الدول ذات المصالح فى الكويت . بينما كان الشيخ يعتمد فى مواجهته لمحاولات الدولة العثمانية على مساندة بريطانيا ودعمها . ومن ذلك أن الشيخ مبارك رفض قبول الموظفين العثمانيين الذين ارادت الدولة العثمانية ارسالهم إلى الكويت فكان لا بد ان تتحول الدولة العثمانية عن أسلوب الملاينة والملاطفة الذى عاملت به الشيخ مبارك فى نطاق محاولاتها لكسبه إلى جانبها وتحويله عن الاتجاه لبريطانيا . فبدأت الدولة العثمانية تعامل الشيخ مبارك بشدة وعنف فى محاولة لردعه والضغط عليه لقبول اجراءاتها الجديدة فى الكويت فعزمت على ارسال قوة من العساكر اليه لارغامه على الرضوخ لأوامرها وقبول الموظفين المزمع ارسالهم ، فاحتج السفير البريطانى

---

(١) كتاب من رئيس كتاب السلطان – قصر يلدز الهمايونى – مكتب رئيس الكتاب – رقم ٤٤٦٦ ص ٦ فى ٦ جمادى الآخره ١٣١٨هـ – ١٨ سبتمبر ١٩٠٠ .

فى أسطنبول على ارسال العساكر إلى الكويت على هذا النحو بسبب العلاقات التجارية القائمة بين انكلترا والكويت . ولكن ناظر الخارجية العثمانى رد عليه « بأن خط نجد هى بلا منازع جزء من الممالك الشاهانة وان الكويت جزء منها وأن لا يحق لاحد شيئاً يقوله بشأن ذلك » فأجاب السفير قائلا « أن حكومته لا تنوى قطعيا ان تتجاوز على الكويت وهو لايريد إلا أن تبقى على ما هى عليه فى الحاضر ، لانها مطمع أنظار دول أجنبية أخرى ولكن حكومته لن تسفر بوجه الرضى لسوق العساكر اليها »(١) فرد عليه ناظر (وزير) الخارجية التركية « أن من حق السلطنة السنية الصريح أن تعلن أن عدم أحقية دولة أجنبية فى أن تتدخل أو تعترض على ما تريد (الدولة) أن تتخذ من تدابير تضعها موضع التطبيق لتأمين حقوقها ومنافعها فى مكان يعد من ملكها »(٢) .

واستغلت الدولة العثمانية حرص بريطانيا على سرية معاهدة الحماية التى عقدتها مع الشيخ مبارك فراحت تحاول اخراجها بكل الوسائل الممكنة عن طريق ايجاد فرض الأدلة التى تثبت سيادتها على الكويت . وتمارس بهذا الصدد ضغوطاً كبيرة على الشيخ بمساندة ودفع صديقتها الحميمة المانيا وبقية الدول صاحبة المشاريع فى الكويت ولا تجد بريطانيا لمواجهة ذلك الا الدخول فى مفاوضات مع الدولة العثمانية تحتج خلالها على الاجراءات العثمانية بحجة العلاقات الطيبة التى تربطها بالشيخ أو المصالح التجارية فى الكويت بينما ترد عليها الدولة العثمانية باحقيتها فى فرض ما تراه فى الكويت لانها تابعة لها وجزء من أملاكها وينتهى الأمر فى كل مره عند الاتفاق على الوضع القائم ، وحتى هذه العبارة مفهومها مختلف عند الدولتين فبينما ترى فيه الدولة أنه احتفاظ بالوضع الذى تخضع فيه الكويت لها ؛ ترى فيه بريطانيا

---

(١) مذكرة تحسين باشا رئيس كتاب السلطان – قصر يلدز الهمايونى – دائرة رئيس الكتاب رقم ٤١٦٦ ، ص ٢ فى ٦ جمادى الأولى ١٣١٧هـ المصادف ٣١ أغسطس (أب) ١٨٩٩ .

(٢) نفس المذكرة اعـلاه .

أنه احتفاظ بوضع الكويت المستقل عن الدولة العثمانية ، والذى تأكدت منه تماما قبل الاقدام على توقيع اتفاقية الحماية مع الكويت فى ٢٣ يناير ١٨٩٩ .

وفى نطاق محاولات الدولة . العثمانية لمضايقة الشيخ مبارك راحت تستعمل أبناء أخويه تارة وابن الرشيد تارة أخرى فى محاولة للتخلص من الشيخ وتأكيد نفوذها فى الكويت ، لذا ساعدت الأخير ماديا وعسكريا مما أدى لتوقع حملة مشتركة من الاتراك وابن الرشيد على الكويت(١) .

ولمواجهة تقدم قوات أمير نجد استعدت البحرية البريطانية لحشد مجموعة من السفن الحربية فى الكويت يبلغ طاقمها حوالى ستمائة وخمسين ضابطا وجنديا الا أن الاميرال بوسانكوبت ذكر ان قنابل مدفعية السفن ستكون قليلة الفائد لوقف زحف القوات البرية لاسيما أن قوات الامير أكثر من عشرة آلاف عدا القوة الاحتياطية(٢) .

لذلك قابل السير اوكنور ناظر الخارجية التركى الذى اكد له ان قوة الامير الموجودة فى السماوه مبالغ فيها ولكن السلطان امر باعداد قوة كبيرة لضد اى محاولة لتقدم أمير نجد نحو الكويت ، وكرر الضمانات التى سبق وقدمها بان السلطان قد اصدر أوامره للامير بعدم القيام باعمال عدائية ضد الكويت(٣) .

وبهذا نرى ان الحكومة البريطانية حرصت على استقلال الكويت وحمايتها من التدخل الاجنبى وذلك بالوسائل الدبلوماسيه بالتفاوض مع الحكومات التركيه والالمانيه والدول الأوربيه صاحبة المصالح وبالوسائل الحربيه بارسال سفنها الحربية عند ظهور خطر من هجوم خارجى ولا شك

---

(١) عبد العزيز الرشيد – تاريخ الكويت ، بيروت ١٩٧١ – ص ١٨٤ .

(٢) اعتقد أن هذا الرقم لعدد قوات الامير مبالغ فيه

F.O. 78/5174 India office to Foreign office, 26 Sept. 1901

(٣) F.O. 78/5174 From Sir O'Conor to Lord Lansdoun No. 365. 8 oct. 1901.

ان ذلك يعود إلى رغبتها فى المحافظة على ما حصلت عليه فى اتفاقيه الحماية سنة ١٨٩٩م من عدم تصرف الشيخ فى ارضه الا باذنها وجعلها منطقة نفوذ تابعة لها وذلك بابعاد النفوذ الاجنبي عنها وما تبع ذلك مثل حق تفتيش السفن وحظر تجارة الاسلحه . أما الشيخ فقد كان مدركا كبقية الشيوخ الذين عقدت معهم بريطانيا هذه الاتفاقيات ان من الصعب عليهم البقاء فى الحكم دون حماية بريطانيا صاحبة النفوذ فى المنطقة(١)ولم يتخلى الاتراك فى المقابل عن مضايقه مبارك فارادوا تقليص نفوذه فى المنطقة الشمالية للكويت بعد ان فكرت المانيا فى جعل خور عبد الله نهايه لخط حديد بغداد(٢) فبعثت تركيا حاميات عسكرية للاقامة فى ام قصر وبوبيان وصفوان وذلك فى بداية عام ١٩٠٢م كما أنشأ العثمانيون محطات للبريد فى بوبيان وام قصر ، ولاشك ان المانيا كانت وراء هذه التحركات(٣) فارسلت الحكومة البريطانية السفينة (سفنكس) لاختبار صحه هذه المعلومات — وقد أكد قائدها وجود حاميات تركيه ، ولكن هذه الحاميات لم يستمر وجودها اكثر من اسبوعين(٤) . وفى مارس من نفس العام زيدت حاميات البصرة فى محاولة لاحتلال الصبيحيه ومنطقة مجاورة لرأس خور الصبيه(٥) بحجة تبعيتها لها ودخولها فى حدود العراق فاحتج الشيخ ذاكراً ان ام قصر مركز سكنى فى نهاية خور الصبيه نسبه إلى وجود قصر فيها بناه ابن رزق ايام الشيخ جابر صباح وهو من رجـال الكويت المشهورين أما بوبيان فقد نصب الكويتيون فيه مواقع لصيد السمك منذ أمد بعيد . ولم تصغ الحكومة العثمانية إلى احتجاجه مما دعاه إلى رفع الامر للحكومة البريطانية(٦) وكانت هذه اول اشارة يرد

(١) Hay, The Persian Gulf State P. 15, 59, Chirol, The Problem of Asia P. 233.

(٢) Chirol, The Problem of Asia. P. 233.

(٣) Frazer, India under Curzen and after, P. 102 (London, 1956)

(٤) Frazer, India under Curzen and after, p. 102.

(٥) F.O.78/5251 Memorandum (Turkey Affairs of Kuwait, Dated 23 Jun 1902.

(٦) عبد العزيز للرشيد ، المصدر السابق الطبعة الاولى ص ٧٩ .

فيها موضوع الحدود بين الكويت والبصرة وبهذا يتحول الصراع العثمانى فى الكويت إلى تحديد الوضعية الدولية لذلك الكيان بحدود معينه بعد ان كان الصراع ينصب على وضع شيخ الكويت .

والعجيب أن بريطانيا رأت فى احتلال تركيا لتلك المناطق خرقا لسياسة الابقاء على الوضع الراهن التى تبرر مطالبتها لتركيا بانهاء هذا الاحتلال ، ولم تعمل سوى انها ابلغت الباب العالى بانها ترجو الا يكون فى احتلال هذه الاماكن ما ينقص من حقوق شيخ الكويت . بل انها تمادت فى خذلانها للشيخ مبارك حين ابلغت حكومة الهند اعترافها بان الكويت جزء من الارض العثمانية . وصرح لانسدون بان مصالح بريطانيا فى الكويت لاتتعدى خليج الكويت بما فى ذلك ميناء الكويت اى انه ليس لبريطانيا اى مطامع فى المناطق الداخلية وان بلاده على استعداد للتفاوض مع الاتراك لتحديد مناطق النفوذ البريطانى بالنسبة لخليج الكويت فقط(١) ، ومع ذلك لم ترض تصريحات اللورد لانسدون تركيا وصرح توفيق باشا للسير اوكنور بان هدف بريطانيا هو الحصول على الكويت التى هى جزء من ممتلكات السلطان وذلك لاستعمالها كقاعدة فى حالة قيام حرب مع روسيا التى كانت ترغب فى مد خط حديدى من بحر قزوين إلى جنوب ايران وربما إلى بندر عباس وفى الوقت الذى صعب على بريطانيا فيه مقاومة التقدم الروسى فى ايران اخذت تركز على الكويت(٢) .

ونتيجة لموقف الحكومة البريطانية السلبي من مبارك اثناء ازمته تعرضت السياسة البريطانية فى المنطقة إلى نقد شديد حتى من مواطنيها وصحفها . كما أن موقفها فت فى عضد الشيخ وجعله يتجه للاتراك لكسب تأييد كبار موظفيهم وفى مقدمتهم نورى باشا والى البصرة ، ويذكر للسلطات العثمانية

---

(١) F.o. 78/5125 Memorandum by the Marquis of Lansdowne, Kuwait condifential, 20 March 1902.

(٢) F.O. 78/5251 From Sir O'Conor to Lord Lansdowne, No. 84. 29 Feb 1902.

أنه انما اتجه إلى بريطانيا بعد ان رفض الاتراك مساعدته(١) . واخيراً عدلت بريطانيا موقفها فاعاد اوكنور على توفيق باشا الاتفاق السابق بين الحكومتين لاجل المحافظة على الوضع القائم ذاكراً ان بلاده اجتهدت فى المحافظه عليه بينما عملت السلطات التركية على ازعاج مبارك . واوضح اوكنور ان لبلاده مصالح سياسية واقتصادية فى الخليج العربى ولذلك فعليها تقع تبعة المحافظه على هذه المصالح(٢) .

أعلان الحماية البريطانية رسمياً وموقف تركيا والمانيا من ذلك :

رأى كيرزون (Lord Curzon) نائب الملك فى الهند ان المناقشات الدبلوماسية لم تعد مجديه ومن ثم ينبغى الدفاع عن الكويت بصورة صريحة(٣). وايده المسئولون البريطانيون فتقرر ايفاده إلى الكويت لاعلان الحماية بصورة علنيه مما رفع معنويات الشيخ وجعله يخطط لتحرير العرب من الاتراك بمساعدة الانكليز وكتب بذلك إلى الامام عبد الرحمن الفيصل ليساعده ومن ثم يقسم معه المناطق المحرره(٤) وفى هذا الوقت تعرض الشيخ لمضايقات من تركيا فقد حرضت ابناء اخوته للقيام بأخطر حملة عام ١٩٠٢ قادها الشيخ عذبى محمد الصبــاح والشيخ حمود جراح الصباح الا أن القائد ارمسترونج تمكن بالبارجه (Lapwing) من اللحاق بسفنهم وتدميرها(٥) ،

---

(١) — F.O. 78/5251 From Mr. Wratislaw to Sir O.'Conor No. 31, March 1902.

(٢) — F.O. 78/5251 From Sir Nicoholas O.'Conor No. 144-28 March 1902.

(٣) — From Lord Curzon to Lord George Hamilton, May 1900, Correspondence of lord Curzon with lord Hamilton Part II. Vol. XX, 51018 (india office Library)

(٤) رسالة من الشيخ مبارك إلى الامام عبد الرحمن الفيصل — جريدة اللواء فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٠٣م .

(٥) د . سيد نوفل ، المصدر السابق ص ١٦٨ .

كما اوعزت الدولة العثمانية إلى شيخ الزبير بمصادرة اغنامه(١) . وأرادت اقتطاع جزء كبير من املاك الاسرة المتنازع عليها لصالح ابناء اخوته واصدرت محكمة البصرة حكما غيابيا يقضى بعودة مقاطعة الزين لابناء اخوته، فاتصل مبارك مباشرة مع السلطان بعد ان اذنت بريطانيا بذلك(٢).

. سنعت الحكومة البريطانية إلى حل جميع مشاكل الشيخ ، فبعد زيارة كيرزون للكويت فى نوفمبر ١٩٠٣ وإعلانه الحماية عليها وتقليده للشيخ وشاح الهند ومنحه لقب سير (٣) . وكان لانسدون قد صرح فى بداية عام ١٩٠٣ فى مجلس العموم بأن شيخ الكويت خاضع للحماية البريطانية مع بريطانيا باتفاقية خاصة (٤) وكان هذا أول إعلان رسمى بالحماية البريطانية وأوصت الحكومة البريطانية بضرورة اسحاب الأتراك من الأماكن التى سبق ووضعوا فيها جاجياتهم وأن تحل قوات الشيخ محلها . كما وعدت الشيخ بالمساعدة فى إنشاء مركز عسكرى فى جزيرة بوبيان لموازنة الحاميات العثمانية فى أم قصر ولكن الشيخ خشى مغبة ذلك واكتفى بأن تتردد السفن البريطانية على ميناء الكويت وخور عبد الله من آن إلى آخر (٥) . وفى يناير ١٩٠٤ تقدم الكولونيل كامبل بطلب ضمان قرض لمبارك ليمكنه من إنهاء الخلافات المالية بينه وبين أبناء أخوته والتى نشأت من تقسيم عقارات الأسرة فوافقت الحكومة البريطانية على ذلك موضحة أن موافقتها هذه نتيجة للعلاقات الطيبة التى تربطها بالشيخ وحرصها على إنهاء الخلافات الأسرية بينه وبين أبناء أخوته(٦) .

---

(١) F.O. 78/5252 Kuwait Condidential No. 1 No. V, 1902, Jnclosure No. 2 pp. 9—10

(٢) د . مصطفى عبد القادر النجار ، التاريخ السياسى لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربى ص ٨٣ . منشورات مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة — ١٩٧٥ .

(٣) Craves, The Life of Sir Percy Cox : P. 247. London 1951.

(٤) د . جمال زكريا قاسم ،المصدر السابق ص ٢٨٤ .

(٥) Memorandum of Information received during May 1905 (India off Pol. & Ex. files. vol. 35 Of 1904 file 1855-Paris.
نقلا عن د . جمال زكريا، المصدر السابق .

(٦) From Secretary a Govement of India to secretary of the Government of India tosecretary of theGovernemtn of Brirtish sept. 1904 F.O. 78/8952

وفى يونيه ١٩٠٤ إتعين نوكس (Knox) كأول وكيل سياسى بريطانى فى الكويت (Political Agent) ووصل فى أغسطس يحمل تعليمات بأن الهدف الأول من وجوده هو العمل على إقامة علاقات ودية وتدعيمها مع الكويت وعليه أيضاً تأمين حماية التجارة البريطانية والمشتغلين بالاتجار عبر الطريق الممتدة إلى الجزيرة العربية وعلية أيضاً مراقبة تحركات الأتراك على حدود الكويت ومراقبة نواياهم هم وبقية الدول الأجنبية لتغيير الوضع الراهن، وفيما يتعلق بالمرافق الطبيعية داخل الكويت وما جاورها(١) . واعترضت تركيا على تعيين نوكس ووصفته بأنه خرق صريح للتفاهم القائم على أساس الحفاظ على الوضع الراهن فاضطرت الحكومة البريطانية إلى سحبه موقتاً بهدف الوصول إلى نتائج طيبة فى المفاوضات التى كانت قائمة بينها وبين الدولة العثمانية بخصوص الحدود بين اليمن وعدن ولكن الحكومة البريطانية أعادت وكيلها إلى الكويت فى أكتوبر عام ١٩٠٥(٢) . واحتجت المانيا على إعلان الحماية البريطانية على الكويت فكتب البارون (Baron Richthofen) نائب وزير الخارجية مذكرة ذكر فيها أنه ليس من مصلحتنا حلول أية دولة أجنبية فى الكويت سواء كانت انكلترا أو روسيا(٣) . وأعلنت الحكومة الألمانية أنها لا تعترف بمطالب انكلترا فى الكريت .

والحقيقة أن ضغوط الدولة العثمانية على الشيخ مبارك من ناحية وعلى بريطانيا من ناحية أخرى استمرت بإصرار كبير فى محاولة لتثبيت نفوذها وسيادتها فى الكويت ورفض أى نفوذ أو سلطة للحكومة البريطانية هناك . إلا أننا لا نريد أن نخوض فى تفاصيل هذه المحاولات المستميتة من الدولة العثمانية لأنها ستدخلنا فى نطاق العمليات الانتقامية من الأخيرة ضد الشيخ فتخرجنا عن موضوع دراستنا ويكفى أن نذكر أنها لم تحصل منها على أى نتيجة. تذكر وباءت كافة محاولاتها بالفشل ذلك أن اتفاقية الحماية البريطانية مع الكويت

---

(١) لوريمر، المصدر السابق ص ١٥٥٥ — ١٥٥٧ .

(٢) Craves, op. cit. P. 102.

(٣) Lutsky, Modern History of the Arab Countries P. 359.

كرست النفوذ والسيطرة البريطانية بحيث لم تترك أى شكل من أشكال السيادة والنفوذ للدولة العثمانية هناك .

وقد ساعد المناخ السياسى الذى ساد فى المنطقة بعد عام ١٩١١ م الشيخ مبارك على المضى فى محاولاته للاستقلال عن الدولة العثمانية وذلك لأن المباحثات كانت تجرى فى الخفاء بين بريطانيا والدولة العثمانية لتحديد مناطق النفوذ فى الخليج العربى (١) . فانتهز الفرصة واشترك فى عدة مؤتمرات تطالب بالاصلاح وتحقيق اللامركزية فى الحكم فبعد اشتراكه فى مؤتمر المحمرة اشترك فى مؤتمر القيليه (فى المحمرة أيضاً) فى مارس ١٩١١ م(٢) ، ومؤتمر جزيرة العرب فى ١٩ نوفمبر ١٩١٣ فى الاحساء(٣) .

وفى ذلك الوقت اتضح للدولة العثمانية بأنها لا تستطيع مواصلة سياستها ضد بريطانيا فى منطقة الخليج وذلك بسبب متاعبها فى إيطاليا وليبيا ، ومشاكلها فى البلقان لهذا حبذت تسوية المشاكل مع بريطانيا بالطرق السلمية أملا فى الحصول على تأييد بريطانيا أزاء ما تصادفه من مشاكل(٤) . ولذلك فهى مستعدة للتنازل لبريطانيا عن بعض الامتيازات كما كانت تعلق أملا على إمكانية حل الأوضاع لصالحها فى حالة توصل كل من انكلترا وألمانيا إلى اتفاق خاص بسكة حديد برلين — بغداد .

واتجهت الدولة العثمانية لتسوية خلافاتها مع الدول الأوربية صاحبة العلاقة ومن ذلك دخولها مع بريطانيا التى انتهت بالاتفاق على الاتفاقية الانكليزية التركية لعام ١٩١٣ م .

---

(١) رسالة الباحثة للدكتوراه (العلاقات البريطانية الكويتية فى الفترة بين ١٩٢٢ — ١٩٦١ غير منشورة ص ٢٧) .

(٢) Longregg–IraQ 19 0-1950 (P. 45).

(٣) جريدة الأصلاح — بيروت — عدد ١٩٨ (مقال بعنوان مؤتمر جزيرة العرب) ١٩ تشرين الثانى نوفمبر ١٩١٣م .

(٤) Craves, OP. Cit. P. 136.

الاتفاقية الانكليزية التركية لعام ١٩١٣ :

استمرت المفاوضات بين الطرفين أكثر من عامين فى لندن ، وتناولت العديد من موضوعات الخلاف بين الحكومتين ، بشأن مناطق النفوذ فى الخليج العربى ، ومسألة الرسوم الجمركية وخط حديد برلين — بغداد ، ومسألة شط العرب ، وغيرها من المسائل المتشابكة ، وفيما يخص الكويت كانت وجهات النظر تتعارض فيما يخص السيادة عليها إسمية أو فعلية . كما طلبت الدولة العثمانية تنظيم ولاية الحكم فى أسرة الصباح إلا أن الحكومة البريطانية اعترضت على ذلك لأن من شأنه تدخل الدولة العثمانية فى شئون الكويت(١) . وطلب كوكس من حكومة الهند ضرورة السعى لضم أم قصر وصفوان للكويت ، وأخيراً وقعت الاتفاقية من قبل ابراهيم حقى باشا (السفير التركى فى لندن) عن الدولة العثمانية (والسير ادوار جرى — وزير الخارجية ((Edward Grey) عن الحكومة البريطانية فى ٢٩ يوليو ١٩١٣ وتناولت خمسة أقسام(٢)، الأول خاص بالكويت ، والثانى خاص بالبحرين ، والثالث خاص بقطر ، والرابع خاص بوضع بريطانيا فى الخليج ، والخامس خاص بتأليف لجنة تحديد الحدود .

القسم الخاص بالكويت :

تناول أوضاع الإمارة وحدودها ، وتألف من عشر مواد نصت الأولى على اعتبار الكويت قضاء عثمانياً ، مستقلا عن الدولة العثمانية(٣) استقلالا

---

(١) Bagdad Railway and Persian Gulf, The negotiation with Haji Pasha–Report by Nallet & Hirtzel, 3.5. 1913, Cooch & Temperly, British Document on origin of the war 1898–1914. IIvols in 13 P. 114.

(٢) Convention between the United Kingdom and Turkey, Respecting the Persian Gulf and adjacent terrirtories. P. 2–6.

(٣) F.O. – Handbook No. 67, The Persian Gulf, P. 90

ذاتيا . ونصت الثانية على أن يرفع الشيخ العلم العثمانى ، بعد إضافة كلمة الكويت على أحد جانبيه . إذا أراد الشيخ ذلك . وللشيخ أن يمارس إدارة مستقلة فى إمارته ، تحت السيادة العثمانية(١) على أن لاتتدخل فى الشئون الداخلية للامارة ومنها مسألة الوراثة وأن تمتنع عن القيام بأى احتلال عسكرى للأراضى الكويتية ، وتكتفى بإصدار فرمان ينص على من يخلف الشيخ ولكنها لا تتدخل فى اختياره ، ولا يحق لها تبديله ، ويجوز للباب العالى أن يفوض لدى الشيخ مبعوثاً لرعاية مصالح رعاياه ، كما يجوز للشيخ أن يعين مبعوثين فى مقاطعات الدولة لرعاية مصالح رعاياه ، وتعهد الباب العالى بعدم تجنيد رعايا الكويت النازلين فى العراق ، وأن لا يأخذ من صياديها رسوماً ، واعترفت الدولة العثمانية فى المادة الثالثة بحيوية جميع الاتفاقيات والمعاهدات التى عقدتها بريطانيا مع الشيخ وتعهدت بأن لا تعقد مع الشيخ اتفاقيات مناقضة للاتفاقيات الموقعة(٢) ، وتعهدت تركيا بعدم التنازل لأية دولة عن أية مقاطعة فى الخليج ، وألا تمس المصالح البريطانية . وأن ينحصر اهتمامها بأن لا تكون الكويت مستودعاً لتوزيع الأسلحة التى تستخدمها القبائل العربية للانفصال عن السلطان ، واعترفت بما استحوذته الحكومة البريطانية أو رعاياها من أراضى بموجب تنازل شيخ الكويت ، أما الحكومة البريطانية فقد تعهدت فى المادة الرابعة بعدم تغيير علاقاتها مع الكويت . بشرط ألا يحدث تغيير من الحكومة العثمانية فى الوضع القائم ، وللمادتين الخامسة والسابعة أهمية خاصة ، إذ أنهما تحددان الكويت (كما ورد فى الفصل الخاص بالحدود) ، وحصرت سلطة الشيخ الفعلية داخل هذه الحدود كما أعطت المادة السادسة لشيخ الكويت السيادة على القبائل الداخلة ضمن دائرة أخرى ملاصقة لنصف الدائرة المشار إليها فى المادة السابعة ، وله حق الحصول على العشور وممارسة الحقوق الإدارية فيها ، وتناولت المادة الثامنة موضوع سكة حديد بغداد ، فنصت على أنه فى

---

(١) Hurwitz, Diplomacy in the far and Middle East. Vol. 1 – pp. 269–273.

(٢) — Grey to Tawfik Pasha, 24th Oct. 1911– Cooch & Temperly, Op. cit. vol X Part 11, P. 195–196.

حالة مد خط حديد بغداد إلى الخليج وتكون نهايته الكويت أو أى مكان ضمن الحدود المستقلة للإمارة ، تتفق الحكومتان على ما يتخذ من اجراء لحماية الخط المنشأ (١) وسمحت بإنشاء دائرة للجمارك ومؤسسات تجارية لها علاقة بوجود ذلك الخط — وفى ذات الوقت جرت مباحثات موازية بين بريطانيا وألمانيا حول خط حديد برلين — بغداد وانتهت بعقد اتفاق آخر بينهما (٢) وأكدت المادة التاسعة حقوق شيخ الكويت فى أملاكه فى البصرة وأعطته حق التصرف بها ضمن القانون العثمانى وتناولت المادة العاشرة موضوع تسليم المجرمين .

وفي النهاية لا بد أن نؤكد من خلال دراستنا أنه لم يكن للدولة العثمانية على صعيد الواقع فى الكويت سوى الشكليات ولم تتمكن خلال علاقتها الطويلة بالأخيرة من ممارسة أى نفوذ أو سيطرة فعلية ، وحتى اندفاعها لوضع أدلة عينية لسيادتها فى الكويت والذى لم تنجح فى تحقيقه لم يظهر بوضوح إلا بعد توقيع معاهدة الحماية البريطانية الكويتية ،فى ٢٣ يناير ١٨٩٩ م فسعت بجدية لإثبات تبعية الكويت لها وتأكيد نفوذها فى مواجهة ما استجد من نفوذ بريطانى وهى من خلال تلك المساعى أثبتت دون قصد منها استقلال الكويت عنها فحين حاولت اقتطاع حدود الكويت بوضع حامياتها فى أم قصر وبوبيان وصفوان على أساس تبعية هذه المناطق لها ودخولها ضمن حدود العراق العثمانى (٣) كأنها تعترف بذلك بأن الكويت ليست تابعة لها وأن هناك حدود تفصلها عن العراق العثمانى ، وقد اهتمت حكومة الهند بالأمر — ولو أن هذا الاهتمام جاء متأخراً — عام ١٩٠٧ م وألفت لجنة لتخطيط الحدود والتى

---

(١) — Earle, Turkey The Great Powers & the Bagdad Railway. P. 255.

(٢) لوثى بحرى — سكة حديد بغداد — ص ١٦١ — ١٦٢ .

(٣) British relation with Turky in the Gulf, Memo onLieutenant Colonal Cox's telegram repeated in Government of India tel of 1st Dec. 1910 off. Political & secret library B. 181.

قررت اعتبار جزيرة بوبيان تابعة للكويت (١) . ثم أبدى السير ادوارد جرى فى مؤتمر لندن عام ١٩١٢ م شدة اهتمامه بتوسع حدود الكويت حتى تشمل جميع المناطق المختلف عليها (٢) . غير أن هذه المشكلة بقيت معلقة حتى مشروع الانكلو – تركية لعام ١٩١٣ التى حددت الحدود بين الكويت والعراق العثمانى ونجد ، ومهما يكون الأمر فإن مجرد الخلاف على الحدود بين الكويت والعراق العثمانى يثبت بصورة أكيدة عدم تبعية الكويت للعراق العثمانى كما أنه بمجرد الاتفاق على حدود البلدين يثبت استقلال الكويت عن العراق العثمانى .

إن ما جاء من اعتراف الدولة العثمانية فى الاتفاقية الانكلو – تركية بما وقعته بريطانيا من اتفاقيات مع الكويت يعتبر نهاية لادعاءاتها فى الكويت وذلك بالرغم من النص على اعتبار أن الكويت قضاءاً عثمانياً مستقلا استقلالا ذاتياً – حيث أن هذا النص لم يعط الدولة العثمانية أى سيطرة فعلية بل أن بريطانيا حرصت من خلال بنود تلك الاتفاقية على أن تحرم الدولة العثمانية من أى تدخل فى شئون الإمارة التى تركتها بيد شيوخها. وأخيراً فقد أنهت الحرب العالمية الأولى جميع ما للدولة العثمانية من شكليات وسيادة إسمية وتخلصت الكويت من أى ارتباط لها بالدولة العثمانية مع بداية سريان معاهدة الصلح مع تركيا (٣) وبتوقيع معاهدة لوزان فى خريف عام ١٩٢٣ (٤) .

---

(١) الدكتور جمال زكريا ، المصدر السابق ص ٢٨٤ .

(٢) Cooch & Temperley : British Documents on the origins of the War 1898 – 1914 Vol. X : Part II : The last years of peace, (London 1938 p. 83.

(٣) L/P a S 118/ B 391 Confidential (1880) British Political relations with Kuwait, F. O. March 27 / 1922

(٤) Letter. From F.O. to I.O. March India office 1926. P. 808 – L/ P.8 S/188395

الخاتمة :

يتضح من هذه الدراسة أن علاقة الكويت بالدولة العثمانية وثيقة تمتد بجذورها إلى تاريخ تأسيس الكويت الحديثة واستقرار العتوب فيها وإقامتهم لحكمهم على أرضها بزعامة آل الصباح فرأى الأخيرين وجوب تأمين مركزهم بالاعتراف بشيء من الولاء للدولة العثمانية إلا أن ذلك لم يكن يعني من الناحية العملية خضوع الكويت للدولة العثمانية ولم يتعد الأمر وجود نوع من السيادة الإسمية للأخيرة على الكويت .

وبينما كان التحرر من التبعية العثمانية عاملا سائداً ومؤكداً فى سياسة شيوخ الكويت ، فإن الدولة العثمانية لم تحاول أن تفرض أى نفوذ من جانبها على الكويت وظلت تحترم استقلالها فى البداية . وعرفت الكويت بفضل سياسة حكامها الخارجية الحكيمة والمتزنة كيف تقدم ولاءها واحترامها للجارة القوية التى تربطها بها روابط روحية أكبر من الجيرة وهى رابطة الدين الإسلامى الذى تمسكت به بقوة مما عزز تقاربها مع دولة الخلافة التى يرأسها السلطان رأس العقيدة ، وذلك فى الوقت الذى حرصت فيه الكويت على التمسك باستقلالها وعدم التفريط به . وظهر ذلك من خلال رفضها ومعارضتها لمحاولات نامق باشا والى بغداد عام ١٨٦٦ م الرامية إلى تحويل سيطرة الباب العالى الإسمية على الكويت إلى سيطرة فعلية مما دفع الوالى إلى محاولة استخدام القوة لمواجهة معارضة حكام الكويت ، إلا أنه حتى هذه المحاولة لم تجد نفعاً معهم ، فلم يرضخوا لها ولا لغيرها من المحاولات التى ترمى للقضاء على حريتهم فى بلادهم وتقويض استقلالهم فيها . ولذلك قدر مدحت باشا ميل شيوخ الكويت إلى الاستقلال وعدم استعدادهم للتنازل عنه عندما تولى ولاية بغداد عام ١٨٦٩ م فى الوقت الذى قدر فيه أهمية الكويت الاستراتيجية للدولة العثمانية مدنياً وعسكرياً فاستصدر فرماناً يقضى بإعلان الكويت سنجقاً مستقلا استقلالا ذاتياً . ونتيجة لهذا التقدير فقد كان لإجراءات مدحت باشا فى الكويت

نتائج إيجابية على صعيد توثيق علاقة الكويت بالدولة العثمانية إلا أنه لم ينتج عنها تحويل تبعية الكويت الإسمية للدولة العثمانية إلى تبعية رسمية .

وتبين لنا الدراسة بوضوح أنه على الرغم من أن الدولة العثمانية بعد حملة الإحساء عام ١٨٧١ م كانت تعتبر الكويت قائمقامية تابعة لولاية البصرة وتسمى شيخها قائمقام إلا أن هذه التسمية كانت تستعمل من جانب الدولة العثمانية فحسب ولم تظلها سلطة فعلية للأخيرة على الكويت فلا ضريبة أو خراج ولا حاميات عسكرية ولا موظفين عثمانيين ولا أى دلالة من أدلة التبعية الرسمية. بل أن الكويت كثيراً ما أجارت الفارين من الطغيان العثمانى ولم تقبل تسليمهم تحت أى ضغوط وقد قاومت الكويت بنجاح كافة محاولات الدولة العثمانية لتحويل سيادتها الإسمية إلى سيادة فعلية . كذلك كان فى انتقال الوكالة البريطانية من البصرة إلى الكويت مرتين (١٧٩٣–١٧٩٥ و ١٨٢١) على أثر خلاف مسئولها مع السلطات العثمانية ما يؤكد استقلال الكويت يضاف إلى ذلك التزام الكويت بالمعاهدة العامة للسلام والأمن البحرى وتوقيعها على تعهد مع بريطانيا بالمحافظة على الهدنة البحرية عام ١٨٤١ وفى هذا اتفاق مع دولة أجنبية دون استئذان الباب العالى ، كما أن فى تكرار موضوع الحدود بين الكويت والعراق العثمانى ما يثبت استقلال الكويت .

أما عن تلك السيادة الإسمية للدولة العثمانية على الكويت فقد استمرت فترة طويلة احترمت خلالها الدولة العثمانية استقلال الكويت وسط تلك المنطقة التى كانت تحكمها مباشرة أو بالواسطة ولكن تلك الوضعية تبدلت وانقلبت العلاقة الودية حين وصل إلى الحكم الشيخ مبارك على أثر قتله لشقيقه الشيخ جراح عام ١٨٩٦ فلم تعترف به الدولة العثمانية مما دفعه إلى الالتجاء للانجليز طالباً الحماية البريطانية وكان أن استجابت له الأخيرة فى ٢٣ يناير ١٨٩٩ م بعد أن اتضحت لها المزايا التى ستحصل عليها من خلال هذه الحماية فاندفعت الدولة العثمانية تقاوم النفوذ البريطانى فى الكويت بمحاولة إخراج بريطانيا مستغلة حرص الأخيرة على سرية اتفاقية الحماية وبالضغط على الشيخ مبارك

لإرغامه على قبول نفوذها الذى راحت تزرعه كأدلة على سيادتها بتحريض من ألمانيا وروسيا وفرنسا .

إلا أن جميع محاولاتها بذلك الصدد باءت بالفشل الذريع فإذا كانت لم تستطع تثبيت نفوذها وتحويل سيادتها الإسمية إلى سيادة فعلية حين كانت الكويت تخلو من أى نفوذ آخر ، فإنها لم تتمكن من ذلك حين وضع الانكليز أقدامهم في الكويت وأكدوا نفوذهم ومصالحهم فيها مما جعلهم يقاومون ويواجهون كافة المناورات العثمانية بشأن الكويت بقوة وحزم .

ترجمة ملحق رقم (١)

إلى مقام الصدارة العظمى الجليلة

معروض العبد الداعي :

لا يخفى عن جناب الخديوى الأعظم أن الوضع المعروف بالكويت يقع على بعد ٢٤ ساعة من البصره جنوباً ، وهو بندر تجارى يتفاوت عدد سكانه مابين الفين وثلاثة آلاف عائلة (منزل ، أسرة) .

وكان الكويت قديماً أحد مضافات البصرة ، ولكن بعد الشقة أدت إلى تركه فاكتسب حكم جماعة مستقلا مع توالى الزمن ، فعدهم الأفرع جمهورية (ريبولق Republic) ، وعرف وبتكوينه وحده مستقلة من جراء ذكره فى الخرائط على هذا النحو ، غير أن ذلك المكان هو من مضافات الممالك المحروسة القديمة ، وأهله من أهل السنة ، وكلهم يشتغلون بالتجارة وتألفها ويملكون نحو سبعمائة أو ثمانماية سفينة ، وتشكل المنطقة سنجقاً عثمانياً بشكل خاص ، ولكن أباءهم عن الارتباط لداع ما جعلهم ينفردوا ويستقلوا نوعاً ما أداريا بوضع سوف يؤدى بهم إلى ماحل بالبحرين بعدما تسلط عليها الانكليز ، وما سيؤدى إليه الوضع بساحل الحسا وساحل قطيف ، أى المنطقة الواقعة بين البحرين والكويت ، وقد بدأت الدول الأجنبية تتدخل بشئونها ولا بد أن يأتى دور الكويت من حين تستقر أقدام الأجانب فى الحسا وقطيف من دون أدنى ريب ، فإن تسنى لنا وضعه تحت إدارة صحية من قبلنا لعل القوة البحرية التى نحن بصدد إنشائها فى البصرة تسهل علينا تخليص مايلى الكويت جنوب ، ولربما وجد تدبير لوضع البحرين ، فبادرنا لوضع الكويت تحت الأنضباط والإدارة العثمانية ، وسعينا للاتصال والمخابرة وإيجاد وسائلها ، فمن ذلك قطعنا لتسهيل حصول المقصود العوائد المخصصة من البصرة لشيخ الكويت وذلك ١٥٠ كارة من

التمر أي ما يساوي من حيث القيمة ١٦٠ ٠٠٠ غرش ، ولما عزم عبد القاصر إلى البصرة ودخل استدعى مشايخ ورؤساء الكويت ، وأتضح لديه من كلامهم وما أظهروه من رغبات ، أنهم يفخرون بالتبعية (التابعية) العثمانية ولكنهم يخشون الوقوع بسببها تحت التكاليف من أمثال الرسوم والجمارك وأنهم يقرون بأن الدولة العلية هي في غنى عنهم ، وما مقصدها إلى حمايتهم والتصاحب (المساندة لهم) فبادر عبدكم وشرح لهم مقتضى الوضع طويلا وعريضاً ، وأبلغهم أن شيخهم حالياً هو موظف يقوم بمهمة قائمقام ، وأن القضية المذكورة وأكثر أهاليها من الشافعية بمن حيث المذهب وأنه يكون بينهم بعض من المالكية والحنابلة ، فإن الحكم والقضاء هو على المذهب الشافعي ، ينبغي أن يكون حكامهم (قضاتهم) ونواب هؤلاء من الشافعية ، ويجب أن يحصلوا على اجازة من الدولة بشأن ذلك .

وقد رفعوا عريضة يطلبون براءات لخطباء جوامعهم وعددهم خمسة ، فسطرنا مالزم من بيوريلدي (أمر) وسلمناهم أياها . و أبلغنا وزارة الداخليةالجليلة برقياً بعث المراسلات والبراءات ، وقررنا أرسال مائة نفر من عسكر الانضباط (الضبطية) لتوكيد أرتباطهم بالدولة وعلقنا أرسالنا بمجيء القائمقام اللاحق وعودته قريباً من الحجاز والأمر لحضرة من له الأمر .

في ٨ ذي القعدة ١٢٨٦هـ

الموافق ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٢٨٥م

والي ولاية بغداد

خاتم

ملحق رقم (٢)

صورة من المضبطة المعروضة

المؤرخة فى ١٤ شعبان ١٣١٣

وقعت الأنظار العالية على المضبطة الصادرة من مجلس العبد بشأن طلب الأجازة لأجل التبليقات التى سوف تؤخذ إلى ولاية البصرة بخصوص انتخاب قائمقام نقيب الأشراف فى البصرة نجل شقيق أحمد باشا لايفاده إلى مبارك الصباح الكائن فى الكويت للجد فى نصحه واقناعه للميل إلى هذا الجانب، وحظيت الفكرة بتصويت ملك العالم الذى كان يرى أساساً هذا الرأى كما أن نجل النقيب المشار إليه حالياً هنا ذكر أن والده مستعد للقيام بهذه الخدمات باخلاص وأن والده يضمن ذلك ، فتذكر مجلس الوزراء التدابير التى يجب أن تتخذ من قبل الدولة والقرار الذى سوف يتخذ فى هذا الصدد مع تقدير مبلغ مناسب يعطى من أجل مصاريف الطريف (خرج راه) ليتمكن نقيب الأشراف بمناسبة عودته إلى البصرة واقترنت المضبطة المرفوعة بهذه الشأن بموافقة الإدارة السنية لحضرة صاحب الخلافة العلية كما عبرت عن ذلك المذكرة الخصوصية فى مجلس عبيدكم وتأملنا الوضع وتداولناه بالمذاكرة .

فكما لا يخفى عن علمكم العالى أن المبادرة من قبل انجلترا بخصوص الكويت المار ذكرها والواقعة على خليج البصرة ازدادت حرارة ، فإن أنجلترا تعرف جهدها لأغفال واثارة مبارك الصباح فاقتضى اتخاذ تدابير لازالة مفعول تحريكها وغرضها فإن حفظ الكويت ضد كل تجاوز أجنبى هو غاية الأهمية واللزوم نظراً لما لموقع الكويت وعسكرياً لبالغ الأهمية، نجل قائمقام نقيب الأشراف الموجود فى هذا الجانب عرضيا وساطة أبيه الذى

ذكر أنه يضمن القيام بهذه الخدمات التى تقرب عن الصداقة والاخلاص فلم ير بدآ من ترك ذلك لتنسيب ولاية ٤ البصرة واناطة ذلك لرأيها .

وكما أشار عبدكم فى المضبطة السالفة الذكر ، فإن أعزام النقيب المشار إليه إلى مبارك الصباح ، مبنى على الخوف من تحقيق النظريات الأجنبيةلاسمح الله وكم سيورث تحقيقها من أضرار جسيمة بينها إيراث المقاصد الأجنبيةالعقم يوجب ويقتضى توحيد كلمة المسلمين المرتبطين بمقام الخلافة العظمى بالروابط الدينية ويؤدى فى ما يخص الدولة والدين إلى الاتفاق فى العمل بالطوع فى صف واحد مع إبراز آثار الديانة والحمية ومن سعى فى سبيل الخدمات المبرورة والمشكورة ضمن إطار النجاة والسلامة نال السعادة المادية والمعنوية ، ومبارك الصباح نفسه بصفته موظف على رأس قسم إدارى يجب عليه مراعاة أهداف الدولة وتحقيق ما ترضاه فى إجراءاته فى حكومته وككل مأمور موظف يقع عليه واجب حماية حقوق الأهالى وتأمين وسائل راحتهم فهم وديعة البارى عند مقام الخلافة الكبرى والحمية الإسلامية تقضى عليه إظهار ذلك وإخراجه إلى خير العمل بالمبادرة لما فيه النفع والفائدة للدولة والمملكة بالحيلولة دون الآمال الخارجية والمقاصد الأجنبية واتخاذ التدابير المجدية لما فيه رفاهية وسعادة الأهالى المسلمين ، فكل مسافة يقطعها فى هذا الطريق تعود عليه بالألطاف والتشريفات من الدولة ، هذا إلى جانب نيل الرضا العالى ورضا البارى ، وعلى الرسول أن يذكر وبكل هذا بلسان مناسب وبكلام مؤثر ويفهمه بأن هذا يعود عليه بالمكافآت والذكر الحميد ، فيجلب قلب مبارك الصباح ويستمليه ويجد لتقوية أواصر ارتباطه بالسلطنة السنية ومطاوعته لها ويأخذ عرضاً من يده يفيد معنى وأسبق ويسعى لانفاذ العرض إلى هذا الجانب ، ففى هذه الحالة يبلغ نقيب الأشراف المومى إليه مقتضى تنسيب الرتبة والوسام اللذين يتكرم بهما على مبارك الصباح ويتذكر

اعطاء نجل النقيب المومى إليه لدى عودته إلى البصرة مقدار ٢٠,٠٠٠ غرشاً من الخزانة الجليلة ٣ سبيل الخراج راه (أى مقابل مصاريف الطريق) وفقاً للأمر والعرفان الحكيم الصادر على حضرة مقر الخلافة .

جعل على نظارة (وزارة) الداخلية تنفيذاً ما يخص انفاذه إلى ولاية البصرة وعلى نظارة المالية ما يخص دفعه من أجرة الطريق (خرج واره) للمذكور ، والأمر والفرسان فى هذا الخصوص أى شىء كان لدى الأمر .

١٤ س سنة ١٣١٧

تم الطبـــع بالادارة العـــامة لمطبعـــة
جامعة القاهرة والـــكتاب الجـــامعى
مدير ادارة المطبعة
البرنس حموده حسين
١٩٨٨/٩/١٢

مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ١٩٨٧/١٧٣٧/١٠٠٠

— Xipéhuz (1887).

— Vamireh (1892).

— Le Cataclysme (1896).

— Manifeste des Cinq (1887).

Romans sociaux (aine)

— Marthe Baraquin (1909)

influence de Zola.

— La Vague rouge (1910)

— La Jeune Vampire (1920) Fantasitque

— La Guerre du feu (1911)·

— La Mort de la Terre (1910).

— Les Navigateurs de l'infini (1925).

Sous le pseudonyme J.H. Boex Borel

Essais de critique et de philospohie :

— Le Pluıaliste, essai sur la discontinuité et l'hétérogénéité des phénomènes (1919)·

— Les Sciences et ple uralisme (1930).

— Moedingen d'Un autre monde (1898).

Darwin. Chez lui, les races plus intelligentes et moins agressives sont en voie de disparition. Bien plus, Rosny rappelle Homère, Virgile, Lucréce et les romans chevaleresques. L'histoire de Naoh estissue de la figure de l'homme de la nature, à la fois misérable et forte. L'origmalitт de Rosny est en plus de mettre en lumiére le drame humain de la quéte éternelle.

La Guerre du feu a et aura toujours la grandeur des épopéées, la beauȷé de la nature, le charme de la poésiel, la fécondité de l'imagination, le merveilleux des reves et la vérité de la science.

Biblioraphie

Depuis le succès cinématographique de la Guerre du Feu (film de J.-J. Arnaud, 1981), un certain nombre d'ouvrages ont été réédités, qui rendent les écrits deRosny plus plus accessbles :

— La Guerre du, Feu Verviers, coll. "Marabout" 1975.

— Récits de Science-F ction, Verviers, coll. Marabout," 1975 (ce recueil contȷent un excellent éventail des genres littéraires abordès par Rosny).

— La Force mystérieuse avec les Xipтhuz, Paris, Nouvelles Editions Oswald, 1982.

— L'Etonnant Voyage de Hareton Ironcastle, Paris, Nouvelles Editions Oswald, 1982.

— L'Enigme de Givreuse, Paris, Nouvelles Editions Owsald, 1982).

— Romans préhistoriques, éd. J.B. Baronian, Laffont, "Bouquins" 1985.

Sur l'écrivain lui-même, on pourra consulter, dans une bibliographie très pauvre: P. Massé, J.-H. Rosny, le préhisȷorien, l'animalier, le romancier, le critique, Nice, Mediterrania, 1937, et J. Delabroy, "Ecriture et hisȷore: sur deux romans de J.-H. Rosny" dans Scolies No34, 1975.

— Nell Horn (1886) ainé).

(*aine*, *Jeune*)

sidéraient le terroir avec méfiance : il devaity passer beaucoup de bêtes, à l'heure oú finit la lumiére." (26)

Enfin, si la beauté et la force du style de Rosny sont attestées tout le long du récit, elles s'expriment le mieux dans les phrases qui inaugurent le livre : "Les Oulhamrfuyaŗent dansla nuit épouvantable. Fous de souffrance et de fatigue, tout leur semblait vain devant la calamité supréme : le Feu étaitmort" (27) et celle qui le termine : "et les temps sans nombre s'étendaient devant eux". (28).

Conclusion

La Guerre du feu est un amalgame original de science et de poésie. L'originalité de Rosny s'exprime dans l'intégration de la vérité scientifique dans une atmosphère d'aventure, d'amour et de merveilleux. L'oeuvre constitue un panorama ilustré da la faune, la flore' I'homme et la société préhistoriques. De ce fait méme, elle offre untitnérèt particulier. En plus, la beauté et la poétique du style, le charme d'un amour primitif l'alliance entre l'homme et l'animal, l'aventure dans des régions inconnues font de ce roman un ouvrage inoubliable dans l'histoire du roman en général.

Cet ouvrage est également original puisqu'il est recherché par les jeunes autant que les grands. Ce récit offre un attrait particulier pour la jeunesse éprise d'aventure, de force, de combats contre les hommes de races extraordinaires ou les bêtes colossales, de monde merveilleux et fascinant.

Rosny est l'écho de son siécle oû l'intérêt est concentré sur l'aventure, l'évasion, l'évolutionisme et la paléontologie. Il se montre lamarckien lorsqu'il établit une relation entre l'évolution des sociétés humaines ou ànimales et l'adaptation aux lieux, Tel est le cas des wah et des mammo uths.

En outre, considérant la guerre, la violence comme la loi fondamentale et rapprochant l'homme préhistorique de l'animal,il rappelle plutôt

(26) Idem.
(27) Ibid, p. 21.
(28) Ibid, p. 288.

Dans ce contexte, il n'utilise ni jour ni mois, ni année; mais aube, lune et saison "il la voulut aussi âprement que s'il l'avait voulue depuis des saisons....

C'était à l'aube suivante." (23) Il n'y a plus de montre pour marquer le temps; l'auteur choisit donc un procédé approximatif pour l'exprimer : "c'était vers le tiers de la nuit. Une lune blanche comme la fleur du liseron sillait le long d'un nuage.'. (24)

Vu la nature même du sujet, lequel renferme des éléments scientifiques, l'auteur intégre dans une même phrase science et poésie : "Parmi les ours, le plus puissant, le colosse des cavernes, ne chassait pas, à moins d'être tourmenté par la famine. Herbivore, il trouvait dans le terroir de quoi assouvir, pacifiquement, sa voracité." (2ç)

En outre, Rosny a souvent recours à l'énum ération. Il n'y a plus d'observateur ni de conteur, pas d'opinion ou de commentaire; le paysage l'épisode, l'homme, l'animal, l'objet, la plante, sont décrits comme tels, sans remaniement dû à un état d'âme ou à une vision. L'énumération se répète souvent, notamment lorsqu'il s'agit d'une description de la flore : le lis, le nénuphar, les lysimaques, les sagittaires, linaigrettes, épilobes, cardamines, ou de la faune; chevaux, onagres, saïgas, mouflons, chevreuils, élaphe. L'énumération renferme des genres dont le nom nous est connu et d'autres dont le nom est inconnu ou scientifique. Cependant la fréquence de ces noms dans le texte, leur rythme sonore, concourent à la création de l'atmosphère préhistorique. Le dessein de l'auteur n'est pas simplement de décorer sa phrase par ces ornementations inhabituelles, mais plutôt d'illustrer la fécondité de la nature; la poésie et la créativité qui s'en dégagent.

Par un lien de "causalité", on trouve que c'est la description qui précède l'événement ou l'action, ce qui signifie que le danger ou, par contre, la sérénité surgissent du monde. Avant que le lion géant ou la tigresse n'apparaissent, l'auteur décrit la forêt qui "s'ouvre", la plaine qui s'étend en savane et en brousse, les "ilots d'arbres. Il termine sa description en préparant l'apparition des fauves : "Les nomades con–

(23) Ibid, p. 31–34.

(24) Ibid, p. 44.

(25). Ibid. p. 63.

L'antithèse est également utilisée pour mettre en relief l'idée et illustrer une valeur : "Nam et Gaw connaissaient, aussi bien que les fauves, la nècessité de suivre et non de précéder la proie, à moins de dresser une embuscade." (18)

En vérité, l'organistation même de la phrase reflète celle de l'idé et aide à concevoir la logique de la pensée: ,'Deux projets se présent tèrent au nomade : atteindre l'expédition avant qu'elle n'eut rejoint ses terres de chasse et lui dérober le Feu par la ruse; ou bien la devancer, parvenir avant elle près de la horde, privée de ses meilleurs gue rriers, et guetter l'heure favorable." (19)

La couleur n'est point négligée chez Rosny, elle est originale, nua-ncée et expressive. Les 'faces" de l'eau sont argentines tandis que les îles vert-de-griséos, ses longs "frissons" rappellent le malachite, les perles, les soufres "pàles" et les "écaillures" de mica·

Assistée de l'odeur, la couleur acquiert plus de signification, et sa présence est plus tangible : "son odeur était plus douce à travers les saules et les aulnes.... Fahoum considérait sa tribu· Le désastre était sur elle comme une portée de reptiles : jaune de limon, écarlate de sang, verte d'algues, elle jetait une odeur de fièvre et de chair pourrie(20).

D'autre palt, le style de Rosny est remarquable par cette poésie, cette beauté qui s'en dégage, même en décrivant un combat entre les fauves; la touche humaine n'y manque jamais: "chaque bête transformée en énergie fuyante, en projectile de panique, les forts terrassant les faib-les, les véloces fuyant sur le dos des autres, tandis que les os craquaient ainsi que des arbres abattus par le cyclone·" (21)

Maitrisant sa plume, l'auteur ne manque pas, en faisant parler ses personnages, de faire revivre le langage simple ou les signes de l'époque :

– Nam et Gaw devront obéir à mon commandement.

– Nam obéira jusqu'à la mort.

– Gaw ne craint rien avec Naoh. (22)

---

(18) Ibid, p. 129.

(19) Ibid, p. 111.

(20) Ibid, p· 25.

21) Ibid, p· 52·

(22) Ibid p· 87.

Dégradation très significative d'ailleurs, marquant l'agonie du Feu et la détresse de la horde.

Par ailleurs, Gemmla rappelle la plante' elle est végétale. Chaque fois que son nom est mentionné l'auteur lui attribue des qualités d'arbre ou de feuillage: "allongée flexible et mystérieuse, la chevelure comme un feuillage"[14]. Elle s'intègre à la nature d'où elle est issue: "elle s'avançait tremblante, levant ses yeux variables,pleins du feu humide des fleuves"[15].

D'ailleurs, si les personnages sont intégrés à la nature, celle-ci est également personnifiée, ou métamorphosée en bêtes ou autres, à l'exemple du Feu. Le Fleuve est un animal féroce. A travers les pays de pierres et de verdure, on le contemple "boire" les sources, "engloutir" les ruisseaux, "dévorer" les riviéres, "rugir" en cataractes. Ailleurs c'est un homme, "plein de vie", sensible jusqu'au point de "sangloter"

Quant à la forêt, elle rappelle les sociétés humaines ou animales, les arbres sont des hordes ou des tribus, organisés en files ou en clans: les "hordes" de figuiers, les "tribus" de sycomores,...les "troupeaux' de noyers, les "files" de peupliers, les "clans" d'aulnes, etc.

Cette description exprimele mieux cet amalgame réussi du monde humain, animal et végétal, d'où surgit un monde nouveau "original et poétique.

Les comparaisons, autant queles métaphores, se multiplient à travers le texte. Il suffit d'apporter quelques exemples pour montrer leur fréquence et leur signification : ,'des poissons de course, qu'une flexion lance à traversl'eau pesante, aussi vite que la frégate sur les nues, des reptiles souples comme les roseaux...quelque hypopotame oscillant comme un tronc d'érable."(16) Parfois la comparaison sert à accentuer la voix ou le mouvement : "le blessé semblait plus étrange. Ses yeux étaient pareils à du jade, son long corps cylindrigque se tordait aussi facilement qu'un ver. " (17)

---

(14) Ibid, p. 27.

(15) Ibid, p. 38.

(16) Ibid, p. 127.

(17) Ibid, p. 213.

pages entières à la description, ne négligeant aucun détail, aucun phénomène. Certaines parties sont consacrées à la description d'un animal, ou d'un combat entre les fauves. La description est tellement minutieuse et vivante qu'l nouss emble assister à une scène de la vie préhistorique. On admire les membres "trapus" du tigre, l'élasticité de ses vertèbres et la flexibilité de son corps. On assiste au combat lion/tigre où s'emmêlent griffes et mufles; on entend claquer les "dents dévorantes" et les "souffles rauques". Le tigre cherche à saisir la gorge de l'ennemi mais il se trouve terrassé par la patte "souveraine" du lion géant.

D'autres parties décrivent les différentes races d'êtres humains. Rappelons à titre d'exemple les Nains-Rouges à tête "enbloc", au visage "triangulaire", à la peau comme "l'ocre rouge" et, dont les mouvements et l'éclat des yeux reflètent une race "pleine de vie". En plus,ils comprenaient les signes mieux que les Oulhamr ou les Dévoreurs-d'Hommes.

Toutes les descriptions ici illustrent les règnes différents : animal ou humain, végétal ou minéral' parfois méme social. La métaphore et la comparaison, [figures essentielles [par excellence, concourent à la superposition des régistres variés. Le Feu est personnifié, c'est un homme sinon la vie elle-même: "le Feu était mort· ... Ses dents rouges protégeaient l'homme contre le vaste monde. ... C'était le Père, le Gardien, le Sauveur"[12]. Parfois le Feu est un animal,"une bête" qui n'a ni pattes ni "corps rampant", plus rapide que les antilopes; qui n'a pas d'ailes, cependant il atteint les nuages; pas de gueule, mais il peut souffler, gronder, rugir; pas de mains ni de griffes, bein que s'emparant de toute l,étendue. Parfois même le feu est sauterelle ou vipère: "Des sauterelles rouges, des lucioles de rubis, d'escarboucle ou de topaze agonisaient dans la brise; des ailes écarlates craquaient en se dilatant; une fumerolle brusque montait en spirale et s,aplatissait dans le clair de lune; il yavait des flammes lovées comme des vipères, plapitantes comme des ondes, imprécises comme des nues„[13]. D'autres fois le Feu, prêt à mourir, rappelle les insectes: d'abord grande comme une guêpe, ensuite comme une mouche, puis toute minuscule comme ces petites insectes qu'on voit flotter à la surface des mares, enfin tout s'eteint.

---

(12) Ibid, p. 21 22.

(13) Ibid, p. 116.

accident suividu triomphe de l'héros dû au hasard ou à ses stratagèmes' enfin l'amorce d'un nouveau danger.

3. L'intrigue se poursuit du bout à la fin tant qu'on suit le héros au cours de son expédition.

4. Le lecteur retrouve souvent le même héros, méme s'il manque une scène. Ceci est dû au caractère simple des personnages. C'est vrai qu'il y a beaucoup d'action, mais peu de développement psycho-logique, ce qui s'adapte avec la mentalité préhistorique. *La Guerre du feu* offre une unité cohérente, soit par le monde où elle se déroule, soit par le détail .

c) *Une épopée :*

Cet ouvrage renferme les éléments structurant lépopée. Il est axé sur la quête, un de ses éléments fondamentaux.

En plus, le héros court des aventures au cours d'un voyage extra-ordinaire. Il connait l'amitié virile et l'objectif commun qui le lie à ses compagnons, rencontre le mervilleux loin des dieux et l'évasion au sein de la nature, court les dangers, s'engage dans les combats de groupe ou les affrontements singuliers, triomphe de la faim, de la soif etc. ...

D'autre part, ce voyage est une occasion d'apprentissage pour le héros de la lointaine préhistoire. Il apprend à déve lopper son intelligence, sa ruse, sa force physique et morale, ses connaissances (technique ,armes, pansement des blessures eyc ...).

C,est une épopée de technique ou de progrès ouvrant de nouveaux horizons à une race regénerée.

La Guerre du feu nous rappelle plutôt la poésie de Lucrèce chantant la nature féconde, mère de l'homme. Le poète latin affirme que le bonheur est possible sur terre à tout stade du progrés, idée illus trée par le couple Naoh/Gammla. Pourtant la nature renferme mal et douleur qu'incarne l'agression suivie des bêtes et des hommes. En plus, on y trouve le hasard ,non la loi ou les dieux, qui contrôle les destinées.

4. Style:

Vu la nature de cet ouvrage, lequel aborde une société différente de la nôtre inconnue de la plupart d'entre nous, l'auteur consacre des

pas, il disparaitra dans la terre, les eaux, le ventre des hyènes, ou il rendra le Feu aux Oulhamr"[10].

Par ailleurs, l'image de la femme est souvent associée à celle du Feu. C'est vrai que Naoh part à la recherche de cette force redoutable qui sauverait son peuple des nuits froides et obscures et des dangers menaçants, mais il est également à la recherche du bonheur dans l'épanouissement de son grand amour En d'autre terme, si le Feu est le but avoué de la quête, Gammla en est sans doute l'objectif latent. Egalement associée à la lune, dans "la nuit des âges", cette jeune fille est la lumière qui éclaire les ténèbres. Dans sa victoire, Naoh regarde Gammla comme son heureux avenir, sinon celui de sa race entière.

Nièce du chef Fahoum, Gammla est certainement munie d'un certain pouvoir, pourtant Naoh n'y voit que la fille de ses rêves. Dans un geste courtois qui marque le dènouement du roman, il exprime tout son amour et sa tendresse: "Naoh, ayant abaissé sa main sur Gammla, la releva sans rudesse"[11].

En réalité, Naoh se comporte souvent en chevalier galant, non pas uniquement vis à-vis de Gammla, mais des blessés qu'il refuse d'achever. Il l'estégalement en renonçant à la force brutale en faveur de l'alliance et de l'intelligence sage.

Bien plus, l'auteur élève son héros, le quêteur qui, parti pour la recherche de la cage du feu, rèussit à découvrir la technique de la production de cette force mystrieuse sinon merveilleuse. Ainsi l'objet essentiel disparait devant la grande valeur qu'il incarne : l'intelligence.

b) *Un roman-feuilleton :*

Cette oeuvre offre le modèle d'un roman-feuilleton; elle en renferme tous lés éléments essentiels:

1. Episodes autonomes:

Chaque chapitre constitue une unité à part, renferme une description et une scène complète d'une action titrée séparément et tracée précisément.

2. Dans chaque chapitre, les scènes sont reliées entre elles par un procédé de suspens bein défini : une difficulté quelconque ou un

---

(10) Ibid, p 36.
(11) Ibid· p. 288.

vraie nouveauté tandis que la technique de production du feu n'est ni une "invention datable' ni un signe d'accession à l'histoire (Catherine Perlés–La Recherche–mars 1982).

Le génie de Rosny se refléte notamment dans l'épisode du mammouth aussi bien que dans le dénouement ouvert du roman: "et les temps sans nombres' étendaient devant eux". Bien plus, la préhistoire est, sous la plume de Rosny, terrible et magnifique; elle nest ni bestiale ni inférieure à l'histoire. Déjà l'homme y connaıt certaines techniques et valeurs, parfois même l'amour et la poésie.

3- Genre :

a) *Un roman courtois :*

Cette oeuvre renferme les éléments essentiels du roman courtois. L'amour et la quête sont illustrés dans un carde d'amitié et d'aventure, de voyage et d'embûches, de conquête réussie et de dénouement heureux.

Le héros part à la recherche du feu, fin en soin sans doute mais également un moyen d'obtenir Gammla, son idéal longtemps désiré. La femme représente donc la récompense; et l'amour devient moteur de l'acion. De ce fait même, le héros cher he la perfection qui lui rappell sa bien-aimée.

En outre, si Gammla n'apparait que très peu au début et à a fin duroman, elle est cependant toujours présente. Elle est le centre des rêves exaltants du héros et, par conséquent, de L'action elle-même. Elle est présenté dans toutes les situations importantes; jetant une lueur d'espoir: ,'Noah, avec un doux désir, vo..ait 'e bra..er du campement et les lueurs qui effleuraient le visage de Gammla"[7], atténuant la souffrance: "la figure des femmes flottait autour de lui comme une force p'us douce, plu sûre plus durable que celle des mâles"[8] ou illustrant le triomphe: " Gammla) palpitante d'orgueil, ... était dans cette admiration dont toute la horde enveloppait Naoh" [9]. Le héros lui offre, en chevalier galant, sa quête: "Fille du Marécage, Naoh ne reviendra

(7) Ibid. p. 77.

(8) Ibid. p. 73.

(9) Ibid, p. 284.

leurs alliés Naoh fils du Léopard, Nam et Gaw, représentant l'intelligence et la solidarité, triomphent des aurochs, d'Aghoo, fils de l'Aurochs et de ses fréres, incarnant l'ancienne loi de la force et de la brutlité bête.

Le voyage des Wah, appuyant les Oulhamr et leur enseignant leurs techniques et connaissances, rappelle celui des mammouths, protégeant les Oulhamr des fauves et des races humaines redoutables. Bien plus, ces deux équipes animale et humaine, se distingant par l'intelligence et la solidarité, sont cependant condamnés à la disparition. En outre, Naohapprend de part et d'autre un don essentiel : il apprend du groupe animal la valeur de l'alliance tandis que le groupe humain lui enseigne la technique; deux clefs pour triompher de la force aveugle.

En effet, cette organisation se carctérise par la précision et la clarté. Elle est fondée sur le chiffre : le temps est marqué par des lunes, des saisons, des comptages ne dépassant jamais le 10: "Le tigre était chez lui ! Depuis dix saisons, il détenait le terr:toire, et les autres fauves... y vivaient à son ombre." (6) Ce procédé est une trouvaille rèussie de Rosny, reflétant un réalisme qui nous raméne au temps même de notre hétos.

Bien qu'intelligents, les Oulhamr n'avaient pas atteint un degré remarquab:e de technique et de connaissance. Ils comptaient par dizaines à l'aide des doigts des deuxmains, utilisant parfois les Rameaux Ils dénombraient mal d'ailleurs et ne pouvaient pas dater. Ils n'étaient conscients ni de la fuite du temps, ni des dieux, mais de la mort immédiate. Ils vivaient dans la trés lointaine prThistoire, dans "la nuit des âges", dans une époque où la chronologie était absente.

Le dernier chapitre rappelle le premier. Ce n'est là qu'un épisode de la préhistoire, une vision générale de la horde. Cependant, la découverte de la production du feu à volonté demeure un des moments cruciaux du récit et de la vie humaine. Ceci n'est point étrange car la technique de la production du feuaété souvent considérée, dans la mythologie, comme l'accession à la technique, à l'intelligence, à l'histoire. Certains estiment par contre que maîtriser la peur du feu est la

---

(6) Ibid, p. 70.

les plus redoutables: mammouth, aurochs, ours gris, lion géant tigre; refuge dans la caverne et sous les blocs erratiques; fuite en pleine nuit.

Deuxieme partie :

Découverte et conquête de la cage du Feu, chez les Dévoreurs-d'Hommes, dans les lieux d'eau (longeant le lac, ou suivant les rives du Grand-Fleuve); amorce du retour; alliance, grâce aux signes et aux paroles, avec la société modéle des mammouths, procurant la sécurité à la petite équipe d'hommes.

Troisieme partie :

Retour par le chemin inverse, rencontre avec les Nains-Rouges dans une nature rude: plaine de craie, landes de plantes dures, pleines de piéges, mares ensevelies, nuit sur le marécage; découverte de la techniques de la production du Feu, voyage dans le désert et le Pays des Eaux avec les Wah, forêt des Hommes-au-Poil-Bleu, retour à la savane. Il y a donc là un itinéraire parfaitement tracé pour mettre en valeur l'expédition des trois Oulhamr et faire revivre l'atmosphére préhistorique.

2- Technique :

L'auteur trace le récit selon la quête du héros et ses compagnons Il la suit minutieusement sans avoir recours ni au flash-back (retour en arrière) ni à la projection (prévision). Sa technique est basée sur trois points essentiels qu'on ne pourrait étudier séparément puisqu'ils se combinent admirablement tout le long du récit : l'action, le temps et les nombres. Le texte est structuré par les chiffres et non les dates tel que nous remarquerons.

Trois étapes, tros parties, trois héros contre trois :

La victoire de l'équipe de Naoh sur celle d'Aghoo à la fin de la troisiéme partie: "le crâne d'Aghoo retentit ainsi qu'un bloc de chêne, le corps velu chancela; un autre coup l'abattit sur la terre" (4) répond à celle des mammouths sur les aurochs à la première partie: "les mammouths ne songeaient pas à la poursuite: une fois de plus ils avaient donné la mesure de leur puissance, une fois de plus ils se connaissaient les maitres de la terre." (5) La significatoni s'éclaircit : les mammouths et

---

(4) ıb·i ,dp 275.

(5) Ibid, p. 52.

unique où l'homme se découvre des potentialités nouvelles en utilisant le feu ! Pour la plupart de nos contemporains, le feu est l'homme."(3) Aussi avons-nous consacré la première partie à étudier ce thème fondamental du feu aussi bien que les principaux thèmes qui s'en dégagent et quis e rattachent à la vie préhistorique : la faune, la flore, la terre, l'homme et la société.

Quant à la deuxième partie, elle porte notamment sur l'architecture de l'ouvrage, le genre auquel il appartient aussi bien que les caractéristiques essentielles du style.

Dans la conclusion, il est surtout question de l'orginalité du travail et son importance.

D'ailleurs, vu la nature de ce livre qui mélange adroitement science et poésie ou réalité et fiction, cette étude se penchera sur ces deux éléments et leur fusion réussie dans un cadre littéraire attirant.

Deuxieme partie

L'abord littéraire

Architecture-technique-genre-style

1- Architecture

a) *Le texte :*

Surmontant les difficultés de la nature, combattant les bêtes et les hommes, Naoh, avec ses fidèles compagnons Nam et Gaw, réussit à reconquérir le feu perdu par sa tribu, découvrir la technique de la production volontaire du feu et obtenir la belle Gammla. L'avenir "innombrable" s'ouvre à lui et à l'humanité entière.

b) *La division :*

Le récit se divise en trois parties distinctes :

Premiere partie :

Départ de la quête à la suite de la défaite des Oulhamr et de la mort du Feu, embûches dans la savane et la forêt, rencontre avec les animaux

---

(3) Ibid, p. 10.

pour conquérir un monde nouveau, surmontant tous les obstacles-souffre d'une crise réelle. Or, à cette époque, la découverte géographique du mondeest Terminée. Les aventures et les inventions imaginées par lesgrands écrivains et qui paraissient impossibles et incroyables sont éclipsées par les progrés scientifiques réels. En d'autres termes, "le réel risque de dépasser l'anticipation.... La plus passionnante des aventures ne seraitelle pas notre propre histoire, l'aventure humaine de la préhistoire ? " (1)

Rosny conçoit pleinement que la préhistoire, autant que l'avenir, constitue dorénavcnt le seul voyage favorisant la fiction. En effet, la préhistoire constitue au début du XXE siécle un champ fécond d'évasion et de création. Les romans prrhistoriques se multiplient : *"Récits de l'Age de Piere"* de H.G. Wells, *"Avant Adam"* de Jack London etc.... Rosny débute dans cegenre par *Wamireh* en 1894. Lecteur en 1883 du *"Prehistorique"* de Gabriel de Mortillet, suivi sept ans plus tard des *"Origines de la chasse et de la peche"*, Rosny voit dans la préhistoire une source originale d'inspiration. *La querre du feu* le prouve. Dans sa dédicace à Théodore Duret, Rosny fait remonter ce voyage à "la trés lointainepréhistoire, au temps où l'homme ne traçait encore aucune figure sur lapierre ni sur la corne, il y a peut-être cent mille ans. (2) Certains chercheurs vont au-delà, ils comptent même par millions d'années.

La beauté de ce travail est notamment accentuée par la vérité des éléments scientifiques et préhistoriques attestée par les illustrations expressives de Françoise Boudignon et la description de l'homme-ancien : les Dévoreurs-d'Hommes, les Nains-Rouges, les Hommes-au-Poil-Bleu etc...., des protagonistes animaliers" tels le lion géant, l'ours gris des cavernes, l'énorme mammouth etc..., d'une végétation et d'une nature différentes des nôtres.

"Le génie de Rosny amé est certainement d'avoir choisi le théme fondamental de la trés lointaine préhistoire, d'avoir choisi ce moment

---

(1) *La gueıre du feu*, J.H. Rosny amé, Le Livre de Poche, Jeunesse' Robert Boıel-Rosny, 1à77.LLLibrarie Général Franicae, 1780, pour les illustrations. Introduction par le projesseur Louis-René Nougier, directeur de l'Institut ppréh 'Aitstorique de Urinl'ersié de Toulouse: p.8.

(2) Ibid, p. 18.

La Guerre du Feu

de

J·H. Rosny ainé

PREHISTOIRE

La Découverte du feu

dans un contexte littéraire

Par

Nirvana Harraz

Professeur - adjoint a

l'Universite de Helouan

Introducion

Acquis à la science et à la poésie, Rosny aıné est, aux yeuxdes sprcialistes comme Bergier Baronian ou Nougier, le véritable fondateur dugenre: il réussit le premier à utiliser l'hypothése scientifique comme moteur du roman et à créer des univers dont les êtres et les lois nous sont tout à fait étrangers. Nous y rencontrons des végétaux qui pensent des animaux qui parlent et raisonnent; autant de thémes qui seront développés par la science-fiction moderne.

S'il réusit dans les romans de la préhistoire ou de la science-fiction ce n'est pas uniquement grâce à des qualités qui leur sont propres, mais plutôt à ce qu'ils sont les premiers du genre. C'est vrai que Joseph-Henri Boex nous laisse une productionénorme: cent sept romans publiés sous son propre nom et prés de cinquante avec la collaboration de son frére, mais il n'acquiert son véritable succés qu'avec les romans de la préhistoire dont le plus célébre est sans doute *La Guerre du feu,* publié enfeuilleton en 1908 et en édition complète en 1911. Etroitement lié aux grands scientifiques de l'époque, Rosny écrit les Xipéhuz appartenant à la science-fiction à laquelle il consacre le reste de sa vie. Ses ouvrages de science-fiction le sont plus que ceux de Jules Verne qu décrit surtout le monde connu, y ajoutant des éléments de science-fiction.

Ceci n'est point extraordinaire car vers la fin du XIXe siécle, le roman d'aventures-dont le théme principal est le départ d'un héros

REFERENCES

— Dinnerstein, Dorothy. *The Mermaid and The Minotaur*, Harper & Row, N.Y., 1976.

— Eisenstein, Hester. *Contemporary Feminist Thought*, G.K. Hall, Boston, 1983.

— Ellman, Mary. *Thinking About Women*, Virago, London, 1979.

— Jardine Alice. "Women in the Plural : Feminist Theories and Practices" A lecture given at Heliopolis Public Liberary Cairo, April 1st, 1987.

— Jenness, Linda. *Feminism and Socialism*, Pathfinder press, N.Y., 1972.

— Kessar, Helen. Feminist Theatre, macmillan, london, 1984.

— McAfiee, Kathy. and Wood, Myrna. "Bread and Roses", *Radical Education Project*, Detriot, 1969.

— Mc Ferran Ann. Interview with Caryl Churchill, Time Out, october, 1977.

— Mehrhof, Barbara. "Class Structure in Women's Movement", mimeographed (N.Y., *The Feminists*, November, 1969).

— Rich, Adrienne. *On Lies, Secrets and Silence*, Norton, N.Y., 1979.

— Spender, Dale. *Feminist Theories : Three Centuries of Women's Interllectual Traditions*, Women's Press, London, 1983.

— Wandor, Michelene. *Understudies : Theatre and Sexual Politics*. Methuen, London, 1982.

— Wandor, Michelene. *On Gender and Writing*, Pandora Press, London, 1983.

— Wandor, Michelene. *Plays By Women*, Vol. 1, Methuen, London, 1984.

— Webb, Beatrice. *My Apprenticeship*, Penguin, Harmondsworth, 1971.

— Yates, Gayla Graham. *What Women Want : The Idea of the Movement*, Harvard University Press, Cambridge, 1975.

1. Gems, Pam. "Imagination and Gender", ed. Wandor, Michelene. *On Gender and Writing*, Pandora ress, London, 1983, p. 149.

2. Wandor, Michelene ed. *Plays By Women*, Vol. 1, Methuen, Lodon, 1984.

3. From "Woman in the Plural : Feminist Theories and Practices", A lecture given at Heliopolis Library on April 1st 1987 by Dr. Jardine, Alice, Professor o Romance Languages and Comparative Literature, Harvard University. She based her idea of re-vision. on Rich, Adrienne. *On lies, Secrets and Silence*, Norton, N.Y., 1979.

4. Dinnerstein, Dorothy. *The Mermaid and The Minotaur*, Harper & Row, N.Y., 1976, p. 161.

5. Mehrhof, Barbara. "Class Structure in Women's Movement", Mimeographed (N.Y., *The Feminists*, November, 1969), pp. 1—2.

6. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., p. 39.

7. Interview with Ann McFerran, *Time Out*, 21—27, October, 1977.

8. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., p. 71.

9. Kayssar, Helene. *Feminist Theatre*, Macmillan, London, 1984, pp. 132—33.

10. Ibid., p. 133.

11. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., p. 47.

12. Keyssar, Helene. Op. cit., p. 133.

13. Stone, Betsey. "Women and Political Power", ed. Jeness, Linda, *Feminism aad Socialism*, Pathfinder Press, N.Y., 1972, p. 33.

14. Webb, Beatrice, *My Apprenticeship*, Perguin, Haimordsworth, 1971, p. 223.

15. Kayssr, Helene. Op. cit., p. 134.

16. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., pp. 71—2.

17. ———, Michelene. *Understudies : Theatre and Sexual Politics*, Methuen, London, 1982, pp. 64—5.

18. Kayssar, Helene. Op. cit., p. 134.

19. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., p. 103.

20. McAfiee, Kathy. and Wood, Myrna. "Bread and Roses", *Radical Education Project*, Detroit, 1969, p. 35.

21. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., p. 134.

22. Kayssar, Helene. Op. cit., p. 140.

23. Wandor. *Plays By Women*, Op. cit., p. 13.

24. ———, Michelene. "Masks and Option", *On Gender and Writing*, Op. cit., p. 1.

a crucial step in overcoming oppression. They foresee the next step — re-creation of men's and women's relationships to each other — as more difficult than any change yet attempted.

Feminism is a political movement that has developed a wide range of ideologies. In this concern, the four plays, under discussion, are overtly didactic. They preach feminism, inspire and instigate change. The plays, therefore, adopt a strategy of transformation, a metamorphosis of contexts, actions and characters. They do not rely on self recognition but on the recognition of others and the transformation of the self and the world. Characters change in front of our eyes, sometimes gradually and sometimes suddenly. Stas' metamorphosis in *Dusa, Fish, Stas and Vi* from physiotherapist to a high-class call-girl is startling. The world in which characters exist is non-naturalistic, fragmented and diverse. However, *Dusa, Fish, Stas and Vi* is more realistic than "the daring time-chopping structure of *Tissue*" (23). Music serves to link the scenes, conceived as movie takes. *Tissue* and *Dusa, Fish, Stas and Vi* present contemporary scenes whereas *Vinegar Tom* and *Aurora Leigh* retell history from a female perspective. *Tissue* and *Vinegar Tom* deal explicitly with female sexuality, the other two plays do so implicitly. In *Tissue* female sexuality is biologically defined, in the other plays, it is defined in social gender roles. Characters in *Dusa, Fish, Stas and Vi* are exclusively women, the other plays have men in them. Each of the female characters is a type but the majority resist stereotyping. In all the four plays, women are theo entral protagonists, the main explorers of their own dilemmas, relationships and destinies.

None of the four plays "would or could have been written ten years ago, before feminism had focussed a new, questioning spotlight on the experiences of women in the theatre" (24) in Britain.

heroine. She seeks artistic, economic and sexual independence. The focus of the play is not on her persecution for daring to step outside the social norms as in *Vinegar Tom* but it is on her aspiration and achievement. She succeeds in her endeavour to achieve autonomy. In contrast to Fish, she overcomes her ambivalence and chooses for her work.

> You forget too much
> That every creature, female as the male,
> Stands single in responsible act and thought
> For I too have work to do. (pp. 111-12)

She makes use of all her artistic and political tools "so that Aurora is turning the passive nature imagery with which women have been objectified in men's love poetry into an active weapon as part of her struggle for autonomy" (21). Furthermore, she steps towards community with others — an act Fish fails to take with her housemates — but Aurora encounters Marion who was once engaged to Romney, in Paris. The need and the love of the two women for each other grants them a strength of female identity and a sense of female solidarity and sisterhood, which will be a basis of power when they meet Romney again.

> The end of the play is an alteration of Browning's poem in which a vanquished Romney, blinded in the fire that destroys his home, turns his life over to Aurora. Having depicted the steps a woman must take to achieve the kind of self-possession that would allow genuine partnership, Wandor concluded that to end with the domination of female over male was not progress but only an exchange of roles in the same intolerable structure. Her Romney thus returns to Aurora in full possession of his sight. Romney's and Aurora's reunion at the end of the play marks a rare instance in feminist drama of renewal and constructive change for both men and women (22).

Feminism to Michelene Wandor is not women over or against men. It is the mutual recognition of each other's human rights. This indicates that feminist plays are not primarily matters of revenge. Nevertheless, they argue forcefully that recognition of women by women is

Aurora's first lessons of infancy teach her to repress her feelings and to control her very thoughts. She is given books to read on womanhood to be womanly.

> To prove, if woman do not think themselves,
> They may teach thiking; books demonstrating
> Their right of comprehending husband's talk
> When not too deep, and even of answering
> With pretty "May it please you" or "So it is", (p. 107)

But Aurora prefers reading poetry and feels that she is talented to write. Her will to write is resisted as writing requires a genuine transcendence of female identity. In the sense of self-development, it is in direct conflict with the subordination and repression inherent in the feminine ideal in the nineteenth century. Besides, the self-centeredness implicit in the act of writing makes this career an especially threatening one. It requires an engagement with feeling and a cultivation of the ego rather than its negation.

Aurora's cousin, Romney disparages her desire to write and tries to convince her to make better use of her natural talents as his wife, assisting him in his work of touching "life's victims". (p. 111) Aurora refuses to be in his service as a wife.

> If I married him
> I would not dare to call my soul my own
> Which he had so bought for, every thought
> And every heartbeat down there on the bill. (p. 113)

Like Fish, Aurora thinks marriage a hindrance on her way to self-autonomy. She is ready to stand alone in charge of her life away from men because as it is believed,

> A woman of any class is expected to sell herself — not just her body but her entire life, her talents, interests, and dreams — to a man. She is expected to give up friendships, ambitions, pleasures, and moments of time to herself in order to serve his career or his family (20).

Aurora chooses to "write to live, live to write" (p. 108). She refutes the assumption that women are intellectually inferior to men or that writing is selfish, unwomanly and unchristian. She is a genuine

She feels aching discomfort and loss. She has to adapt herself to the new circumstances and learn new customs. If she marries someday she will not have children because the hormone produced by pregnancy may affect any cancer cells she might have lying dormant. She cannot face people or look in the mirror, "it will always be right shoulder to the mirror. Then I will turn full frontal and see one breast approaching opulence, I will always notice it curving round me and marking "It was here". I am disgusted My mark of degradation. It is so humiliating and demanding of attention". (scene 33, p.91) Sally cannot pull herself together and forget fear. She cannot imagine that time will remove that red scar. It will beome pale, smooth and sunk into the skin. Besides, medical research into cancer is advancing fast. A breast can be reshaped by inserting a pad of silicone under the skin. Then no need for fear or shame. One day, Sally will stand in front a mirror and feel the air on her skin. She will find it fine and fun because:

> Then I think what does it matter that a breast is not there,
> because I am alive. (scene 50, p. 99)

Commenting on the play, Louise Page says, "I write plays because I want to say things". (19)The play is not only directed to hundreds of women who have mastectomy, but it is also directed to women in genral. Sally's mastectomy is used as a political tool to challenge the predominant cultural definitions about femininity. Mastectomy is neither humiliating nor is it a mark of a woman's degradation. Losing a breast is not more important than losing an eye or a hand. But so long as women limit themselves to the same criterion of sex set by man they will not liberate themselves from man's exploitation as sex objects. Women have to change the male-derived ideas and images about themselves and raise a new female self-awareness.

Women's struggle against the male's cultural tradition is an extensively explored theme in feminist drama. Pam Gems deals with it in *Dusa, Fish, Stas and Vi* and her heroine's attempt ends by suicide. Michelene Wandor treats the subject in her verse–drama *Aurora Leigh* but with a different approach. The play is based on Elizabeth Barret Browning's epic poem (1857) of the same title. Aurora Leigh is the heroine and the play centers around her presence and voice. She seeks autonomy in an age where girls were brought up in repression, concealment and self–censorship.

stop it. She has got secondaries and finds it difficult to explain to her children. The lady is horrified of what might happen to her children if she dies. She wants to survive, no matter how she looks because her relationship with her husband "wasn't much good before, just worse after". (scene 35, p. 92).

As Sally is on her bed memories emerge smoothly moving and blending inner suffering softly not through screams or yelling. She takes the audience on a long tour of physical examination's, from tranqullisers to mammogram and then to biopsy. Even the inside of Sally's breast is minutely charted.

> Their components interlaced like a clump of trees on the skyline before the dawn. Blue, blues and bluish .... In one there is a blue shadow like the moon behind thick clouds. (scene 16, p. 84).

Sally is taken from the outpatients to be operated on. Her imagination is operative under the effect of drugs. Scenes quickly merge into scenes. The past intensifies the pain of the present which in turn foreshadows her fears about the future. Thinking about her ex-lover she asks her brother, "Simon, would you sleep with a woman without a breast?" (scene 34, p.91) Sally does not know whether it will be the same or different between her and her lover. She wonders if he can bury his face between a lone breast. Her anxiety is suppressed when each casts the other a ghostly look and the lover says nothing about coming again.

Sally's psychological torture is presented in nightmarish scenes. The irrationality and absurdity of those horrible dreams are interrupted by oppressive and paralysing physical pains. Sally opens her eyes to realize that she is still alive but her breast is gone.

> No one has told me what they have done with it. Whether it collapsed itself to be accommodated, nipple upwards in one of those dishes, . . . or it was just put down somewhere, on some convient surface after its nature of a pink blancmange with a cherry on top. (scene 13, p. 83)

Before writing the play she visited the mastectomy association to put her in touch with several of the members who are prepared to talk about their mastectomies in order to help other women. She wanted to bring home to people the exact sense of losing a breast.

The playwright strips her protagonist of all her defences so that we may see and acknowledge the true psychological and physical suffering of a woman threatened by mastectomy. Sally's sexual identity is biologically defined. It is problematically varied and the world in which she lives is fragmented and diverse. All her life-history is flashed back into her room in the hospital. Every detail is thoroughly examined under the effect of drugs. Scenes from the past are recapitulated. Sally's mother watching her daughter's body changing and becoming a woman comments:

> Her body taking on contours. I watched her as her body tried to copy mine as I had tried to copy my mother's. I watched her as she began to look in the mirror closely. (scene7,p.77).

Sally does hard physical exercises to make her breast grow. She wants to buy a bra and her brother, Simon, reads the bra ads to give her advice. He wonders if his sister's will develop as big as those in the magazines. He sees pictures of ladies with no clothes on but he wants to see some real ones. These scenes expose how the cultural environment teaches women and young girls that breasts are important for their feminine appearance. They also remind the audience of the way young boys build up body images of the other sex. Moreover, they intensify Sally's fear and pain when she discovers that her breast must be removed.

> Why me? It is a question as unsolvable as why I am here? Why me? (scee 1, p.77).

Sally is not the only woman in the play who suffers cancer. We hear about her boss' wife who wrecks her life when she tries to avoid mastectomy to keep her body whole. She prefers losing a life to losing a breast. Because her husband admires her body she thinks he means it must be complete. The husband seeing his wife losing fight with cancer explains himself. "I did not ask her to be beautiful but to be there". (scene 40, p.95) Another patient wonders why they do it if they don't

only after experiencing injustice in a man's world. Alan is, likewise, a contemporary image of the persecutors. He loves Fish and is very supportive and encouraging but all of a sudden he gives her up. Alan's behaviour directs attention to the position of the so-called male-feminists and puts them in question. Are they promising supporters to the feminists' efforts to change the epistemological roots of culture ?

The awareness of sex-based sources and behaviour by the criterion of sex is a force in breaking cultural sexual stereotyping and in changing men's and women's ideas about themselves. The focus for this feminist thinking is on seeking a new female consciousness and a new definition of what it means to be female. Feminists adapt new politics whereby the male definition of women as sex object is turned into a political tool for consciousness-raising and for establishing new awareness out of very special female experiences. They write freely with a new confidence about feminine matters as a new area man does not dare to explore.

Louise Page chooses the taboo subject of breast cancer as a specific feminist subject matter for her fast-moving impressionistic play *Tissue*. She does not present women in their social gender roles as in *Vinegar Tom* and *Dusa, Fish, Stas and Vi* but in their biologically defined sexual identity. Close to the traditional image of wife and mother, is woman's body image. Page makes use of woman's body image to reveal how it is conceived, not only by men but also by women themselves. She is not defining any biological differences. She is simply exploring culturally derived concepts about the how of the woman's body. Man establishes large industries for the fashion in dress, cosmetics and hair dressing to keep woman in the image he desires, with smooth body and buxom breasts. Breasts are of a primary importance to woman's body image. They are a universal symbol of womanhood. Nevertheless, a great number of women suffer mastectomy. Man's dominant definitions of femininity made it difficult for them. If they lose a breast they will not fit in that image and will become déclassé.

Louise Page focuses a new questioning spotlight on the experience. And to probe the pain in that genuine subject she attempts answers to some questions. What is the importance of a breast to a woman? How does she feel if she has breast cancer? Can she get back to normal after losing a breast? Is there any difference? What is the effect on others?

Fish's suicide focuses attention on the "limitations of individual effort and the insufficiency of the liberation of women as a separatist endeavour. Fish tries to change herself, but she cannot overcome the mental structures of class and gender in which she was raised. "(18) Her end implicitly refutes the claim that women are victimized mainly in the economic class structure. In Caryl Churchill's *Vinegar Tom* oppression is total on the rich and the poor women. Though they are not removed from the company of men as Pam Gem's Dusa, Fish, Stas and Vi yet they are presented as a separate sexual class. All women suffer in a sexual class structure created by men's authoritarianism. The economic class structure emphasised by Fish contrasts with the sexual class structure in *Vingar Tom* in that its aim is basically a siocial class modification, while the sexual class structure seeks a cultural change. Fish's suicide, thus, indicates that women's oppression in *Dusa, Fish, Stas and Vi* is related to the cultural attitudes and institutions, rather than to a particular male-derived political and economic system. Caryl Churchill and Pam Gems assert that if both men and women recognize the injustice and intolerance prevalent in their social sexual roles and in the attitudes based on them they can change their beliefs, behaviour, conceptions of themselves and of what is possible for them to do.

Vinegar Tom and *Dusa, Fish, Stas and Vi* present the agony of specific female experiences in two different ages. The existing cultural roots that govern our contemportary life demonstrate no much difference between the position of women in the two plays. Fish, the twentieth century liberated woman, is not saved from an end similar to that of the persecuted witches. Compared to them, she is from a higher social class, financially better off, educated and occupies a distinguished poisition as a working woman and orator of a socialist party. Because she wants to free herself from the limited roles of wife and mother she is faced with fear, disdain and resistance. Fish is a modern variation on the seventeenth century image of the witch and the shrew. Stas, the high-class -girl is also another variation on Alice but she is intelligent enough to save herself. Alice and all the other women in *Vinegar Tom* are not only separated from men but they are also divided from each other, whereas Stas enjoys solidarity and sisterhood with her housemates. Stas gives and takes much from men on the condition that she won't let them affect her life. Dusa and Vi overcome their crisis and that was

society but they are also the mothers. If they want to find an equitable way of living they have to deploy, not fight and violence, but the strength of spirit and love. Fighting is not for women but non-violence can be practised by everyone. It can make women as potent as the strongest men. Fish dies because she could not and would not fight. She espouses pro-working-class politics but lacks the working-class qualities of survival.

Michelene Wandor in *Understudies* demonstrates that Fish is presented as a political activist to explore her human sympathies and to reveal whether she can combine her psycho-sexual demands of being a female with being a liberated woman and leader of a left-wing political group.

> The play treats Fish's dilemma poignantly when she is torn between trying to feel differently and trapped in jealously and loneliness; but in setting her apart from the others as the only "politico" and in bringing her to suicide, there is an implicit judgement that political commitment either blocks people from coping with their emotions, or makes them even more vulnerable to their own moralism; they try piously to change the world on behalf of the working class but cant even get their own lives together. Matters are compounded by the fact that as far as one can tell Fish is not a feminist and therefore has no theoiy other than her mechanistic socialism to fall back on. Th. play asserts the dilemmas without exploring them. (17)

Fish is not like Michelene Wandor's heroine Aurora Leigh. Fish is defeated by the apparent opposition between her love and autonomy. Her liberation is insufficient to protect her from an emotional crisis. She inspires Dusa and Vi to fight for control over their lives while she herself is giving way. She attaches herself to middle class values because in upper classes men have more real power derived from social status. She thinks Marxism is a sufficient basis for the liberation of women. Nevertheless, she is oppressed by a marxist. Alan is very supportive but when her liberation goes against his own will it becomes out of the question.

from the chandeliers. . . I have done". (act 2,p.60) Fish tries to live as a liberated woman but she finds resistence. She the upper-middle class who gives help but is unable to receive it. She feels cheated and tired. "There is no love, and Ican't face the thought of fighting. . . My loves, what are we to do? We won't do as they want any more ,and they hate it. What are we to do" (act 2,p.70). She collapses under her socialist fervour and is unable to cope with life without her lover.

> Fish is unable to resolve the conflicts between her political theory and her personal inclination to subjugate herself to her lover that she suffers so intensely and finally kills that suffering and herself. Faced with the difficulty of being productive and reproductive, of being workers and mothers, of achieving and nurturing, each of the other women has narrowed her desires and commitments : Stas commits herself to her profession, Dusa to her children, Vi to her body. Fish is greedier than the rest, less willing to settle for what she sees as half a life. (15).

Fish's suicide shocks the audience. It also provokes controversy because she is associated with left-wing politics. Some socialists and non-socialists consider it an assault on the left. But Pam Gems defends herself and clarifies the motive behind Fish's suicide at the end of the play.

> I now think that the reason for Fish's decision not to live was failure of love. The antagonism between the sexes has been painful, an indictment of our age. It is true that many women have been drawn, properly, to the Women's Movement after abuse by bad husbands, fathers...they have had hopes pushed aside, seeing brothers favoured from infancy. It makes for grievance, fear and resentment...Fish had tried a new, sharing life with her lover. He didn't want it...he felt better off in a traditional relationship. And she couldn't, wouldn't fight ... Fish does not want a fight. Not in the name of love. And without love she dies. (16).

Pam Gems considers the antagonism between the two sexes responsible for Fish's suicide. In this, she places on women the responsibility as equally as she places it on men. Women are not only half the

and gives a hand to the middle class. She believes in the ideologies of socialist-feminism which asserts,

> The reason we are oppressed as women, the reason we are discriminated against on the job, the reason we don't have free child care, is not because of the psychological traits of males, but because equal pay and free child care go against the interests of a capitalist, profit-oriented system. If we want to win our full liberation, we are going to have to oppose the political parties that perpetuate that system, and expose them for what they are-rotten, undemocratic, and unrepresentative of the needs of the . . . people.(13)

In Britain, socialist-feminism places its emphasis on associating gender analysis with class analysis so that women's social and economic liberation may urge rather than follow stuctural changes in society.

Fish sees that it is the class system itself, created by capitalism,, that oppresses women. Women's oppression originated in the development of a class society based on private property. Prior to the rise of capitalism, women and men were equal in sisterhood and brotherhood. Therefore, Fish admires and defends middle class values and when she loves she chooses a man devoted to the same values and the same political party. She attempts to find a new equitable way of life with Alan because she cannot "have a career and five abortions in the name of progress. Tha t's a fashion I,ll leave out. We have to break new ground. Together". (act2, p. 67). Fish thinks motherhood will drain her political and intellectual energies. She wants "to remain celibate; so that the special force of womanhood - motherly feeling-may be forced into public work".(14) She refuses Alan's proposal "because he wanted it to shut me up". (act 1,p.52) Alan admires Fish's social career but he needs her as a wife and mother of his own children. He prefers a traditional relationship and she won't give him what he wants. Alan preferes marrigae to struggle and politics. Fish too implicitly prefers love to freedom. Drinking a toast she says, "To love. . . Freedom". (act 1,p.58) Fish cannot live without love. She is so full of Alan's love that she cannot bear the news of his marriage. She makes a fool of herself, "I'm prepared to change myself! Anything he wants! I'll swing

and prudent. She cares about how to live and the why of life is a meaningless question to her. She is a realist and more practical than the other three. Unlike Fish, she does not see the importance of changing things because her old father taught her "that there is tendency in the world for things to collapse". (act 2, p. 61) She believes in using science for our good. Science can "replicate people now...can cross-breed. A deer with a monkey...an elephant with a cow...Fifty years from now we shan't need Concord, we'll all have fins and feathers". (act 2, p.61). Stas does not like the way Fish lives. She believes that her attitude and talks are only a fashion. Fish does not have to get involved in a political activity on the side of the middle class, "She can slum as much as she likes, she's never going to be one of the workers". (act 1, p. 55). Stas also advises Fish to forget Alan and stop bothering about him because he is not for her romantic love. Stas' attitude towards men is different from the others. She saves herself the trouble of fighting against men because she needs them. The moment she has her air-ticket to Hawaii she declares, "no more appointments after this month". (act 2, p. 66). Unlike the others, she avoids for herself the pain of an abortive experience because she is aware that if she loves she will do what a man wants. As the four "women's lives interrupt, punctuate and support each other, a structure emerges similar to that of a jazz quartet. In this structure, it is Stas who provides the counter-melody, the disconcerting sounds and images that make us pay attention". (12)

Fish is an upper-middle class intellectual, passionate and caring. She has the self-confidence and courage of her class. Searching for the way to confront political and social problems without malice she attaches herself to a political group on the left and seeks an adventurous and supportable way of life with her friend, Alan. Fish represents the modern woman torn between her traditional role and her social duties as an individual with a free will. She places her psychological struggles in the context of politics and accepts the notion that women's personal life is connected to political life. Like numbers of women in Britain who are active on the new left or members of the Communist Party, the Labour Party Young Socialists and the International Socialism Group, Fish becomes an effective orator for a left - wing political group. Though she belongs to the upper-middle class she cares about

> Not one of these women is perfect in her generosity or recognition of the others, but they do learn and change from their failures. Not one of them is a model of the "ideal" woman, but, importantly, the absence of deceit and manipulation among them serves as a model for how women might be together. (10)

Vi is the youngest of the four women. She belongs to the urban working class. She is a waif given house room by Fish. "She is one of the vast numbers of working-class adolescents who are bright, restless or maladjusted enough to leave home and hit London, or any capital city". (11) At the beginning of the play she is anorexic and physically weak but after a short stay in hospital she returns with "Hitler's best buddy" (act 2, p. 61). Vi manages the household. She cooks and cleans and sometimes she plays the part of the housemother. Like Dusa she suffered an unfruitful relationship. She had an unpleasant experience that ended by abortion. Now, she is aware that "men have a tendency not to disapprove of rape, that is, unless their own mother, wife, daughter or sister are involved. When this is the case they are liable to become...hysterical" (act 1, p. 53). Vi learns a lot from her past experience and she is willing to help both Dusa and Fish to overcome their emotional distress. She bursts out blaming Diusa.

> Well, it's her own fault! What did she let him treat her like dirt for? She really let herself go, it's ridiculous...bloody pushchairs, he got fed up with it,...Why don't she stand up for herself, it's ridiculous ! (act 1, p. 56)

Vi suffers unemployment and lives on her social security. However, she advises Dusa not to confine herself to the role of the mother and the housewife and she herself surprises us with her traffic warden's uniform at the end of the play.

Stas is the most overtly divided of the four women. She works as a physiotherapist in a London hospital during the day and at night she works as a high-class call-girl to save money to do graduate work in marine biology in Hawaii. She transforms herself from an unremarkable, plain working woman to a "creature of sumptuous and startling beauty" (act 1, p. 47), before our eyes. She is reliable, efficient

devided from each other by men. Removed from the company of men in *Dusa, Fish, Stas and Vi,* women live together in concord. Each of the four women attends to the other's needs "and it is the ability–or inability–of each of the women to be responsible to the others that establishes the main tensions of the drama...In isolation, each of these women's struggles would be poignant but flat; juxtaposed to each other, each women's battle for strength and survival inspires the others and points to deep social structures that support patriarachy and women's own weak self–image." (7)

Dusa is in her late twenties. She represents "a Vogue fashion model, off duty". (scene 1, p. 47). Her dream was to be married and to have children, " I wish I were a cat or a horse. I'd have one a year!" (act 1, p. 52) She prefers to be fully feminine in the uniquely female order of bearing and nurturing children and having sexual relations with those children's father. None could have worshipped her husband more than she did. She worked all through the pregnancies, washed his socks and painted the wall. Dusa considers marriage a social duty, a personal fulfillment but nevertheless all of a sudden she finds herself abondoned, homeless and penniless. She suffers both as a deserted wife and as a mother deprived of her children. She complains of man's oppression, "In the old days first their mothers, then their wives...cradle to grave support systems" (act 1, p. 57). Fish, the owner of the flat, advises her that it is "Time to change the rules" (act 1, p. 57). Fish thinks that Dusa can change her weak-self image into something better. Female weakness can be changed into female power. Women's power of nurturing, of mothering, first of the child, then of the man, gives her the power foı determining the manhood of man. Dusa is responsible for giving her husband the chance to treat her like dirt.

The play calls for some degree of attention to the woman as a changing, growing individual in a changing world. The other three women in the play react against their enclosure within the four walls of home and advise Dusa to start fighting but she has no energy. She is hooked on valium and heavily tranquillised to cope with the abscence of her children. She is supported and helped to retrieve her children and she herself in turn gives a hand to the others when needed.

women's audience wheras some men were upset by it. They felt accused by the songs the playwright made use of to shift attention from the horror of the past to the contemporary oppression of women. The songs are peformed in contemporary dress to emphasise the continuity between present and past and to provide a contemporary commentary on the action. The play is thus a re-vision of the history of the past and the present and through this re-vision Caryl Churchill makes a new kind of history– of the theatre and of society.

Unlike Caryl Churchill's *Vinegar Tom,* Pam Gem's *Dusa, Fish, Stas and Vi* is about contemporary survival. The play shows the lives of four young women as under a microscope. The play is void of men characters but men are only present in references in the four women's conversation. However, the absence of men on stage becomes itself a significant device to assert that women cannot gain their liberation by separating themselves from the male's societies because communities of women exist in a larger society that includes men. It is very difficult for women to become liberated because of the social pressures around them. Pam Gems explains that

> It seemed to me when I was writing the play that for all the rhetoric, and the equal opportunities, and the Sex Discrimination Acts, that society had not moved one step towards accommodating the other fifty per cent of us and our needs. Not that the age of industry fires the imagination of any of us too much, men or women. But to be told, as women, that we were to be allowed to join, as fully fledged citizens was one thing. How we were supposed to do it, and breed and rear our young, particularly in a country which since the war had chosen to build offices and high-rises rather than houses where people might live in some sort of dignity and privacy – well, we've seen the result of all that. (8)

Dusa, Fish, Stas and Vi explores the psychology of women on the one hand and their social and political status on the other. The four women's failure to establish fruitful relations with men is a forceful indictment of the society itself. In Churchill's *Vinegar Tom* women are

The torture and the suffering of the women who attempt to defy the established conventions are thoroughly depicted to ensure that women are separated out in humanity and their humanity is denied as inferior beings whose only purpose is to enhance men's lives. Christain teachings against women and the connections between medieval attitudes to witches and continuing attitudes to women in general are also explored. Kramer and Springer, the Professors of Theology, explain why witches are predominantly women. They base their assumption on the role of Eve as temptress in the Fall. Thus women are assigned to a place of moral and intellectual inferiority in the universe. They are also "feebler in both body and mind" because Eve was "formed from a bent rib." (scene 21, p. 37)

There is no real witchcraft in the play. It exists only in the mind of the persecutors. All we can see is that "All witchcraft comes from carnal lust which is in women". (scene 21, p. 38) The witches are scapegoats for the male's bias, inconsistency and infirmities which men cannot acknowledge as their own.

Vinegar Tom is not only about women and addressed to women but it is also an attempt by a female pen to break the hold of social pressures and constraints on women. The play does not only explore the witchhunts of women in the seventeenth century but it also demonstrates twentieth century feminist consciousness.

Speaking about playwrighting and her own personal experience, Caryl Churchill says,

> ...for years I thought of myself as a woman, but recently I've found that as I go out more into situations which involve women, what I feel is quite strongly a feminist position and that inevitably comes into what I write..However, that's quite different from somebody who is a feminist using writing to advance that position (7).

The play is a sincere expression of Churchill's feminist position. It received a very good reaction when it was presented at the Humberside Theatre, Hull, on 12 October 1976. It gathered a large number of

Punishment is death for those who dare to step outside the social norm. Wives cannot even decide for themselves whether or not they wish to bear children. They have no right to control their own bodies. Susan has three children but her husband wants more. She is forced to resort to dangerous means to prevent the birth of unplanned children that wreck the chances of a decent standard of living for the family. Aborting a fetus is a sign that she is wicked and possessed and she has to pay with her life for it.

Men as a class have more power than women and if women live without men they sink in the social scale. It is not safe for women to live alone. If they "float" they are witches and if they sink they are "dead anyway" (scene 16, p. 34) Because Betty refuses a suitor she becomes in trouble at home. They say it is the devil in her and she has to consent to their will to save herself. She seizes upon the best chance a women may have. That is to "marry a rich man, because it's part of his honour to have a wife who does nothing. He has his big house and rose garden and trout stream, he just needs a fine lady to make it complete and you can be that." (scene 16, p. 34) Betty is materially better off but she has no more choice or power over her life than Alice or Susan or any other wowan in the play. Marrying a rich man grants Betty her identity card, her right to existence for unless she is the wife of someone or the mother of someone, she is nothing.

The play also expresses the seventeenth century cultural attitude toward female passion as a potentially dangerous force that must be punished and confined. Whipping girls to subdue the unruly flesh and the rebelious spirit was a routine punishment. It is interesting to note that men do not only oppress women in the play but they also use their ideologies to divide women from each other and that sexual discipline in the play is administered to women by other women, as agents for men. Goody is taught by Packer how to find out witches.

> Though a mark is a sure sign of a witch's guilt having no mark is no sign innocence for the devil can take marks off. (scene 18, pp. 35–6)

herbs. She presents healing not harm and there is no devil in it, but how could she save herself a fearful end ?

> You may be a mother, a child or a whore.
> If you complain you're a witch
> Or you're lame you're a witch
> Any marks or deviations count for more.
> Got big tits you're a witch
> Fall to bits you're a witch
> He likes them young, concupiscent and poor.
> Fingers are pointed, a nock at the door,
> They're coming to get you, do you know what for?
>
> (scene 16, p. 34)

Caryl Churchill "wanted to write a play about witches with no witches in it, a play not about evil, hysteria and possession by the devil but about poverty, humiliation and prejudice, and how the women accused of witchcraft saw themselves".(6) The witches are victims of men's oppression, of sexual exploitation and of the conventions that consider women inferior servants of society and of men. The play reveals that women are further exploited in their roles as housewives, mothers and daughters. Women cannot live independently. They have to marry and have children and the completeness for wowen's life comes exclusively through homemaking. Women are domestically responsible for the family and for the nurture of children and they have no other strong identity as this one. The husband's conjugal rights are absolute and the wife cannot refuse his avdances. Life runs smoothly when wives see themselves as subordinate to men and as persons whose duty is to please their husbands.

There is constant pressure on all women in the play to be subordinate to men and in the image they want. Margery works all day; milks the cows, churns the butter, bakes and helps her husband in the fields. She is the server of all the family needs and the comforter of her huband's woes. She finds her security in fitting into the role set to her by society and in being dependant on a husband.

who visits men by night. Alice is a "whore, damned strumpet, succubus, witch". (sence 1, p. 18) She is aware of her sin but she has no other profession. Unlike her, Man believes that no sin is in flesh, "I think if I'm damned anyway I might as well sin to make it worthwhile". (scene, 1, p.17). Man grants only himself the right to have premarital and extramarital sexual affairs, but women are to confine their sexual expression to marriage only. If they dare do what men allow for themselves they become witches and must be hanged.

Caryl Churchill in *Vinegar Tom* is not exploring female sexuality to show only that men treat women as sex objects but she is also demonstrating that gender is shown as a class in the play. Powerful masculine superiority explicitly oppresses women as a class.

Feminism maintains that women are a separate sexual class and considers men the originators of the class structure.

> Males originated class and have fostered terrible inequities in society through the oppression of one group by another; their justification of these inequalities began when they first declassed women out of humanity. Thus, "humanity" or "society" in effect refers only to those indivduals making up the male class – all men...The class of men is self- defining and well organized vis a' vis its counterclass–the class of women. The class of women is a class defined by the class of men. Both classes together constitute all those individuals called human beings ; since, in addition , this political division, is the basic one in all societies, it is the primary class system. (5)

Women's oppression in *Vingar Tom* is equivalent to class oppression of poor. All men characters are rich and powerful while all the witches are poor and helpless. Alice's mother is an old widow. She suffers the pain of hunger and want. She too thinks marriage the only means to be better off because she can hardly find anything to eat. She begs a little small crumb of yeast to bake a couple of little small loaves and brew a little beer . Ellen, the cunning woman is likewise poor. She has done nothing dangerous and people go to her for healing with

poor, single, and sexually unconventional. They are guilty of living without men, healing, aborting a fetus and taking pleasure in sexual intercourse. For these crimes they are eschewed, made objects of horror, toitured to provoke confessions and finally hanged.

The play depicts the suffering of each of the women who attempt to defy established conventions for women's behaviour. Alice is a poor girl who supports her fatherless child and old mother. There is no way she can get money but to accept the available offers:

> If you come with me and give me body and soul, you'll never want in this world. (sence 1, p. 17)

Man is presented in the image of the devil. He is a "man in black" and of a fearful "enormous size". His body is "rough and hairy" with "great burning eyes" and "cloven feet". He tempts Alice to be an obedient servant to all his insatiable desires.

> Will you do everything I say, like a witch with the
>
> devil her master ? (scene 1, p. 17)

But Alice would rather do what gives "us" pleasure. "I'll do like a wife with a husband her master and that's enough for man or devil" (scene 1, p. 17). She would like to be his wife, not his mistress. She wants a hubsand, "a man I can have when I want, not if I'm lucky to meet some villain one night" (sence 5, p. 23). Alice suffers the pain of indigence and she is aware that her social and economic security is dependant on man and that marriage is the singular route to her fulfillment. Nevertheless, she expresses both an awareness, of, and a revulsion from sexuality. She even reveals her hatred for her body.

> Blood every month, and no way out of that but to be sick and swell up, and no way out of that but pain. No way out of all that till we we're old and that's worse. (sence 5, p. 22)

There is no way before Alice to break away from the yoke of biological femininity. She is young, beautiful and desired even by married men and a woman like her, aware of the animal aspects of her body, with its needs and appetites, and her passions is a witch, a night demon

> We are able to begin to explore, to become aware of ourselves autonomously, to be on our own feet, and to write and rewrite our own history. We have to discover who and what we are. We must discern our own needs, our demands, in order to know what our contribution should relevantly be. (1)

These four playwrights are : Pam Gems (b. 1925), the author of the above lines, Caryl Churchill (b. 1938), Louise Page (b. 1955) and Michelene Wandor who compiles the four plays in question into one volume. (2) The volume includes Caryl Churchill's *Vinegar Tom* (1976), about witchcraft in the seventeenth century, Pam Gem's *Dusa, Fish, Stas and Vi* (1976), an account of the lives of four young women, Louise Page's *Tissue* (1978), about breast cancer and Michelene Wandor's *Aurora Leigh* (1979), an adaptation of Elizabeth Barrat Browning's verse novel of the same title. The plays reveal the wide range of subject matter and style tackled by women playwrights. They explore the psychological, social and political status of women. They pay attention to the lives of women as individuals, in relation to men. With Caryl Churchill in *Vingar Tom,* this takes the form of retelling history from a female perspective. And in representing history, the play calls into question conventional notions of power and gender, of woman's social roles and their sexuality. The re-vision of history for Caryl Churchill is an "act of looking back, of seeing with new eyes, of entering an old text from a new critical perspective – is more than just a chapter in cultural history, it's an act of survival... one must know the literature of the past but *otherwise* than we have known it before; not in order to perpetuate a tradition but in order to break its hold over us ..." (3)

The play is not based on any precise historical events but it is loosely set in the seventeenth century to explore the persecution of women in the name of witchcraft. It shows how fear of female sexuality which was considered evil and coming from the devil is the main motive for the witchhunts of women in seventeenth-century England. This fear which Dorothy Dinnerstein defines as, "the crucial psychological fact... that all of us, female as well as male, fear the will of woman". (4) Most of the women characters in the play refuse the image of The Virgin and they call for a return to Eve. The women accused of witchcraft are

FEMINISM IN CONTEMPORARY BRITISH THEATRE

HANA'A HASSANEIN ALY

In the last decade, feminism has risen affecting virtiually every level of British life. It has begun to colour interpersonal relations, family life, the educational system, politics, business, the mass media, religion, law, the judicial system, the cultural value system and intellectual life.

Feminism in Britain is not one thing. It is a collection of ideas which are constantly changing and re-assessing themselves. Its aim is not to imitate the arrogance of the male patriarchy but to break its hold and reveal the weakness and contradictions of its system. The Women's Movement writes literature of it and about it, and especially in the theatre women playwrights struggle to let their voices be heard. They write palys that are informed by their consciousness of women as women. They guide themselves by their own impulses to self expression, to concern themselves with their individual identities and to articulate women's experience.

By the mid-seventies women developed their own theatre network. They established and ran theatre groups. Women's Theatre Group and Monstrous Regiment performed plays by, about and for women. They looked for women who were writing for the theature or the radio because British radio has a long tradition of drama. These theatre groups discovered a number of women playwrights, among them, four are selected to be the subject of this survey. One representative play is chosen for each to show how these women playwrights capture disregarded details of women's lives and how they strive for authenticity and refuse to go back to the same ideas or language of men playwrights.

Literaturverzeichnis

1. Buehl, Harald : Kulturpolitisches Woerterbuch, Berlin 1970.
2. Der GroBe Brockhaus, Bd. 2,8, Wiesbaden 1953, 1955.
3. Deutsche Kulturgeschiche, Im GrundriB, Hrsg. Wilhelm GoeBmann, Muenchen 1863.
4. FRIEDELL, EGON : Kulturgeschichte der Neuzeit, Muenchen 1965.
5. YAISER, GERD : Moderne Malerei und Cézanne bis zur Gegenwart, Muenchen o.J.
6. HANSEN, HEMMY : Knaurs Kostuembuch, Muenchen 1954.
7. KNAURS LEXIKON : Moderner Kunst, Muenchen o.J.
8. KONIG, RENE : Kleider und Leute, Hamburg 1967.
9. MEYERS Neues LEXIKON, Bd. 3,5, Leipzig 1961, 1964.
10. RIED, GEORG : Wesen und Werden der deutschen Dichtung, Muenchen o.J.
11. RULAND, RICHARD : Nationen im Aufbruch, Muenchen o. J.
12. STIER, HANS ERICH : Deutsche Geschichte im Rahmen der Weltgeschichte, Berlin.
13. TENBROCK, ROBERT-HERMANN : Geschichte Deutschlands, Muenchen 1965,
14. TREUE, WILHELM. rjllustrierte Kulturgeschichte des Alltags, Muenchen 1952.
15. UHLMANN, IRENE Kleine Enzyklopaedie, Die Frau, Leipzig 1964.

Anmerkungen

1. H. Buehl, Ku turpolitisches Woerterbuch, 374.
2. ebd., 375.
3. I. Uhlmann, Kleine Enzyklopaedie "die Frau", 489.
4. Der Große Brockhaus, Bd. 2, 101.
5. E. Friedell, Kulturgeschichte der Neuzeit, 1004.
6. vg . : Deutsche Kulturgeschichte, 98.
7. E. Friedell, a.a.O., 1003.
8. R. Ruland, Nationen Im Aufbruch, 29.
9. W. Treue, Illustrierte Kulturgeschichte des Alltags, 220.
10. H. Hansen, Knaurs Kostuembuch, 226.
11. E. Fridell, a.a.O., 1003.
12. ebd., 1041.
13. ebd., 10033.
14. ebd., 1305.
15. vgl. E. Friedell, a.a.O., 1051.
16. vgl. Deutsche Kulturgeschichte, 99.
17. vgl. H. e. Stier, Deutsche Geschichte im Rahmen der Weltgeschichte, 580.
18. E. Friedell, a.a.O., 1306.
19. ebd., 1301.
20. ebd., 1301.
21. vgl. ebd., 1302.
22. I. Uh mann, a.a.O., 497.
23. Deutsche Kulturgeschichte, 122.
24. vg . ebd.; 123.
25. Der Große Brockhaus, Bd. 8, 340.

SchluB: Einige Gedanken zur Mode der gegenwaertigen Zeit
Wir leben heute in einer unruhigen Zeit, in einer Zeit der Unausgeglichenheit. Die Atomzertrümmerung hat nicht nur auf ihren Gebieten der Chemie und Physik groBe Veraenderungen hervorgerufem. Sie hat auch ihren Schatten auf das Leben des Menschen geworfen. Vieles ist "zermmert" worden, was früher heilig war; vieles Belastende wird dabei trüber Bord geworfen, aber auch viel Schoenes verschwindet. Die Wissenschaft hat neue Erkenntnisse hervorgebracht, die Technik hat sich gewaltig entwickelt; Raumfahrten, früher der Traum eines phantasievollen jungen Menschen, sind in die Konkurrenz der Gro Bmaechte getreten, Menschen haben ihren FuB auf den Mond gesetzt, damit sind zu neuen Forschungen die Wege geebnet.

Der Mensch lebt inmitten aller dieser Geschehnisse sein Leben, es ist erregend geworden, nicht mehr stabil, und wechselt von Esxtrem zu Extrem.

Auch die Mode ist wieterhin in die Selbstgestaltung der Massen mit hineingezogen wotden, sie gibt ihnen das Profil und spiegelt den Geist der Zeit wieder, sie wandelt sich heute noch schneller. Auf den übertrieben kurzen, den Mini-micro-Jupe, folgt der Midi-maxi, der Geschmack geht unbekHmmert mit, das Auge gewoehnt sich. Doch wie jeder Stil lebt, waechst sich zum Hoehepunht entwickelt und eines Tages stirbt, werden auch die heutigen Lebensgewohnheiten anderen weichen. Die Keime fHr das Neue schieBen schnell hoch, was gerade die modernste Zeit beweist.

Es bleibt nur die Hoffnung, daB sich der Mensch seines Wesens bewuBt bleibt, daB er seinen Geist, seine Menschenwürde nicht vergiBt.

Die Maennerhleidung veraendert sich in dieser zeit wenig, sie behaelt ihr charakteristisches Bild aus dem vorigen Jahrhundert. Was sich veraendert, ist hoechstens die Laenge des Jacketts und vielleicht seine Form. Die MaBanzüge erhalten eine Polsterung zur Koerperkorrektur, Knoepfe dienen mehr zur Verzierung als zu einem Zweck, Taschen werden aufgesetzt oder eingesetzt. Der Abendanzug bleibt elegant, doch faellt der Zylinder fort, auch der Frack wird seltener, an dessen Stelle tritt der Smoking. Im taeglichen Anzug beginnt die Neigung zum "Saloppen", zunaechst verschwindet die Weste langsam, wird durch den neuen Pullover ersetzt. Auch fur den Herrn haben Prestigepersoenlichkeiten einen groBen Reiz, etwa der Prince of Wales wird zu solch einem Prototyp, nach ihm richtet sich die Herrenmode.

Obgleich die Raeumlichkeiten jetzt besser beheizt sind, hat sich der Herr noch nicht mit einer extra Hauskleidung be freundet, im Gegensatz zu der Frau.

c) Nebenerscheinungen der Zeit:

Die Frau ist um ihre Gesundheit, um ihre sellische Gesundung besorgt. Die von S. Freud erstmalig angewandte Psychoanalyse, der Wissenschaft schon seit zwei Jakrzehnten behannt, dringt auch zu der allgemeinen Menschheit. Der Begriff des Komplexes taucht auf, die Frau findet in ihm ihren Grund fur ihre fraulichen Leiden, sie wendet ihn bei der Erziehung und gesundheitlichen pflege ihres Kindes and und kommt dabei gar zu leicht in Ubertreibungen, aus denen dann die Modekranhheiten weden. Die billige Lektüre der Courths-Mahler, das Prob lem der "unverstandenen Frau", wird von vielen aufgegriffen.

Eine aehnliche Erscheinung ist der Glaube an ein Horoskop,[F] das taeglich im Kalender abgelesen, die Tagesstimmung skandiert, Andere neue Gewohnheiten sind das Kreuzwort - Raetsel, das in dieser Zeit verbreitet wird, und welches bis heute noch zur besten Zerstreuung vieler Menschen dient.—Modisches Zubehoer sind ferner der F llhalter, die Armbanduhr.

Kunst und Musik gehen auch neue Wege, und der moderne Mensch ist immer bereit, das "Neue" aufzunehmen, wenigstens aber sich verstaendlich zu zeigen, um als "gebildet" zu gelten und an dem Fortschritt beteiligt zu sein.

Ebenfalls legt man auch groeBere Wichtigkeit der Unterwäsche bei. Vor allen Dingen soll sie nicht dazu beitragen, daB die Frau durch sie üppiger aussieht, sie soll nicht "auftragen" und nur diskret dienen. Ein neuer Stoff, das "Jersey", ist in Mode gekommen, die Unterhemden werden in vielen Farben, den sogenannten Waeschefarben, hergestellt, mit viel Spitze verziert und finden sich im Waescheschrank jeder Frau.

GroBer Wert gilt auch dem Make-up, an man richtet sich nach der franzoesischen Art, nach dem besten Vorbild. Man schminkt sich aber nicht allein fнr sich im Hause, sondern traegt in der Handtasche Puder, Lippenstift und Augenschwarz bei sich, um sich auch auBerhalb des Hauses vor jedem Spiegel zu verschoenern.

Das Hütetragen kommt langsam aus der Mode, Man beginnt sich mit Schals ein phantasievolles Aussehen zu geben; sie werden in besonderen Knoten um den Kopf gewickelt. Hauptgrund dafür sind die neuen Frisuren, "die Dauerwellen" sind aufgekommen, fast jede Frau unterzieht sich dieser Prozedur und will sich dann auch zeigen.

Vielfach nimmt man sein Modevorbild auch aus dem Reich der Stars; eine Neuerscheinung dieser Zeit. Man kleidet sich wie "Greta Garbo" und "traegt" das Laecheln der "Henny Porten". Auch aus dem Sportbericht ist vieles нbernommen worden, so der Pullover, von Herren und Damen gleichgetragen. Aus der Welt der Arbeit entnimmt man das Oberhemd mit angenahten Kragen, das man sogar ohne Krawatte tragen kann.

Im Sport selbst gehen die Damen so weit, daB sie Hosen tragen, auf jeden fall aber die sogenannte Rockhose; das ist eine groBe Revolution, denn seit dem Altertum ist für die Frau der Rock das einzig moegliche Kleidungsstнck gewesen. Als Arbeitskleidung tritt die Hose jedoch schon ver schiedentlich auf, die Frauen, die waehrend des ersten Weltkrieges teilweise Männerarbeit machen mußten, haben sich an sie gewoehnt und wollen sie jetzt nicht lassen.

Alles in allem ist die Mode dieser Zeit, besonders das Gewand der Frau, gesundheitsfoerdernd und stoert die Bewegungsfreiheit nicht. Bedenken wir doch, wie die Frauen noch fünfzig Jahre vor dieser Zeit schon am Morgen und bis zum Abend mit einem engen Korsett herumgehen muBten, und wie ungesund es für sie war.

Die Damenmode hat auch jede überflнssige Torheit gelassen, sie ist prahtisch ausgerichtet, dem modernen Leben und dem Beruf angepaBt. Im Zeichen der neuen Sachlichkeit sind die Stoffe dieser Zeit braktisch und doch schoen. Eine Neuheit ist der Plisseestoff, ein klares Erzeugnis moderner Fabriktechnik und des neuen Reinigungsverfahrens. Stoffe gibt es fнr Kleider jeder Tageszeit, wie нberhaupt die Frau dieser Jahre einen scharfen Unterschied zwischen den Kleidern verschiedener dem sogenannten "Hemdkleid" gehennzeichnet, einem formlosen Kittel, ein Gнrtel umschlieBt es in Hнfthoehe. Die lange Perlenkette und das Muster der Stoffe stellen die spasrsamen Unterbrechungen in der schlichten Kleidform dar, die fнr schmale Frauen ist. Das Schneiderhostнm gilt als StraBenanzug, es hat groBe ähnlichkeit dem Anzug des Herrn, vor allen Dingen das "Smoking-kostüm',, das streng auf Taille gearbeitet ist, ein Taschentuch schmücht die Brusttasche.

Im Vergleich zu den prachtvollen Gewaendern anderer Zeiten sind die Kleider um 1730 einfacher, ohen viele zeitraubende Stickereien und andere kostspielige Handarbeiten–diese werden hoechstens duch Maschinenarbit ersetzt-, sie sind auch billiger, und man hat viele kleider. Als Abendtoilette traegt man lange Kleider, nachdem sich wieder einiger Wohlstand ausgebreitet hat. Sie sind zwar lang, aber verbergen nicht viel im Vergleich zu den langen Kleidern anderer Stilperioden, die der Dame ein festliches Aussehen gaben. Diese Abendkleider schmiegen sich um Hüften und Beine bis zu den Knien an, enthüllen den Frauenkoerper und sind oft im Rücken dekolltiert. Die dafür verwenkdeten Stoffe sind aus schwerer Seide, in schnell wechselnden Modefarben; lange perlenketten werden Mode und gehoeren zum Abendkleid.

In den zwanziger Jahren haben die Tageskleider der Damenmode eine Neigung zum Kürzerwerden, als ob die Frauen beweisen wollen, daB auch sie Beine haben. Der Mensch hat jetzt eine andere Einstellung zu seinem koerper. Nach 1930 werden die Kleider wieder etwas laenger, erreichen aber nicht die Laenge der Mode aus der Gründerzeit 30 cm vom Boden entfernt bleibt die Linie stehen. Daraus erwaechst ein besonderer Luxus in der Mode der Damenstrümpfe, sie werden aus glaenzender feide hergestellt, die Farbnuancen liegen zwischen fleischfarben und dunkelbeige.

Es ist auch mehr Interesse vorhanden, denn die groBen und immer wieder neu entstehenden Kaufhaeuser locken mit ihren prachtvoll dekorierten Schaufenstern an, reizen den Kaeufer durch billige Angebote, die "Ausverhaeufe" sind an der Tagesordnung, wo "Ladenhüter"- auch ein Modewort dieser Zeit - zu sehr billigen Preisen abgestoBen werden.

b) Kleidermode im Allgemeinen und in ihren Auswirkungen:

Die Mode der Kleidung wechselt jetzt schneller als in früheren Zeiten, wie überhaupt das Leben schneller ist, ein anderen Tempo herrscht, die Tage sind ausgefüllt. Durch Reklame in Kinos, Radios, Inserate wird jede Anderung gleich von der groBen Masse übernommen, deren Lebensstandard sich gehoben hat, Arbeiter und Angestellte hoennen die modischen Massenartiköel, die [verhaeltnismae Big billig hergestellt werden, ohne weiteres haufen und nehmen so an der Mode und ihrem Wechsel teil. So ist im Zeichen dieser Massen und ihrer Suggestion auch die Mode ein Massenobjekt. Obgleich die Allgemeinheit sich zu einer einheitlichen Mode entschlieBt, Wobei jeder den anderen nachahmt, haben einige eine Individualitaet hervorgebracht, wie es bereits bei der Innenarchitehtur bemerkt wurde.

In enger Verbindung mit der Frauenmode steht die Position der Frau von diesem Jahrzehnt. Sie ist den Lebensbereich des Mannes eingedrungen im Zuge ihrer Emanzipation, sie ist im oeffentlichen Leben, im Beruf und hat eine eigene persoenliche Stellung zu ihrem Mann und in ihrer Familie. Dem ist die allgemeine Kleidermcde angepaBt, doch ist die Frau eitel und will keine uniformierte Berufskleidung tragen.

Im Gegensatz zu der Frau der Biedermeierzeit-die Salonfrauhat sie mehr Freiheit und Rechte, sie kann jetzt auf der StraBe onhe Gardedame gehen und Diskussionen mit einem Mann allein führen, was früher als "unerhoert" angesehen wurde.

Eine extreme Erscheinung dieser Zeit ist das "Mannweib"; diese Art Frau betont, daB sie dem Mann gleich ist in ihrer Kleidung, sie traegt einfache graue Roecke, Hemdblusen, dem Oberhemd des Mannes geich, eine Schleife am hohen Kragen, um die Krawatte zu imit'eren, und derbe Schuhe. Die Haare werden nach Maennerart gekaemmt, die Frau beginnt auch zu rauchen. Sie nHtzt ihre Selbstaendigkeit in jeder Beziehung.

Industrie und Handel, Sportstaetten und Schulen errichtet; groBe Wohnblochs entstehen, typisches Zeichen des Massendaseins. Keine Schnoerhelei, sondern ein hlares, geordnetes Gebilde. Das zeigt sich auch bei den neu errichteten Fabriken.

Auch die Innenarchitehtur richtet sich nach diesem Vorbild, die Raeume sind nicht mehr Hberlastet, sie werden einfach moebliert, wie z.B. praktische Sofas, die zugleich Schlafstelle sein koennen. Die neuen Raeume von Le Corbusier haben die Bedeutung der "guten Stube", mit ihren Apparaten, ihrer Helligheit und mit weiten Fenstern, offen fHr jeden Blick, moechten sie jetzt ein Wohnen fHr den produktiven Menschen sein, der sich als Arbeiter am Gemeingut der Menschheit fHhlt, und nicht fHr den den Traeumer oder den Rentner.

Bei allem herrscht doch ein guter Geschmack, man liebt die a-symmetrische Linie, wie sie in der Kunst des Expressionismus als absoluter Ausdruch Zeichen dieser Zeit ist. Die von der Technik gechaffenen neuen Materialien sollen schoen sein, vor allem aber gebrauchsfaehig. Also Beispiel:man will nicht nur auf hohen, stilvollen stHhlen Steif sitzen, sondern auch bequem, die Form des Stuhles muB sich also der des also der des koerpers anpassen. Das Schoenheitsideal ist jetzt die Einfachheit und Schlichtheit, die Funktionalitaet.

Die Entwichlung der Technik laeuft zu einer Perfektion, viele neue Erfindungen wie Radio, Kino, eine Unmenge grahtischer Hausgeraete aendern nicht nur das Leben der Gesellschaft, sondern auch des einzelnen BHrgers, vor allem auch der Frau. Durch die Technik und Bau von Fabriken haben sich die Menschen in groBen Staedten zusammen geballt und verursachen das Massendasein. Trotzdem der Mensch unter vielen anderen lebt, ist er einsam geworden; es fehlt ihm Ruhe fHr "Dialoge". Der Mensch laeBt sich von der Masse beeinflussen, hat jetzt eine Gemeinschaftsseele, obgleich sich gerade daraus eine gewisse Individualitaet entwickelt hat, ein nivellierter Wert wird gelegt. Sowohl die StraBen, besonders die Schaufenster, wie Theater-und Festsaele strahlen hellstes Licht aus, so daB die Memschen einander gut beobachten koennen und die Modedetails studieren. Zeit zum StraBenbummel gibt es jetzt mehr, denn durch die festgelegte und verhHrzte Arbeitszeit ist auch mehr Freizeit geschaffen.

III. Die Mode in Deutchland um 1930:

a) Die Tendenz der Zeit im Allgemeinen:

Zwischen der Zeit der Jahrhundertwende un 1930 liegen für Deutschland Ereignisse von weltgeschichtlicher Bedeutung, die für die damalige Generation in ihren Richtungen und Tendenzen zu einer Krise, eigentilch schon zur Zerstoerung des Alten und Erwartung des Neuen werden. In der Mitte dieser Zeitspanne liegt der este Weltkrieg, der den friedlich lebenden und sich in Sicherheit wiegenden Menschen aus seiner Ruhe bringt, in eine anfaengliche Begeisterung versetzt, die sic mit den letzten Kriegsjahren und dem unglüchlichen Ende in Niedergeschlagenheit, aeuBere Armut umwandelt. Die Revolution von 1918 bringt den Sturz der Monarchie und eine groBe Verschiebung in der Gesellschatsschicht, mit dem Aufwaertsstreben und groeBere Geltung und Achtung verlangenden dritten Stand, den Arbeitern. Die Inflation in den zwanziger Jahren nimmt dem Menschen vollends sein Vertrauen auf eine sichere Existenz zwingt ihn in ein hektisches Dasein, in einen Kampf um das taegliche Brot.

Auch im dritten Jahrzehnt haben sich die Wellen noch nicht beruhigt, die politische Zersplitterung Deutschlands in mehr als dreiBig Parteien laeBt auch den Bürger noch nicht an ein behagliches, friedvolles Leben .

Leben denken, stehen doch schon im Innern des Reiches neue politische Aenderungen bevor : wir gehen der Aera Hitlers entgegen.

Solche Umwaelzung wird auf das ganze Leben des Menschen übertragen, auf die Mode und auch auf die Bauten Ein neuerSinn für Bauten setzt sich durch. Die zweckmaeBige Sachlichkeit bestimmt den Stil der Baukunst. Die um die Jahrhundertwende begonnene "Neue Sachlichheit" verbreitct sich und will den Unterschied zwischen Technik und Kunst uberbrücken. "Diese Sachlichkeit – Neue Sachlichheit, wie sie genannt wurde, ist eie neue Wendung zur Gegenstaendlichheit ... Die Neue Sachlichheit laeBt die Formgebung in Architektur und kunsthandwerk vom Zweck bestimmt sein, alles chmückende, soweit es überhaupt geduldet wird, sich aus der streng zwechbestimmten Form entwicheln". Nach diesem Grundsatz sind für die Berufstaetigen ihre Arbeitstaetten, wie Verwaltungsgebaeude für

ismus folgten. Die jugendlichen Dichter des Expressionismus (1911/12), wollten eine ganz neue Kunsteinrichtung schaffen, sie rebellierten gegen die Oberflaechlichheit der Zeit in der Jahrhundertwende, sie wollten eine echte Innerlichheit nach auBen tragen, Vertreter waren Heym, Trakl, Edschmid, denen sich im Laufe des beginnenden 20. Jahrhunderts viele andere anschlossen. Thomas Mann begann mit seinen Werken (Buddenbrooks, 1901) auch in dieser Zeit, doch kann man ihn zu keiner dieser Richtungen hinzurechnen, er hatte seinen ganz eigenen Stil. Ferner waeren hier noch Kafha, Musil und viele andere Dichter zu nennen, deren Wirkung aber mehr in die spaetere Zeit faellt.

In der Form wurde der Roman, spater die Kurzgeschichte bevorzugt, sowie die Novelle, waehrend das Drama eine geringeren Aufschwung zu verzeichnen hatte.

In der Malerei erstand der Impressionismus, von Frankreich ausgehend mit den Malern, Manet, Degas u.a. In Deutschland stand der Expressionismus mehr im Zeichen der modernen Malerei und nahm seinen eigenen Weg. Es wurde die "Brüche' gegrHndet, denen die Maler, Nolde, Schmidt-Rottluff, Kirchner, Kokoschka u.a. angehoer en. Spaeter wurde die hünstlergruppe "Blaue Reiter" in München gru. ndet, der Name stammt von einem Bild von Kandinsky her. Hierzu gehöerte auch Paul Klee. Das sind alles Namen von Künstlern, die weit in die gegenwaertige Zeit hineinreichen.

Auch in der Plastik zeigte sich die neue Richtung, hier sind Kolbe und vor allem Barlach zulnennen, letzterer war auch Dichter.

In der Architehtur kam man ganz von dem übeerladenen Jugendstil ab und ging zur neuen 'Sachlichheit" auch in der Innenarchitek turHber..

In der Musik herrschte zu Anfang des neuen Jahrhunderts noch die Generation vor, die noch viel Romantik in ihre Klangwirkungen einbezog, und erst lamgsam diese zu überwinden trachtete. Hier tauchten Mahler, Reger, StrauB und Pfitzner auf, deren Werke auch bis heute nicht ohne Erfolg wiedergegeben werden. Neben Orchestermusih Kammermusik begann die Zeit der groBen Opern, besonders vertreten durch Weber, Wagner, Richard StrauB. Spaeter ging die Musik auch moderne Wege, es begann die Atonalitaet mit Schoenberger, Hindemith u.a.

kennt keine Juoons – gestaerkter Unterrochmehr, die Frauenfigur erscheint jetzt schlank und groB. Umfangreiche Hüte schmHchen ihren Kopf. In der Hauptsaache jedoch bleibt die Mode an die Gründezeit gebunden und lekhert sich wenig in allen ihren Details.

Der Wert dieser Reformbewegung in der Mode, das Streben nach praktischen und rationell-sachlichem Leben hat auf jeden fall eine groBe Bedeutung dadurch, daB ein Grundzug für die folgende Zeit bis in unsere Gegenwart gegeben wurde, der in vielem maBgebend geblieben ist.
c) Das Bild der Zeit in der Literatur, Kunst und Musik Kunst ist immer Ausdruck der Zeit und ihrer geistigen Gestaltung, sie bringt das verborgene Gesicht der Menschen hervor. ,So tritt in ihr auch nicht das Unechte des aeuBeren Lebensstandards auf. Wie Friedrich Schlegel sagt, "wie aber jeder Mensch seine eigene Natur hat und seine eigene Liebe, so traegt auch jeder seine eigene Poesie in sich".

Neue kunststroemungen treten auf, die vielfach entgegengesetzt verliefen, aber doch in ihrem WerdeprozeB eine Einheit bilden.

Kurz vor der Jahrhundertwende entsteht der Naturalismus, gegrHndet von Arno Holz und Johann Schlaf, der die reichen Formen der klassik und Romantik ablehnt und ein naturgetreues Darstellen in Lyrik und Prosa verlangt. Gleichzeitig gibt es eine Neigung zum Empfindsamen, oft "Neuromantik" ge nannt, die Vertreter dieser Richtung sind vor allem, Hofmannsthal, Rilhe und George. Ihre Werke sind tief durchdacht, verbinden trotz vielem Gefühl den Menschen mit seiner Wirklichheit und wollen die wahrheit wiedergeben. Besonders in den Mysterienspielen von Hofmannsthal wie "Jedermann" und "Das Salzburger groBe Welttheater" wird der Mensch in seinem Ewigkeitsgefühl dargestellt. Diese Dichtungen wurden zu Volksschauspielen und sind auch heute auf dem Theaterprogramm. Rilke hat in seiner feinen Sensibilitaet eine wunderbare lyrische Sprache geschaffen, in der sich die Seelenzustaende des Menschen, geistige, religioese und persoenliche EindrHcke finden. George vertarat besonders die WHrde der Kunst und schuf in seinen groBen lyrischen Zyekln fast eine Nachbildung des Kultischen. Er versammelte um sich einen groBen Kreis von Anhaengern, mit denen er durch die kunst das Leben adeln wollte. Zu gleicher Zeit entwichelt sich in der Dichtung, vor al em in der Lyrik, dre "Expressionismus", auf den spaeter der Surrealismus und der Dada-

ziehen; so übernimmt das beginnende zwanzigste Jahrhundert in vielem noch alte Traditionen und richtet sich nach der Stilimitation, in den neu eroeffneten Kunstgewerbeschulen wird das Handwerk früherer Zeiten gelehrt. Diese künstlerischen Bestrebungen ermoeglichen aber auch, Stoffe zuschaffen, die frei und natürlich um den Koerper fallen.

Mit Beginn des zwanzigsten Jahrhunderts entwickelt sich die Reformbewegung, die den Menschen, im Gegensatz zur Biedermeierzeit, in das Massendasein des technischen Zeitalters reiBt, ihn in eine praktische Lebensweise führt.

Besonders ist diese Bewegung gegen die komplizierte Kleidungsweise der Frau gerichtet. KHnstler, Wissenschaftler und Aerzte bemHhen sich um ein neues gesundes, praktisches, stilvolles kleid, vor allem aber um den Verzicht auf das gesundheitsschaedliche Korsett. Es wird "gegen das kind" genannt und gibt der Frau eine merhwürdige S-Form, denn es drückt den Leib zurüch, Busen und Hinterteil erhalten ·eine starhe FHlle. Um die Bewegungsfreiheit zu ermoeglichen, soll der koerper entlastet werden von der groBen Anzahl der Kleidungsstücke. Aber man will nicht auf Atmut und Schoenheit verzichten. Unter dem Motto "Kampf gegen die Mode" beginnt die Reformbewegung. Diese Versuche haben ihre Wurzel in der Zeit des Neu-Rokoko mit der Entwichlung des "Bloomer-Kleides" (besteht aus Jacke, kurzen Roechen und langen breiten türhischen Hosen) u nd der Entfernung des Korsetts. Doch diese Mode siegt nicht, wie die Reformatoren es sich gewünscht haben. Das Korsett bleibt weiter, denn die Frauen, besorgt um ihre schoene Koerperformen, wollen das Korsett, den SchnHrleib, nicht aufgeben. Erst im folgenden Zeitabschnitt erreichen die Modereformatoren das, was sie gewünscht hatten.

Ab 1910 legt man mehr Wert auf ZweckmaeBigheit; in dieser neuen Idee wird auch die Frauenkleidung gestaltet.—Man spricht von einer "Revolution in der Mode", doch macht sich diese auch nicht frei von der Stilimitation, sie sucht nicht in der Renaissance Anregung, sondern im japanischen Stil.

Der Pelzmantel ahmt den japanischen kimono nach, dessen einfacher Schnitt vor allem nicht die Aermel wie getrennte Roehren aussehen laeBt. Der "reine" Kimono mit mit seinen langen, beutelfoermigen Aermeln dient als Morgenmantel. Die neue Frauenhleidung

Viele neigen sich aber dem Altdeutschen zu und tragen Rembrandt-hHte Ein winziger Sonnernschirm begleitet die Dame im Freien, der zum hervorgehobenen Modeputz und der Ueberladungssucht im Gegensatz steht, aber die Schleifen, Fransen usw. schont.

Kennzeichnend fHr die Herrenkleidung dieser Zeit ist der Gehrock, 'Cut", und eine hellfarbene Sommerk eidung, din Strohhut gehoert auch dazu. Aus dem Mantel wird in der zweiten Haelfte des Jahrhunderts der Ueberzieher. Das jackett kommt als neues KleidungsstHck auf, die in einen schoenen Knoten genaehte Krawatte und der steife Hemdkragen nehmen den Platz des Jabots und des Halstuchs ein, das Tragen des Zylinderhutes wird üblich. PerHcken werden getragen, die Stiefel haben Absaetze.

Entsprechend dem Hang zum Unechten jener Zeit traegt der Herr wattierte Brüste und Schulterstücke. Die Manschetten des Hemdes sind abnehmbar, um ihre WeiBe zu erhalten; ebenso dient ein frisch gestaerkter, weiBer "Serviteur" zum Vortaeuschen des Jaegerhemds.

Der Tendenz des Unechten entsprechend, hat auch eine Prüederie eingesetzt, Das ist fHr die anstaendige Frau sehr wichtig. Auch ist es ihr voellig unerlaubt, mit einem Herrn allein in einem Zimmer zu bleiben oder auf der StraBe zu gehen ohne Gardedame. In ihrem Vokabular sollen Worte wie "Geschlecht" und "Hose" nie auftreten. Im Zeichen der Prüderie steigt auch die Frau zum Seebad in ein Badekostüm, das ihren Koerper von oben bis unten verdeckt, auBerdem traegt sie auch hier ein Korsett, eine Schaerpe mit groBer Schleife und Bademütze mit Kinnband.

Wassersport wie Schwimmen, Rudern und Tennisspielen sind die ersten fortschrittlichen Sportmoeglichkeiten für die frau dieser Zeit; Reiten bleibt nur den reichen Bürgerklassen vorbehalten. Radfahren ist auch eine beliebte Bewegung im Freien; und da kommt es der unpraktischen Mode zugute, daB die Raeder jener Zeit einen hohen Sitz, haben.

b) Reformversuche und Jugendstil (1890 his 1910):

Die der Gründerzeit folgende Epoche steht im Zeichen der Refo-rmbewegung, in der Kunst "Jugendstil" genannt. NatHrlich laeBt sich keine scharf abgegrenzte Linie zwischen den einzelnen Stilepochen

Duch die schon 1850 entstandene Haute Couture wird der Schneider zum Modeschoepfer, der für jede Saison Kollektionen anfertigt, die er durch Mannequins vorfhhren laeBt. Die Mode richtet sich nach England, Italien und vor allem Frankreich, weil dort die "Modeschoefer" sitzen, mindestens seit der Renaisseance; neurerdings auch nach den USA.

Die Bekleidung der Frau wird in den Jahren 1871 bis 1895 von der fortschreifenden Industrialisierung durch deren.Massenproduktion der persoenliche Geschmack leidet, bceinfluBt, wie es wohl immer der Fall ist.

Das Nebeneinander verschiedener Stoffe gleicher Farbe, Kombinationen, ist beliebt. |Dieses erinnert an das Mi-parti des Mittelalters Anfang der achtziger Jahre nehmen die Puffaermel und die Gretchen tasche an der Mode teil. [Die |Nachahmung des Rokokos ssiegelt sich in der Damenmode des "Manteau" und der "Fortagne", des Spaetbarocks im Tournurekleid und im Kapottbhtchen. Nach dem Zusammenbruch des empire schlhpft die Frau von der Krinoline in ein noch groteskeres Kleidungsstück : den "cul de Paris", einem unter dem Rock getragenen Hinterpolster, das der Betonung des Busens entspricht. Die Tounure, das hinten aufgebaumelte Wunderwerk, herrscht in den achtziger Jahren (bis 1890) obschon mit Intervallen, in denen das spacter philistrose PrinzeBkleid erscheint.

Sie verschwindet in der Zwischenzeit, aber die Raffungen bleiben. Der Roc ist so eng anschlieBend an den Koerper daB die Damen nur in ganz kleinen Schritten gehen koennen, als ob die FüBe zusammengebunden sind. Denselben Effekt habendie hohen Stiefelasbsaetze.

Seit 1885 erweitern sich die Puffaermel zu Keulenaermeln. Gleichzeitig hommt die Toutrnure wieder hervor, selbst im Schneiderjackett und Eislaufkostüm. Die Weite des Rockes nimmt zu, so daB die Bewegung freier wird.

Die Haare werden als "Pony-locken" in Fransen nach vorn gehaemmt, zur Nacht wird eine GroBmutterhaube aufgesetzt. Der ganzen "aufgeputzten Erscheinung entspricht auch der kleine Baenderhut, der die inm Nacken zusammengestechte Frisur-oft genug aus falschem Haar-kroent." 22)

wie es z.B. auch der berühmte Architekt Gottfried Semper–Erbauer der Dresdner Oper–als Programm aufstellte. Der Stil des Gebaeudes sollte historische Assoziationen erwecken : ein Gerichtshaus wie ein Dogenpalast aussehen, "ein Theater an eine roemische Arena, eine Kaserne an eine mittelalterliche Befestigung erinnern".20) Ihren Ausdruck findet sie in einer Uberladenheit, besonders im Wohnstil. Uppig drapierte Gardinen schließen die Wohnung von der Außenwelt, vom Licht und von der Luft ab, spielen jedoch für die Behaglichkeit der Wohnung eine große Rolle. Die Zimmer sind überfüllt mit Fabrikwaren, die nichts mit kunst oder schoenem Handwerk zu tun haben und im Material wertlos sind. Sie dienen nur zur Schau und haben auch keinen praktischen Wert. Die Grunderzeit hat eine große Vorliebe für volle Raeume und Uberstopfung.

Ein aufallender Mangel an Sinn fur Sachlichkeit und Zweck ist sichtbar. Leicht umfallende Schraenkchen, voll mit überflüssigen und nie gebrauchten Dingen, Prunksessel stehen in der sogenannten "guten Stube", die aber nur fur den Besuch benutzt wird. Auch Bücher erscheinen als Riesenprachtwerke, die man nicht lesen hann, weil sie zu schwer zum Halten sind. An den Fenstern haengen schwere Vorhaenge, die das Offnen und Schließen beeintraechtigen, die Fensterscheiben sind bemalt und verhindern das Eintreten von licht, Makartbuketts stehen auf den Tischchen, Obst aus Wachs ziert den Teller auf dem Bufett. An den Waenden hümgen Schwerter, Kampfesmut darstellend, die nie benutzt worden sind. Kurz, der Hauptzug dieser Zeit des fin du siècle ist die "Lust am Unechten." 21)

Ueppigheit herrscht auch in den Speisen : Vier Gaenge zur Mittagsmahlzeit sind etwas Gewoehnliches in wohlhabenden Bürgerhaeusern; bei festlichen Anlässen werden daraus acht bis zwoelf. Doch fehlt der Gründerzeit, der Zeit des Pompoesen und der Augebauschtheit, das Echte und Wahre. Thomas Mann gibt in seinen "Buddenbrooks", besonders in der Toni, ein beziehungsvolles Bild einer hohen bürgerlichen Familie. Die Uberladung und Tendenz zur Stilimitation übertraegt sich auch auf die Kleidung, auf alle Dinge der Mode. Die Entwicklung der Industrie ermoeglicht den begüterten Schichten, sich modisch zu kleiden, jedoch zeigt man keinen Geschmack, man laeBt sich von den kitschigen Nachahmunen der biligsten Industrieerzeugnisse beeinflussen. Die bürgerliche Kleidung wird von der Mode der führenden Gesellschaftsschicht angeregt.

er 1881 den Weg für eine soziale Gesetzgebung, zu dem das Krankenversicherungsgesetz 1883, das Gesetz der Unfallversicherung 1884 und das Gesetz über Alters-und Invaliditaetsversicherung gehörte .17). Trotzdem aber bleibt der Arbeitslohn niedrig und die Lage des Proletariats drückend. Dadurch wird Frauen und Kinderarbeit noetig, die ursprüngliche Einheit von Familie, Wohnung und Berufsarbeit zerrissen. Die Mechanisierung und Technisierung, die alle Bereiche ergriffen hat, verursacht grobe Schichtenunterschiede. Der eigentliche Traeger der wirtschaftlichen Entwicklung in Deutschland ist das Bürgertum, waehrend der deutsche |Adel nicht an der Industrialisierung teilnimmt, sondern seine wirtschaftliche Grundlage im Großgrundbesitz sieht.

Die Gründung des Deutschen Kaiserreiches, 1871, die politisch wichtige Machtstellung Deutschlands geben dem Bürger der Gründerzeit nach Außen das Ansehen einer Grobe, dem eine innere Unsicherheit, "seeliche Ratlosigkeit" und Unaufrichtigkeit gegenübersteht. Wir koennen von dieser Zeit als einer Zeit der "Unausgewogenheit" sprechen :

Wie beim Biedermeier bestimmt auch in diesem Zeitalter nur eine kleine Schicht die Mode, hier ist es das elegante Grobbürgertum, das sich aus der kleinbürgerlichen Bescheidenheit durch die wirtschaftliche Entwicklung gehoben und sein Selbstbewubtsein gestaerkt hat. Es hat einen üppigen Lebensstil, der eine innere Unsicherheit und Verwirrung verdeckt. Waehrend Menschen "nach Wahrheit, Sachlichkeit und exakter Wissenschaft riefen, lebten sie vielfach in Selbsttaeuschung, Unaufrichtigheit und Heuchelei. "18) Die Zeit um 1900 ist eine Zeit voller Widersprüche, Unzufriedenheit trotz des Friedens, des groben Reichtums und innerer Dürftigheit, trotz Glanz der Gesellschaft und Hohlheit der Menschen. Sie sind von groper Realitaet erfüllt, die sie mit der Materie verwechseln, sie denken materialistisch. "Sie lebein daher dauernd in einer armseligen und aufgebauschten Welt aus Holzwolle, Pappendeckel und Seidenpapier." 19)

Als geistige Armut gehoört auch die Stilimitation dazu, die charakteristisch für das 19. Jahrhundert ist. Man bevorzugt in Deutschland den Renaissancestil, den Sjtil der Lutherzeit. Die dadurch entstehende Stilverwirrung und Stilmischung, die den Gegenstaenden einen eien historischen Reiz geben soll, gilt als künstlerische Weitherzigheit.

der ersten Robert Owen in England, 15) dem ein Sozialismus von oben vorschwebte. Den 2000 Arbeitern seiner Fabriken verkürzte er die Arbeitszeit, schaffte gesunde Arbeitsraeume, Krankenbehandlung und versuchte, allgemein eine bessere genossenschaftliche Organisation zu schaffen.—Mit Zunahme der industriellen Entwicklung, aber auch durch die zunehmende Bevoelkerungszahl herrschte ein soziales Elend; was zu weiterer mehr privater Sozialfürsorge, besonders der christlichen Konfessionaen führte. Die Gewerkschaften (Trade Unions in England ab ca (1850), zu denen sich die Arbeiter zusammengeschlossen hatten, sowie die ordenende Hand des Staates legten bereits den Grundstein zu den am Ende dieses Jahrhunderts geschaffenen sozialen Maßnahmen.16)

Die Musik stand mehr und laenger im Zeichen der Romantik : Schumann, Brahms, Mendelssohn u.a. gelten als die Nachromantiker. In der Malerei wurde die Romantih verdraengt durch den Realismus, man neigte mehr zur Wirklichheit, wie wir sie bei Leibl, Hans Thoma u.a. finden. Ebenso beherrschte die Literatur auch der Realismus sowohl im Stil des Biedermeier, wie auch revolutionaer im "Jungen Deutschland", vor allem aber bei Büchner, Boerne, Heine und in politischer Lyrik.

II. Die Mode in Deutschland um 1900 :

Die Jahrhundertwende steht im Zeichen der Gründerjahre, so genannt nach der Entstehung des Deutschen Kaiserreiches; ihre Wirkung dehnte sich aus bis in das erste Jahrzehnt des folgenden Jahrhunderts.

a) Gründerzeit :

Die Zeit um 1700, das "fin de siècle" bringt die schnelle industrielltechnische Entwicklung, große technische Erfindungen wie die Telegraphie, das Automobil, das Flugzeug etc. Die deutsche Bevoelkerungszahl erhoeht sich, die Landflucht setzt ein, mehr Großstaedte entstehen, die industrielle Revolution erfaßt das ganze deutsche Leben und wandelt es um. Rasch entwichelt sich in Deutschland der Reichtum mit ihm der Imperialismus durch die Industrialisierung bedroht, sie müssen sich in der Industrie eine Existenz suchen und bilden das Proletariat. Bismark schuf verschiedene Gesetze sowohl politischer, als auch sozialer Art. Er verbot die sozlialdemokratische Partei ("Sozialistengesetz"), da er in ihr einen Feind des Landes sah. Doch schuf

"Bürgerkoenigtum" sehr zutreffend bezeichnet." 13) Fabriken entstehen; bisher ist alles in Handarbeit gemacht, besonders die Kleidung. FrHher war die persoenliche Leistung des Handwerkers das wichtigste gewesen, jetzt aber in der zweiten Haelfte der Biedermeierzeit herrscht das Produkt. Die Konsumtion nimmt immer mehr zu. Diese Zeit besaB bereits einen neuen Gott : naemlich das Geld. 14)

Die Kleidermode dieser Zeit ist von groBem Interesse für uns, da sie die Grundlage der heutigen geworden ist. Die Herren tragen nicht mehr den Frack, der dient jetzt nur als Festanzug, sondern Gehroecke, als Kragen den sogenannten "Kummetskragen" (von Kumt Geschirr des Pferdes) dazu den "Vatermoerder", eine schleifenartige Krawatte. Die Hosen sind weit, in dunkler Farbe, besonders in schwarz und grau, manchmal kariert. Ein weiBes Vorhemd mit Goldkncepfen, Nadeln in der Halsbinde, oft eine bunte Weste vervollstaendigen den Herrenanzug. Die Haare werden in Loeckchen gebrannt, die jHngere Generation traegt Bachenbaerte, die aeltere Seehundbaerte oder Schifferbaerte. Der Dandy zeigt sich mit einem Monokel, meist an einem Band gehalten. Als Neuigheit kommt das "Cigarro" auf und verdraengt das Tabakschnupfen. Anfangs als zu gefaehrlich betrachtet, muBte es in einem kleinen Drahtgeflecht stechen. Jetzt wird das Rauchen salonfaehig und gilt als elegant.

Bei der Damenmode hat sich wieder der Reifrock eingefunden; diente er in der Rokokozeit als Kleid des Adels, so ist er jetzt auch im BHrgertum beliebt. Nach dem franzoesischen "crin" (RoBhaar) heiBt er "Krinoline" und wird durch Wülste in Form gehalten, dazu noch mit mehrfachen Volants verstaerkt, die Traegerin wirkt so sehr herausgeputzt, Stall aus Naturleder sind die Handschuhe jetzt aus Glacéleder, die Freude am Glanz bewirkt diese Mode; hohe Stiefelletten, zugehnoepft, gehoeren dazu. Das Haar wird in der Mitte gescheitelt, am Hinterkopf hoch frisiert und mit Kaemmen zusammengehalten. Das nennt man "chinesisch"; traegt man aber die Haare geflochten um die Ohren gelegt, nennt man es "griechisch". Typisch sind auch Locken, die herabhaengen.

Mit der langsam beginnenden Industrialisierung kommt auch die erste Fürsorge in sozialer Hinsicht aufes fehlte noch die staatliche Unterstützung. Versuche zu einer sozialen Fürsorge machte als einer

hellgrau, dunhelblau, flaschengrün, kastanienbraun. Zum Frack, zur jacke und zum Mantel, die eng nach den Koerperformen gearbeitet sind, gehoert eine kurze, gestickte Weste. Die Schinkenaermel des Mantels sind tief eingesetzt, darüber schlingt man einen langen Schalkragen oder wirft eine Pelerine über. Das Jabot wird langsam durch die Krawatte ersetzt, deren elegante Knotung nicht leicht ist und manchmal in einem Lehrkursus studiert werden muB. Die lange Hose, die Jacke und die Weste haben eine moderne Form gefunden. Die lange, roehrenfoermige Hose wird Pantalon genannt, "nach dem homischen Alten der italienischen Komoedie, der mit langen roten Hosen bekleidet war." (11) Oben sind diese Pantalons weit, daB sie der Hüfte eine Breite geben. Sie haben auch einen Steg.

Um die gewünschte schlanke Taille vorzutaeuschen, traegt der Herr eienen "Basken-Gürtel" oder ein Korsett. Zu hohen Festlichkeiten zient man sich Kniehosen an, traegt dazu helle knielange Strümpfe und Schnallenschuhe. "Der Bart war verpoent, hoechstens eine dünne Linie an den Wangen gestattet", 12) Bachenbart wird auch Mode.

Wie bei den Eltern wird auch die Kinderkleidung von der Mode ergriffen. Die kleinen Buben tragen ein Blusenkleidchen über den langen Hosen. Ein anderes Kleidungstück,das an Mamelucken erinnert, ist eine lange Hose, unten an den Knoelchen offen oder gekraust.

Wegen der hellen, leichten Frauenkleider wird das Interesse für die Koerperpflege geweckt, was im Rokoho gar nicht in Frage gekommen war. Die Waesche wird haeufig gewechselt, und man waescht sich ofter. Auch wird erstmals die Hose als ein weibliches Kleidungsstück eingeführt.

b) 1830—1848 im Zeichen des Realismus :

Die zweite Etappe der "Biedermeierzeit" zeigt ein ganz anderes Bild. Die wirtschaftliche Entwicklung nach 1800 bildet den Hintergrund. Der Kapitalismus und die Maschinen werden langsam zum Hauptmerkmal dieses Jahrhunderts. Der Fromme, haeusliche Kleinbürger hat jetzt einen anderen Gott, den Gott der Maschine, oder auch des Geldes. Die groBen Erfindungen wie die erste Eisenbahn (1825 in England), die Schnellpresse, die Dampfschiffe lenken den Menschen in andere Bahnen, der Bürger wird der Koenig, "diese Aera wird mit dem Wort

Um 1980 wird der Empirestil zuruckgedraengt, es tritt eine Reaktion gegen die Nachanmung des klassischen Altertums ein. In England hat man die Gotik gewaehlt, im anderen Europa das Rokoko. Es ist eine Art bargerlicher Nachahmung des koeniglichen Rokokos, wie überhaupt das ganze Jahrhundert, besonders die spaetere Zeit, im Zeichen der Stilimitation steht.

"Einfacher als das Empire und doch gefaellig in der Form und einfallsreicher im Detail, schlicht und doch belebt war das Biedermeier".[9] So wird dieser Zeitstil charakterisiert. Die Mode bringt neue Variationen. In der Kleidung wird die Note in der Einfachheit durch die Neigung zur Disaretion bemerkbar. Besonders charakteristisch für die Damenmode ist das Aufkommen des fast zurückgedraengten Korsetts. Waehrend die Taille im Empire direkt unterhalb der Brust angesetzt war, kommt sie jetzt an ihre richtige Stelle. Unter der Taille ist der Rock breit, erhaelt durch sieben oder acht Unterroecke noch einen groeBeren Umfang, die Falten verteilen sich in der Runde. Mit vieler Handarbiet und Sticherei werden Kleider aus billigen Stoffen aulgewertet, mit breiten oder schmalen. — waagrechten Rüschen und Garnierungen verziert. Die Kleider sind hoch geschlossen, breite Kragen fallen über die Schultern. Trotzclem tragen die Damen oft den Langschal aus Kaschmir oder Seide, der den Mantel ersezt, denn wegen der in Mode gekommenen Riesenaermel, der Schinhen- oder Keulenaermel, wird das Tragen des Mantels sehr erschwert. Durch diese Armel waechst der sehr beliebte Kragen und wird immer weiter. Beim Reitkleid, dem Amazonenkleid, sind die Aermel tief eingesetzt. "Die Kopfbedeckung hat immer noch die Haeubchenform, sie gleicht aber doch sehr einem Hut", der mit Federschmuck chend und vielen Baendern ausgestattet ist. Den groBen Aermeln entsprend sind auch die Schuten, die zu dem damaligen Modetyp gehoeren, uhlappen und verhindern ein gutes Hoeren und Sehen.

Die Frisuren sind geklünstelt mit Mittelscheitel und Locken; die Schuhe sind flach, vorn eckig und werden mit Baendern gehalten. Man liebt aufallende Schmuckstücke, lange Ohrgehaenge, groBe Broschen, Gürtelschnallen und breite Armbaender. Die Herrenmode ahmt die Umrisse des Frauengewandes nach. Die Herren tragen den langen Rock, den Frack. Er kommt in ruhigen Farben vor,

system in die europaeische Wirtschaftsentwicklung eingegliedert. Gleichzeitig blühte der Innenhandel auf, gestützt durch den 1834 gegründeten Zollverein, der die Zollgrenzen zwischen den einzelnen deutschen Laendern abbaute.

Das Volk flüchtet in die Idylle der Biedermeierzeit. Jeder sorgt für das taegliche Brot. Die bürgerliche Lebenshaltung dieser Zeit ist behaglich und in sich beschieden. Unter dem politischen Druck der Restaurationszeit findet der Bürger sein Glück in der kleinen Welt, in seinem Haus und Gaertchen. Fridell umreißt das Bild des bürgerlichen Lebens und seine Atmosphaere imBiedermeier folgendermaßen: "Kleinstaedtische Nachmittagsvorstellung, jener anheimelnde Duft von Kaffeekanne und Tabakspfeife, wachsbetropftem Tannenbaum und knisterndem Ofenreising, frisch geplaetteter Waesche und frisch gebakckenem kuchen"[7]. Bedachtsamkeit, Bescheidenheit, Sparsamkeit und die Zufriedenheit an dem Wenigen, Kleinen sind die wichtigsten Merkmale der Menschen dieser Zeit, wie es der Bildhauer Ernst Rietschel in seiner Erzaehlung aus seiner Kindheit (unter dem Titel "Treu und Redlichkeit")[8] schildert. Der Kleinbürger lebt nicht in dierekter Lot, auch in seiner Gesinnung ist er beschraenkt, achtet scharf auf das, was der Nachbar von ihm haelt, und richtet sein Leben danach ein. auch der Wohnstil ist schlicht, fast aermilch, die Moebel sind einfach, ohne Schnoerkeleien, aber gediegen in ihrer Verarbeitung. Viele selbstgemachte Handarbeiten finden Verwendung, Gefühlsaeußerungen des Herzens in kleinen Stichen auf Deckchen oder Bilder gestickt.

Spitzweg gibt dieses romantische, beschraenkt-bürgerliche Milieu wieder auf seinen Bildern, Eichendorff die Naturliebe in seinen herrlichen Gedichten.

Die Frauen sind vom Bildungsfieber ergriffen, sie beschaeftigen sich mit Literatur, Kunst und Philosophie. Ein geringer Teil, der neue Frauentyp, treibt Sport mit Reiten und Jagen.

2. Kleidung als Hauptfeld der Mode:

Mit diesen neuen Zielen und Idealen der Frauen wechselt zugleich auch ihre Kleidung, sie wechselt aber auch den politischen Ereignissen entspreched. Ihre Lebensart verkoerpert sich in der Kleidermode.

a) 1815 – 1830 im Zeichen der Romantik:

1. Die politische, wirtschaftliche Situation im Zusammenhang mit dem bürgerlichen Leben:

Die Biedermeierzeit verdankt ihre Bezeichnung der Gestalt des "Biedermeier", eines allgemein "treuherzigen, aber philistroes beschraenkten, spieBigen Menschen, wie ihn zuerst Ludwing Eichrodts Gedicht, "Biedermeiers Liederlust' zeichnete, die 1850 in den "Fliegenden Blaettern" erschienen"[4]. Die Jahre von 1815 bis 1848 hoechstens dem Wohnstil nach einheitlich als Biedermierzeit betrachtet werden. In anderer Beziehung laeBt sich diese Zeit aufteilen in die Jahre 1815 bis 1830, 1830, die Zeit, in der das Leben der gebildeten Kreise durch politischen Druck der Metternichzeit beschraenkt ist und in der wenig Teilnahme an dem politischen und oeffentlichen Leben herrscht. Die Zeitspanne von der Julierevolution 1830 bis zur Ferbruarrevolution 1848 (in Frankreich) ist ganz verschieden von der vorherigen. Lebten in der esten des Biedermeir die Menschen in Zeichen der Romantik, ermüdet in Weltschmerz gehüllt, ein zurückgezogenes Leben, so gilt für den zweiten Abschnitt das Schlagwort des Realismus; die ersten groBen technisch-maschinellen Erfindungen sind in die breite Masse gedrungen, wir stehen am Beginn des technischen Zeitalters, mit ihm verbunden der Beginn der bürgerlichen Revolution in Deutschland.

Heinrich Heine charahterisiert den Beginn der Biedermeierzeit und ihre Kultur mit den Worten: "Man übte Entsagung und Bescheidenheit, man beugte sich vor dem Unsichtbaren, haschte nach Schatten-küssen und blauen Blumengerüchen, entsagte und flennte"[5].

Nach der Besetzung ganz Deutschlands, nach der groBen Niederlage (1806/1807) unter der napoleonischen Besetzung, erschoepft von der Teilnahme des ganzen Volkes an den Befreiungskriegen (1813/1814), ist das Bürgertum ermüdet und wüscht sich ein ruhiges Leben.

Die Resignation hat nicht blo politische, sondern auch wirtschaftliche Gründe. Die überlegene Wirtschaftspolitik Englands, das eine Festlandsperre eingeführt hatte und hohe Zoelle auf fremdes Getreide erhob, durch die besonders die nord-und ostdeutsche Agrarwirtschaft litt, hat sich dann aber durch das eingeführte liberale Wirschafts-

wirtschaftlichen Lage und der Gesellschaftsordnung u.v.a. In der Art, wie sich der Mensch kleidet, zeigen sich seine gesellschaftliche Stellung, seine Seelenhaltung und sein Charakter. Sie gibt ihm das Gefühl, Teilnehmer der sozialen Umwelt zu sein.

Die Frau lebt mit der Mode intensiver als der Mann.

Fern von di esem Begriff der Mode und verhaeltinsmaeBig konstant ist die Trachtenmode, d.h. die Volkskleidung, die ihren eigenen Charakter, den Charakter des Volkes beibehaelt und auf eine lange Vergangenheit zurückblickt. Die ersten Versuche des Kleidernaehens stammen aus der Altsteinzeit. Neben Ernaehrung und Behausung wurde die Bekleidung zu einem wichtigen Bedarf der menschlichen ,Existenz, weiterhin zum Ausdruch von Kultur und Zivilisation und charakterisiert die Ethik und Moral jener Zeit. Die Kleidung wird als die künstliche Haut des Menschen bezeichnet, durch die der Unterschied der Geschlechter sich hervorheben sollte, etwas, was in unserer heutigen Zeit langsam im Schwinden ist.

In den folgenden Kapiteln wird die Mode in ihrem erweiterten Sinne waehrend dreier verschiedener Epochen Deutschlands als Ausdruck der jeweiligen Zeit behandelt: In der "Biedermeierzeit", der Zeit des kleinbürgerlichen Lebens und des nachfolgenden 'Bürgerkoenigtums", in der Zeit um die jahrhundertwende als Zeit des gehobenen Bürgers im Wohlstand, im Zeichen seiner Ueberlegenheit nach den siegreichen Kriegen und der Gründerzeit des Kaiserreichs und im Rahmen des Jugendstils; in der Zeit um 1930, in welcher der deutsche Bürger sich langsam von Niederlage des ersten Weltkrieges erholt, in der sich mit der Erhebung des dritten Standes nach der Revolution von 1918 eine soziale Bürgerklasse gebildet hat, und letztlich in einer Zeit, die die Keime des Atom-Zeitalters in sich traegt.

Hauptteil :

Die Mode in Deutschland im Biedermeier, um 1900 und um 1930 als Ausdruck der jeweiligen Zeit.

I. Die Mode in Deutschland in der Zeit des Biedermeier

DIE MODE IN DEUTSCHLAND IN ZEIT DES BIEDERMEIER, UM 1900 UND 1918 ALS AUSDRUCK DER JEWEILIGEN ZEIT.

DR. MONA NOUESHI

Einleitung :

Definition der Mode und der Gebiete, die sie umfaBt.

Unter "Mode" wird vielfach nur die Mode in der Kleidung, hoechstens noch in Wohnstil verstanden. In diesem Sinne hat der Begriff "Mode" Bedeutung gewonnen, und dies ist verstaendlich, wenn man die haeufige, ins Auge fallende Veraenderung der Kleidermode in verheltnismaeBig kurzer Zeit feststellt. Doch ist diese Definition unvollstaending, vielmehr gilt fuer die Mode: sie ist ein "gepraegter MaBstab für zeitbegrenzte Ausdrucksformen, besonders in der angewandten Kunst, aber auch in Literatur, Musik, Architectur, Sprache und in den gesellschaftlichen Umfangsformen"[1], sie ist "Spiegelbild des materiellen und geistigkulturellen Entwicklungsstandes, sowie des Lebensmilieus einer Gesellschaft".[2]

Damit ist ein weiter Begriff umrissen, wir haben die Mode in der inneren und aeuBeren Lebenshaltung des Menschen zu suchen, gewachsen aus dem Geist seiner Zeit, wir sprechen von Modestil. "Die Stileinheit einer Epoche ergibt sich aus der Ubereinstimmung zwischen Bedürfnissen und Zeitgeschmack. Beide sind abhaengig von der Weltaanschauung, Gesellschaftsordnung, vom Stand der produlcktiven Moeglichheiten und der technischen Errungenschaften."[3] Das ist auch der Fall bei der Mode, die aesthetischen Gesetzen von Farbwirkungen unterliegt.

Zum Traeger der Mode wird das sich entwickelnde Bürgertum; in den Zeiten des Wohlstandes wild sie zum Instrument der herrschenden Klasse, um ihre ochonomische Macht zu versichern und ihre Lebensfreude auszudrücken. Die Mode haengt ab von der politischen,

REFERENCES

1. Hjelmslev, L., *Essais lingquistiques* in *Travaux du cercle linguistique de Copenhague*, volume 12, Copenhague, 1959.

2. Hjelmslev, L.; *Prinvcipes de Grammaire Générale* in *Annuaire de l'academie royale des sciences et des lettres du Danemark*, tome XVI, Copenhague, 1928, 363 pages, in 80.

3. SECHEHAYE, Ch. A., *Programme et méthodes de la lingquistique théorique*, Eqqiman, Genève, 1908, 267 pages, in 80.

En guise de conclusion, une dernière remarque, que nous ne développerons pas, car elle relève plus de l'impression que de l'observation. La théorie générale des fonctions linguistiques, dont nous cherchons la préhistoire dans les *Principes*, semble, à cette époque de la pensée de Hjelmslev, devoir se situer entièrement dans le domaine de l'expression, et elle exigerait que soient, traitées de la même façon unités signifiantes et non signifiantes. Quand on lit les *Principes*, on ne peut pourtant pas ne pas sentir que ce qui intéresse avant tout Hjelmslev dans le langage, c'est son aspéct sémantique. Il nous semble donc psychologiquement impossible que Hjelmslev ait pu pousser très loin ses recherches fonctionnelles tant qu'elles paraissaient condamner la linguistique à ignorer le domaine le plus fondamental de la langue. Toutes les conditions que nous avons énumérées auraient- elles été remplies, il serait donc resté un obstacle majeur, quoique difficile à formuler explicitement: la linguistique à laquelle il aurait abouti aurait risqué de n'avoir plus grand intérêt à ses yeux. Pour que cette barrière soit levée, il faut que la pensée de Hjelmlev accomplisse un nouveau progrès et arrive à concilier l'étude des fonctions et la recherche sémantique.

la linguistique générale, de discuter les thèses sociologiques sur la multiplicité des mentalités collectives. Sa réponse est que les "idées" linguistiques appartiennent à un substrat psychologique très profond, et bien plus inhérent à la nature humaine que les diverses mentalités analysées par Levy-Bruhl (1). On voit alors pourquoi Hjelmslev n'a pas pu substituer franchement une notion générale de fonction à l'idée de forme héritée de Sèchehaye. Si l'on établissait des catégories fonctionnelles parmi les éléments de l'expression quels qu'ils soient, et sans tenir compte du fait qu'ils ont ou n'ont pas de valeur sémantique, il n'y aurait aucune raison pour que les catégories obtenues soient liées à des significations déterminées, et puissent donc avoir une quelconque universalité : chaque langue aurait ses propres catégories, impossibles à comparer avec celles d'une autre langue.

La nécessité de cet enchaînement d'idées a été explicitement notée par les distributionalistes américains. Le but avoué de Harris, au moins dans ses premières oeuvres, était d'établir des catégories parmi les éléments d'expression d'une langue, en se fondant uniquement sur leurs relations combinatoires dans un corpns (en entendant d'ailleurs relation combinatoire dans un sens très large, et qui comprend bien d'autres rapports que la rection à laquelle s'intéresse surtout Hjelmslev). Mais il admet sans hésitation la contrepartie de cette attitude : des universaux linguistiques, et donc une linguistique générale, une théorie générale du langage, sont inconcevables. Tout au plus peut-on définir des méthodes recommandables dans l'étude des langues les plus différentes. Bien que même enchaînement d'idées ne soit pas explicitement formulé dans les *Principes,* il nous y semble lisible an filigrane, et c'est lui qui explique finalement les ambiguités qui subsistent dans le livre. On peut sans doute comprendre l'évolution ultérieure de la pensée de Hjelmslev comme la recherche d'une nouvelle justification de la linguistique générale, justification qui ne soit plus psychologique, et qui permette d'exploiter à fond le concept de fonction.

1— Hjelmslev, *Principes,* P. 265.

Une troisième raison encore empêchait Hjelmslev de concevoir une théorie d'ensemble de la fonction linguistique : elle tient à l'objectif même que s'étaient fixés les *Principes*, celui de fonder une linguistique générale, ou, plus exactement, à la facon dont ils justifient cet objcetif. La linguistique générale, avons-nous dit, cherche à définir des concepts et des catégories utilisables pour décrire n'importe quelle langue. Hjelmslev n'entend d'ailleurs pas par là qu'ils doivent être réalisés en fait dans toutes les langues, mais que leur réalisation constitue pour toutes les langues une possibilité (1). Supposons que nous ayons défini la catégorie de verbe; cette définition ne serait pas invalidée par le fait que, dans certaines langues, peut être en chinois, on ne trouverait pas d'éléments à verser dans une telle catégorie. Ce que demande Hjelmslev, c'est seulement que la définition permette de donner un sens à le question : y a-t-il des verbes en chinois ? Si on était arrivé à ce résultat, on pourrait alors poser, comme un trait caractéristique du chinois, qu'il ne possède pas de verbe : cette détérmination négative aurait la même valeur descriptive que n'importe quelle remarque positive. Ainsi replacée dans l'univers du possible, l'universalité de la catégorie linguistique n'en demande pas moins une justification. Rien n'assure en effet que la notion de verbe ne soit pas liée à un type linguistique particulier, et qu'en l'utilisant pour caractériser, positivement ou négativement, d'autres langues, on ne produit pas une de ces grammaires louchantes dont se moquait Jespersen.

La solution que propose Hjelmslev dans les *Principes* est d'ordre psychologique. Chacune des catégories, selon lui, exprime une "idée" (hypothèse du "contenu significatif") (2). Il y a une signification générale du substantif, du verbe, du genre, du cas : ce qui sauve donc la linguistique du régionalisme, ce qui garantit que les mêmes catégories sont applicables à toutes las langues, c'est l'identité de l'esprit humain à travers la multiplicité des civilisations. Si la catégorie du verbe correspond à une idée humaine, l'existense de verbes est donc possible en chinois comme en français, et on a décrit de façon intrinsèque le chinois en signalant qu'il n'a pas réalisé cette possibilité. Hjelmslev prend tellement au sérieux cette justification qu'il croit nécessaire, pour fonder

1— Hjelmslev, *Principes*, P. 104.

2— *Ibid.*, pp. 163—71

Nous avons indiqué une première raison qui empêchait Hjelmslev à l'époque des *Principes*, d'entrer dans cette voie : il ne voyait pas de divergence entre le critère de la fonction grammaticale et celui de la valeur psychologique. Une deuxième raison, et destinée sans doute à subsister plus longtemps, tient à ce que la notion de rection grammaticale, telle qu'elle est utilisée dans les *Principes*, n'est encore qu'à moitié combinatoire. Certes elle l'est beaucoup plus que la "fonction" de Jespersen, qui repose seulement sur l'idée d'une dominance : le substantif est senti comme dominant l'adjectif. Pour Hjelmslev, au contraire, il s'agit d'une nécessité de coexistence : le genre du substantif appelle nécessairement celui de l'adjectif, on ne peut pas trouver le premier sans le second. Mais, quand il s'agit de distinguer plusieurs types de rections grammaticales, les *Principes* font appel à des faits qui ne sont plus d'ordre combinatoire. Pour distinguer la concordance pure de la rection complexe, par exemple, Hjelmslev doit noter que dans le premier cas l'accord signale seulement l'existence d'une dépendance, et que dans le second il précise en outre de quelle sorte de dépendance il s'agit. Comme des critères de ce type ne s'appliquent évidemment pas à des phonèmes (la nécessité du "l" mouillé après le "K" ne signifie rien), la classification des rections établie pour les signifiants n'a plus de sens lorsqu'il s'agit de phonèmes. Fonctions grammaticales et fonctions phonétiques auront non seulement des objets différents, mais elles ne seront pas de même nature. L'analyse à laquelle on a soumis les premières ne peut donc pas être transposée aux secondes et il ne saurait être question d'une science générale des fonctions linguistiques. Pour que cet obstacle puisse être levé, une condition préalable devra être remplie. Il faudra que la notion de rection ait été l'objet d'une analyse plus poussée, et cela du pur point de vue combinatoire. Si les *Principes* distinguent les fonctions par les phénomènes sémantiques qui accompagnent la relation combinatoire, si par suite ils rendent ces fonctions impropres à caractériser les phonèmes c'est que Hjelmslev connaît alors un seul type de fait combinatoire : A exige B. Pour pouvoir faire abstraction de l'accompagnement sémantique, il faut que le lien de deux éléments dans le déroulement du discours puisse être autre chose que la simple nécessité de rencontrer l'un quand on a rencontré l'autre : l'article sur "La notion de rection" et toute la "Théorie des morphèmes" montrent le travail accompli par Hjelmslev dans ce sens.

dont ses éléments s'associent dans le discours ; il s'agissait là pour eux, d'un phénomène secondaire, qui intéresse surtout la pratique de la langue. Hjelmselev, au contraire, donne aux relations combinatoires une place centrale dans l'économie du langage. On peut, nous l'avons vu. discuter les arguments à l'aide desquels ce thème est défendu ; son apparition constitue néanmoins, dans l'histoire de la linguistique, un fait décisif. Que la recherche des régularités combinatoires puisse s'étendre bien au del à des problèmes de grammaire, Hjelmslev l'a reconnu sans ambiguité. Il remarque (1) qu'il y a des "fonctions" à l'intérieur de ce qui le plus incontestablement conventionnel dans la langue, son aspect phonique. On peut, dit-il, découvrir de véritables rections entre les phonèmes, donc entre les unités d'expression dépourvues de toute valeur sémantique. Ainsi, en anglais, le son " 'n " mais non " n " se combinent avec " K ". On peut donc poser que " K " régit la "mouillure" de la consonne nasale qui le précède(2). Certes Hjelmslev ne signale ce fait que pour l'éliminer de la grammaire: "Cette sorte de fonctions se distingue facilement des fonctions grammaticales"(3). Le distinction peut cependant apparaître fragile... Elle tire sa plus grande force, en effet, du caractère suggestif (non conventionnel) des rections grammaticales. Si celui-ci est mis en doute, on voit moins de raisons pour séparer radicalement les fonctios qui relient les signifiants et celles qui relient les phonèmes. Les unes comme les autres pourraient devenir l'objet d'une recherche plus vaste, qui viserait l'ensemble des régularités combinatoires. On entrevoit alors une nouvelle définition de la forme linguistique, d'où serait exclue la signification au sens de Sèchehaye, et qui engloberait la totalité des relations distributionnelles décelables dans le déroulement du discours.

1— Hjelmslev, *Principes de Grammaire Generale*, p. 127

2— Cet exemple montre combien la pensée de Hjelmslev est, à l'origine, éloignée de la phonologie. Pour celle-ci, la mouillure du "n", dans la mesure ou elle est nécessairement déterminée par le "k", est un trait non pertinent qui ne doit être noté que dans une deuxième étape de la description linguistique: la première étape, et la plus essentielle, consiste à relever les traits pertinents, Les faits de rection ne peuvent pas avoir, en phonologie, une situation centrale. L'important, ce sont les possibilités de choix.

3— Hjelmslev, *Principes de Grammaire Generale*, P. 127.

par celle du substantif. Comme Hjelmslev pense que l'ordre de l'expression est un "phonème" au même titre que l'emploi de sons particuliers (1), rien n'interdit d'admettre, en anglais, une concordance pure entre l'adjectif et le substantif. Une objection bien plus sérieuse consisterait à imaginer une langue où les adjectifs seraient invariables, mais répartis en différentes classes, et où les substantifs devraient recevoir une flexion particulière lorsqu'ils sont accompagnés d'un adjectif, flexion déterminée par la classe de celui-ci. Dans cette langue, les éléments que nous avons appelés "adjectifs" régiraient donc les "substantifs", et, selon les critères de Hjelmslev, ils devraient être assimilés aux substantifs francais. Rien n'interdit pourtant qu'ils ne soient compris, dans les énoncés où ils apparaissent, comme subordonnés au mot qui leur est accolé, et, plus généralement, qu'ils n'aient les caractères sémantiques des adjectifs francais. Il importe peu que notre exemple soit imaginaire: il suffit pour la démonstration qu'il n'apparaisse pas invraisemblable, et qu'il n'y ait pas d'absurdité à ce que l'adjectif régisse le substantif : s'il en est ainsi, lorsque la capacité d'être régi en concordance pure signale la signification adjectivale, cela ne peut être attribué qu'à une règle conventionnelle, aussi conventionnelle que l'indication du pluriel par un " s " en anglais. Plus généralement, il n'y a guère de raisons pour que le principe de l'arbitraire du signe vaille moins pour les constructions grammaticales que pour les signifiants constitués directement par des unités phoniques. Ce n'est pas parce que la langue a établi certains rapports nécessaires dans le droulement du discours, que ces rapports reflétent nécessairement certaines relations sémantiques. Le critère de la fonction rejoint donc difficilement la première définition de la forme.

Si Hjelmslev, en privilégiant la notion de fonction, n'a pas réalisé le programme de Sèchehaye, il a, en revanche, introduit une idée nouvelle, et qui allait se révéler fort féconde: l'idée de considérer la langue comme une combinatoire, et de rechercher systématiquement les relations régulières qui y apparaissent. Peu de linguistes, avant lui, jugeaient essentiel, pour la connaissance d'une langue, d'établir la façon

1— Il s'oppose en cela à Sèchehaye, qui place l'ordre linéaire hors du conventionnel et lui attribue un retentissement psychologique direct (cf. *Principes*, p. 113—4).

est possible, et il l'inscrit au programme de la linguistique ultérieure. Quant à la concordance pure qui attache l'adjectif au substantif, elle fait plus, dit-il, que signaler, elle suggère que le premier est sémantiquement subordonné au second. Dans l'expression "une grande fille", "grand" doit recevoir la désinence du féminin, désinence injustifiable par le sens ; l'idée désignée pa1 "grand" ne saurait être affectée par le morphème "féminin". Qu'un élément doive ainsi se plier, pour entrer dans un syntagme, à des conditions exigées par un autre, qu'il doive s'adjoindre une désinence qui lui reste totalement extérieure — comme la livrée du valet —, cela impose à l'esprit l'idée d'un ordre hiérarchique. Limpossibilité même de *comprendre* le féminin de "grande" (car il est absurde d'attribuer un genre à une qualité), incline nécessairement le sujet parlant à considérer l'adjectif comme une dépendance du substantif. De telles spéculations sont sans doute — et bien heureusement — étrangères à la linguistique d'aujourd'hui ; on les comprendra mieux, sans les excuser, si on les rapproche des débats de la philosophie linguistique du 19ème siècle. Elles rappellent par exemple les discussions sur la valeur psychologique des différents moyens utilisés pour fléchir les mots (cf. G. de Humboldt). On se demendait alors quelles représentations sont évoquées dans l'esprit selon que la flexion se fait par l'addition d'un suffixe ou par une transformation interne du mot. Les recherches de Hjelmslev sur la valeur psychologique des rections étendent seulement au groupé de mots le type de remarques habituellement faites à propos du mot.

Que la thèse soutenue dans les *Principes* soit particulièrement risquée, et que Hjelmslev ait bientôt cessé de la soutenir, on le comprendra sans peine. Pourquoi y aurait-il une harmonie préétablie entre le fait sémantique qu'une notion soit rapportée à une autre, et le fait matériel qu'une certaine flexion soit attachée au signifiant de la première, en étant uniquement déterminée par le signifiant de la seconde ? Certes il ne suffit pas d'objecter que, dans une langue comme anglais il est raisonnable d'admettre des adjectifs comparables à ceux du français, alors que ces adjectifs n'obéissent à aucune concordance de genre ou de nombre. Hjelmslev pourrait répondre, bien que l'objection ne soit pas explicitement prévue dans les *Principes,* que l'ordre des mots, en anglais, joue le rôle du genre en francais : la place de l'adjectif est régie

d'une dépendance (ainsi le féminin de "grande" dans "une grande table" marque seulement que "grande" se rapporte à "table") ; dans la rection "complexe" le morphème indique en outre le "caractère spécial de cette dépendance" (ainsi le nominatif et l'accusatif dans "Petrus amat Paulum" marquent de quelles façons respectives "Petrus" et "Paulus" se rapportent à "amat" ; dans la "concordance complexe", enfin, qui présente un cas intermédiaire (et que nous avouons mal comprendre), la concordance fait moins que de décrire et plus que de signaler la dépendance : elle signale qu'une certaine nuance de signification est également présente dans le régissant et dans le régi (ainsi le pluriel du verbe dans "homines currunt" marque qu'une sorte de pluralité appartient à la fois au sujet agissant et à l'action accomplie). Selon Hjelmslev, cette analyse de la rection peut permettre de définir des sous-catégories dans l'ensemble des nominaux : le substantif et l'adjectif ne se comportent pas par exemple de la même façon par rapport aux trois types de rections. Un substantif est un terme qui, lorsqu'il entre dans une concordance pure, est d'ordinaire régissant. Un adjectif est un terme qui est toujours régi en concordance pure, et qui peut ne pas être régi en rection complexe (1).

En introduisant la notion de rection dans la définition de la forme, Hjelmslev s'écarte-t-il du concept de forme dont il était parti ? Ce n'est certainement pas son sentiment, au moins au moment où il écrit les *Principes*. Il ne croit même pas étendre ce concept, mais seulement le préciser, en relevant un type particulièrement important de phénomène formel. Nous rappelons que pour lui, comme pour Sèchehaye, les phénomènes formels sont ces particularités de l'expression qui sont attachées par un rapport causal, et non pas conventionnel, à certains traits sémantiques. C'est le cas, selon Hjelmslev, pour les fonctions grammaticales telles qu'il les a définies. Certes il n'arrive pas à montrer effectivement que la signification du verbe est liée à l'impossibilité de recevoir une flexion casuelle, mais il maintient que cette démonstration

1— En fait la démarche de Hjelmslev comporte une étape intermédiaire : les rections servent d'abord, selon la facon dont elles se combinent, à définir trois types diffèrents de fonctions, et ces fonctions sont entsuite utilisées pour établir les parties du discours. Les définitions données ici ont été obtenues en rapprochant les définitions des fonctions en termes de rections (cf. P. 153) et des parties du discours en termes de fonctions (p. 306)

qualification, précision, limitation. Après avoir établi cette notion de fonction, Jespersen en limite aussitôt la portée; il ne pense pas qu'elle puisse définir chaque partie du discours par une ou par plusieurs fonctions privilégiées; on s'apercevrait par exemple que dans le groupe nominal "des chiens aboyant furieusement", c'est une sorte d'adjectif, "aboyant", qui a la fonction secondaire, dévolue tout à l'heure à un verbe. C'est cette réserve de Jespersen que Hjelmslev critique; il voudrait que les éléments de la langue, les formes, puissent être caractériseés, au moins partiellement, par leur rôle possible dans le discours. Pour arriver à ce résultat, il lui faut remanier la notion de fonction. Pour Jespersen elle avoit un contenu sémantique trés net (c'ètait une relation intellectuelle entre les mots d'un énoncé). Hjelmslev ne retient qu'une seule chose de cette définition : la fonction relie les éléments d'un énoncé. Mais, il entend la relation en question comme un rapport purement combinatoire. Il appelle fonction grammaticale d'un sémantème :

" 1) La faculté de se combiner exclusivement avec certains morphèmes donnés, et

2) La faculté de se combiner avec les autres sémantèmes exclusivement au moyen de certains morphèmes donnés ".

Ainsi définies les fonctions apparaissent capables de fonder une classification des sémantèmes en parties du discours. Par exemple, le premier type de fonction permet immédiatement de délimiter la catégorie des verbes (toujours incapables de s'adjoindre un morphème de cas), et de l'opposer à celle des morphèmes nominaux, qui en sont capables : on considéré donc comme nominaux à la fois les substantifs, les adjectifs et les adverbes. Pour subdiviser les nominaux, on aura recours au deuxième type de fonction, c'est à dire au phénomène habituellement appelé "rection" ; un sémantème subit une rection chaque fois que sa situation dans la phrase rend nécessaire qu'on lui adjoigne certains morphèmes. Ainsi le sémantème "grand" ne peut s'insérer dans le contexte "une   table" qu'à condition de se combiner au morphème "féminin".

Analysant la notion de rection, Hjelmslev en distingue trois espèces. Dans la "concordance pure", le morphème de l'élément régi ne comporte aucune indication de sens, mais indique seulement l'existence

"obtus" possèdent en commun à la fois une certaine qualité sonore et une même careactéristique sémantique (1). Etant donné que les sémantèmes considérés doivent par hypothèse être considérés comme des signes élémentaires et non comme des syntagmes on ne peut pas dire que la qualité sonore qui leur est commune est un signifiant qui désignerait de façon conventionnelle le trait sémantique commun. On doit plutôt parler de symbolisme d'expressivité. Le son suggère le sens, il ne le nomme pas : le sujet parlant ne peut pas ne pas croire que telle sonorité possède en elle même, de façon inhérente, un caractère de grossièreté, de compacité. Dans la collectivité linguistique considérée il y a donc un lien causal entre certaines particularités phoniques et sémantiques (même s'il en est autrement dans une autre collectivité). Fidèle à la définition de la forme selon Sèchehaye, Hjemslev soutient que dans ce cas, les catégories de sémantèmes devraient être considérées comme formelles, et qu'elles mériteraient le titre de grammaticales au même degré que les catégories du verbe ou du cas. Dans ses ouvrages ultérieurs (2) Hjelmslev a explicitement rejeté cette thèse mais il importe de voir qu'elle découle logiquement des premières définitions dont il est parti.

En regard toutefois de cette fidélité à Sèchehaye, on trouve dans les *Principes* certaines indications plus originales, et dont on peut montrer qu'elles s'accordent mal avec la ligne de pensée initiale. C'est ainsi qu'on y voit esquissée une définition "fonctionnelle" de la forme, Jespersen avait, depuis longtemps, défini trois fonctions linguistiques essentielles qu'il appelait primaire, secondaire et tertiaire. Dans "Les chiens aboient furieusement", "les chiens" a fonction primaire, car ce terme exprime l'objet même du discours; "aboient" a fonction secondaire, car il détermine (qualifie, précise) le terme primaire, et "furieusement", qui ajoute une détermination à "aboient", à la fonction tertiaire. La fonction d'un terme dans un énoncé est donc fondée sur une certaine relation de ce terme avec ceux qui l'entourent, relation d'ordre sémantique, que Jespersen a du mal à définir, et qu'il désigne à la fois comme

1— *Ibid.*, P. 182 ou l'auteur utilise des remarques de Marouzeau.

2— Hjelmslev, *Le Langage*, p. 68

en antéposant, soit en postposant le mot essentiel, selon l'habitude de la langue dans laquelle il est élevé. L'appartensance n'est pour lui qu'une association d'idées orientée. A l'opposé l'emploi d'une préposition autonome, quelle que soit la nature phonique de cette préposition, prouve que les sujets parlants possèdent de façon claire l'edéè d'appartenance, qui est tout autre chose pour eux qu'une attention privilégieé accordre à un objet (1). Ce qui est conventionnel dans l'expression de l'appartenance, c'est donc l'emploi de telle préposition plutôt que de telle autre, ou de l'antéposition plutôt que de la postposition du terme subordonné. Quant au fait même de recourir soit à l'ordre des mots, soit à une préposition, il constitute à la fois, et de façon indissolublè, une particularité de l'expression et un trait psychologique,. Il n'est donc conventionnel, arbitraire, que pour le linguiste qui, du point de vue de Sirius, compare différentes langues; du point de vue du sujet parlant il apparaıt au contraire motivé, nécessaire, et à ce titre il relève de la forme.

Telle est donc la notion de forme que Hjelmslev a empruntée aux élèves directs de Saussure : est formel tout aspect du signifiant qui est attaché par un lien causal à un trait de signification. Bien plus, l'ayant empruntée, il en a tiré les conséquences extrêmes. Cela apparaît par exemple dans le paragraphe consacré aux catégories de sémantémes (2). Ce paragraphe se présente comme une sorte d'expérience intellectuelle. Hjelmslev envisage une hypothèse qu'il considère seulement comme plausible, et il se demande à quelle conclusion amèneraient ses principes au cas où cette hypothèse se trouverait vérifiée. Supposons donc une langue où l'on pourrait, parmi les signes minimaux (c'est à dire inanalysables én signes plus petits). constituer certaines catégories dont les éléments se ressembleraient à la fois du point de vue phonique et du point de vue du sens. Supposons par exemple, comme on l'a signalé, à tort ou à raison pour plusieurs langues africaines que"tous les sémantèmes qui signifient des sensations semblables revêtent une forme commune pour exprimer cette sensation par opposition aux autres" (3). Ou encore admettons qu'en français les adjectifs "sourd", "lourd", "gros", "grave",

---

1— Sèchehaye, *Programme*, PP. 117—119

2— Hjelmslev, *Principes de Grammaire Générale*, PP. 171—196.

3— Hjelmslev, *Principes de Grammaire Générale*, P. 185

La réponse de Sèchehaye est qu'il faut distinguer deux types radicalement différents d'artbitraire. L'un est sensible au sujet parlant lui-même, qui peut se rendre compte aisément de la distance entre sa pensée et les moyens d'expression qu'elle utilise. C'est le cas pour ce qui concerne la réalité phonétique du signe. L'autre n'apparaît qu'à une réflexion sur la langue, ou, selon l'expression de Sèchehaye, il ne vaut que pour celui qui "regarde les choses du dehors". En revanche, "pour celui qui veut penser à l'aide de sa propre grammaire", la classification du monde opérée par le lexique, les catégories et relations imposées par la grammaire, sont des "élèments constitutifs de la pensée". Je ne peux pas me représenter le sens des expressions "Pierre viendra" et "L-'enfant dort" sans attribuer aux idées exprimées par *Pierre* et par *l'enfant* un même rôle dans chacune des deux représentations. En revanche, la ressemblance phonique entre *Pierre dort* et *Il lance la pierre* ne correspond à aucune analogie intellectuelle entre les deux énoncés. On appellera *conventionnels* les procédés, les techniques d'expression dont l'arbitrairde peut apprendre au sujet parlant lui-même, car elles sont sans rapport avec la signification exprimée. Inversement on considérera comme non-conventionnelles toutes les habitudes linguistiques qui se réfléchissent dans l'esprit du sujet parlant, et qu'il ne peut donc pas distinguer de ses propres façons de pensée.

Un exemple précis fera mieux comprendre comment Séchehaye entend cette réflexion de la langue dans la pensée. Il s'agit du passage où il soutient, contre Wundt, que l'ordonnance des mots dans la phrase relève de la forme grammaticale. Soit par exemple l'idée d'appartenance ("Le chapeau de Charles"). Le langage enfantin l'exprime souvent par la simple juxtaposition "Chapeau Charles"). Beaucoup de langues utilisent la flexion "Karls Hut", en incorporant une désinence particulière dans le mot désignant le posseseur. Une langue dite analytique comme le français intercalera un mot indépendant, la préposition *de* entre les deux termes de la relation. Selon Séchehaye le choix d'un de ces trois modes ne doit pas être considéré comme conventionnel, car il est inséparable d'une certaine conception de la relation d'appartenance. L'emploi du procédé enfantin montre que la relation n'est pas dégagée pour elle-même. La seule représentation qui se trouve dans l'esprit de l'enfant quand il dit "chapeau Charles", c'est qu'un des termes est plus important, l'intéresse plus vivement, que l'autre, ce qu'il exprime soit

par une méthode directe (1), et qui rend manifeste le sens. A cette première subdivision Hjélmslev ajoute une seconde, intérieure cette fois au signifiant. Il faut, dans celui-ci, opposer nettement ce qui est conventionnel, arbitraire et ce qui ne l'est pas. C'est ce deuxième aspect du signifiant défini de façon purement négative, qui constitue la forme du signe. Hje lmslev ne fournit guère d'indications supplémetaires, mais renvoie le lecteur au *Programme* de Sèchehaye avec lequel il se déclare d'accord sur ce point (2). Quand Sèchehaye fait allusion au côté conventionnel du signe, il veut parler "des sons, des éléments articulatoires, de le matière en un mot" (3) de ce signe. Ainsi : "il n'y a aucune relation nécessaire, aucune identité entre l'idée de l'animal solipède que chacun connaît et les deux syllabes du vocable *cheval* avec lequel cette idée est associée". "Au lieu de *cheval* rien n'empêche d'imaginer une autre combinaison de signes articulatoires, ou même de n'en imaginer aucune, et de penser seulement un symbole algébrique, un *a* ou un × qui serait le substitut abstrait et général du signe quelconque dans lequel cette idée se réalise" (4). Ayant placé sous la rubrique "Conventionnel" tout l'aspect phonique du signe, Sèchehaye se fait à lui même l'objection suivante, où transparaît l'influence de Saussure. Cet aspect phonique constitue-t-il tout ce qui est arbitraire dans le signe ? Deux langages ne diffèrent pas seulement par la qualité sonore des signes qu'ils emploient, mais aussi par leur contenu intellectuel. Le mot français "forêt" et l'allemand "wald" ne couvrent pas la même zone de signification, puisque le sens" de " forêt " limité par celui de "bois", alors que "Wald" n'a pas de concurrent analogue. La façon dont chaque langue découpe l'expérience peut donc bien être considérée elle aussi comme arbitraire. Bien plus les catégories Syntactiques diffèrent d'une langue à l'autre : "comme le chinois et l'allemand profèrent d'autres sons, ils ont d'autres déterminations syntactiques" (5). Si donc certaines langues connaissent la catégorie de sujet, et d'autres, non, ne doit-on pas admettre que l'existence de ces catégories dans une langue est un fait arbitraire, conventionnel ? Que reste-t-il alors d'une langue, quand on en a extrait tout le côté conventionnel ?

1— Cf. P. 116

2— P. 110

3— Ibid., P. 109

4— Ibid., P. 112

5— Sèchehaye, *Programme*, P. 113

presque, de nos jours, comme une réaction contre une thèse centrale de Saussure, celle qui affirme l'autonomie de la linguistique (1).

Si nous avons donné ces précisions, c'est pour mieux situer les remarques que nous allons faire sur les *Principes*, et éviter l'illusion rétrospective qui découvrirait dans cet ouvrage l'influence du *C.L.G.* Nous extrairons en effet des *Principes* les réflexions qui concernent le concept de "forme". Nous montrerons une tendance à assimiler forme et relation, qui pourrait sembler d'inspiration nettement saussurienne. Or cette tendance se manifeste avant tout par certaines modifications apportées aux thèses de Sèchehaye. En les faisant, l'auteur devait avoir le sentiment de s'écarter du courant de pensée saussurien; c'est beaucoup plus tard seulement qu'il s'est présenté comme un authentique, et même comme le plus authentique héritier du *C.L.G.* Hjelmslev n'est nullement parti de Saussure; il serait plus exact de dire qu'il le rejoint, et au moment même où il croyait sans doute le quitter.

Quel est, pour Hjelmslev, l'objet de la grammaire générale ? Comme la linguistique générale, dont elle est une partie, elle vise à rétablir des concepts utilisables pour la description de toute langue naturelle, quelle qu'elle soit, des concepts donc qui puissent servir de référence pour comparer les langues, et qui permettent ainsi une typologie linguistique. A l'intérieur de ce programme d'ensemble, la grammaire générale a la tâche particulière de définir les notions qui intéressent un secteur bien particulier de la réalité linguistique, la grammaire elle même définie comme l'étude des *formes*. Nous voudrions préciser l'idée que Hjelmslev se fait à l'époque de la forme, notion, qui jouera un rôle essentiel dans le développement ultérieur de sa doctrine.

Les *Principes* fournissent sur ce point d'une part. une définition explicite, qui se situe dans la perspective de Sèchehaye, et d'autre part des indications fragmentaires, qui témoignent d'une orientation intellectuelle assez différente. La définition proprement dite prend son point de départ dans la représentation saussurienne du signe, comme une réalité à double face: il comprend un signifié, en lui même imperceptible et un signifiant, perceptible, *tangible*, susceptible d'être "constatè

1— Cf. P. 20 Séchehaye félicite WUNDT d'avoir voulu "tirer de la psychologie moderne une linguistique théorique".

HJELMSLEV AVANT LA REVELATION SAUSSURIENNE
LES PRINCIPES DE GRAMMAIRE GENERALE

CHRISTINE SIRDAR/ISKANDAR

Université du Caire

Les *Principes de Grammaire Générale* est le premier ouvrage de Hjelmslev entièrement consacré à des problèmes linguistiques. L'influence de l'école française (Meillet, Vendryes) apparaît très importante, combinée à celle de l'école genevoise, et principalement de Sèchehaye dont le travail est constamment cité, et de façon généralement approbative. Comme les deux écoles se réclament également de Saussure–la première de façon allusive, la seconde, avec la plus grande insistance–il pourrait sembler que les débuts linguistiques de Hjelmslev se situent dans un courant de pensée nettement saussurien. On en viendrait ainsi à mettre en doute le passage d'un article des Studia Linguistica (1) où Hjelmslev déclare avoir pris connaissance assez tard des idées de Saussure, et que ces idées l'ont seulement confirmé dans une orientation issue d'une origine toute différente (une réflexion sur le positivisme logique).

En fait ces doutes ne seraient pas justifiés. On remarquera d'abord que le *C.L.G.* lui même n'est que très rarement cité dans les *Principes,* et que Hjelmslev ne paraît guère, à l'époque, en avoir perçu l'importance. On notera d'autre part que le saussurianisme transmis par Meillet et Sèchehaye était assez flou; on a montré par exemple (2) que la notion saussurienne de "système" n'est que verbalement présente dans l'oeuvre de Meillet. Quant au *Programme* de Sèchehaye, il est si proche d'assimiler linguistique générale et psychologie du langage qu'il apparaît

1— "Structural analysis of Language" in *Studia Linguistica* No 1, P. 67—78, Cf. *E.L.* p. 32
(E.L. est l'abréviation de *Essais Linguistiques*) et C.L.G. celle de *Cours de Linguistique Generale*).

2— G. MOUNIN, *La Linguistique*, 1966, No 1.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب